علّال الفاسي

في منفى الغابون

(1937 - 1946)



Jadawel جداول

في منفى الغابون
(1937 - 1946)

علّال الفاسي

في منفى الغابون

(1937 - 1946)

Jadawel جداول

الكتاب: في منفى الغابون 1937 ـ 1946
المؤلف: علّال الفاسي

جداول
للنشر والتوزيع
الحمرا - شارع الكويت - بناية البركة - الطابق الأول
هاتف: 746638 1 00961 ـ فاكس: 746637 1 00961
ص.ب: 5558 - 13 شوران ـ بيروت ـ لبنان
e-mail info@jadawel.net
www.jadawel.net

الطبعة الأولى
تشرين الأول/أكتوبر 2011
ISBN 978-614-418-055-6

طبع في لبنان

Hamra Str. - Al-Barakah Bldg.
P.O.Box: 13- 5558 Shouran
Beirut - Lebanon
First Published 2011 Beirut

تصميم الغلاف: محمد ج. إبراهيم

المحتويات

تصدير

استمرّت فترة منفى الزعيم علّال الفاسي إلى أفريقيا الاستوائية «الغابون على الخصوص» نحو تسع سنوات «من أكتوبر/تشرين الأول 1937 إلى يونيو/حزيران 1946».

ما ظروف هذا المنفى؟ وما العوامل المباشرة له؟

وكيف كان مقامه في المنفى؟ وأين كان يقيم؟

وهل له اتصالات بغير المكلّفين بمراقبته؟ وكيف كان يقضي يومه؟

ثم هل كان يكاتب أحدًا؟ وهل كان يتصل بالعائلة في المغرب. وهو الذي أبعد عن الأب والابنة والروح...؟ وكيف كان يجري هذا الاتصال؟ أو بالأحرى مواضيع مراسلاته معهم؟

هل قرأ شيئًا في المنفى؟ وهل سُمح له بوسائل المعرفة من كُتُب وصُحف وإعلام عربي وأجنبي؟

وأخيرًا ماذا كتب في المنفى؟

كل هذه الأسئلة كانت تواجهني منذ أن تشرفت بتكليفي بإدارة (مؤسسة علّال الفاسي) وهي التي تهدف منذ تأسيسها إلى جمع إنتاجه رحمه اللّه ونشره وتعميم الفائدة منه، وإلى وضع المستندات والوثائق التي تضمّها رهن إشارة الباحثين والمثقّفين والمهتمّين.

وفي نطاق هذا التشريف عملت أولًا على ترتيب أقسام خزانة المؤسسة وتهيئة فهارس أولية لكل محتوياتها وخصوصًا فهرس مخطوطاتها الذي اكتمل بعد طبعه في أربعة أجزاء، والذي عرَّف بألفين وأربعمائة من عيون

المخطوطات وذخائر المؤلفات مما مكّن المؤسسة من الاستجابة الفورية لرغبات الأساتذة الباحثين والطلبة الجامعيين الذين سهّل الفهرس لهم الاطّلاع على هذه الذخائر والاستفادة منها.

وهناك إلى جانب فهرس المخطوطات فهارس المطبوعات العادية، والمطبوعات الحجرية، وفهارس المجلّات والدوريات.

يضاف إلى هذا الاهتمام الخاصّ بمؤلفات الزعيم علال المطبوعة والتي أعدنا طبع ما نفد منها، أو التي ما زالت في مبيّضاتها الأصلية أننا قمنا بإخراج وطبع ما يقرب من عشرين منها. فضلًا عن أبحاثه ومحاضراته ومقالاته المنشورة في مختلف وسائل النشر داخل المغرب وخارجه، وهي أيضًا ما جمعناه إلى بعضه وأصدرناه في أجزاء متناسقة.

في أثناء الاطّلاع على محتويات ما فصّلته من هذه الأقسام المتنوعة لم أكن لأجد فيه ما يمكّنني من الإجابة عن التساؤلات السابقة المتعلّقة بمنفى الزعيم علال وظروفه وملابساته لولا الرجوع أخيرًا إلى قسم من مخلّفاته رحمه اللّٰه بقي محفوظًا كما خلّف، وهو عبارة عن بعض الملفّات المتراكمة وبعض الصناديق الورقية المملوءة بأوراق متنوعة من رسائل أو دفاتر مختلفة الأحجام، والتي كانت كلما وقعت بين يدي نحّيتها جانبًا لإتمام المنجزات السابقة التي تحدثت عنها من قبل.

وبعد الرجوع الآن إلى هذه الملفات واستخراج محتوياتها تمكنت من الاطّلاع من خلالها على بعض ما يفيد في الإجابة عن تلك التساؤلات. ولاسيما إذا ما أضيف إليها بعض الإشارات الواردة حولها في بعض مؤلّفاته وخصوصًا الجزء الثاني من ديوانه، أو المجموعة الكاملة من رسائل والده العلّامة سيدي عبدالواحد رحمه الله، وهي التي احتفظ بها الزعيم علال مجموعة في ملفّ خاصّ.

وقد شجّعني الاطّلاع على مكوّنات هذه الملفّات على أن أخرجها من مبيّضاتها وأحقّقها وأجعلها رهن إشارة الباحثين المهتمّين حتى يطّلعوا بأنفسهم على ما خطّه الزعيم وقت كتابته بعفوية وبدون تصنّع. وحتى يستخلصوا

الإجابات الواضحة عن التساؤلات السابقة وعن غيرها ممّا كان يشغل بال الزعيم وتفكيره. في ذلك المنفى السحيق.

وسأضع بين يدي الباحثين المهتمّين الوثائق التالية:

1 ـ في ظروف المنفى ـ كمقدّمة ـ وهي صفحات مبتورة من مذكرات كتبها الزعيم علال في منفاه حول بعض الأحداث والاتصالات الخاصة به وبرفقائه في كتلة العمل الوطني أولًا، والحزب الوطني ثانيًا مع سلطات الحماية في المغرب والتي أدت إلى القرارات التي اتخذتها تلك السلطات بالقبض على رفقائه وإبعاده إلى الغابون سنة 1937م.

2 ـ نقط مذكّرة المنفى. وهي في ثلاثة دفاتر جيبية. من حجم 15 على 10 ومسطّرة بين 18 سطرًا و 26 في الصفحة وفيها ثلاثمئة واثنتان وأربعون صفحة. بعضها فارغ وبعضها مبتور.

وهذه الدفاتر الثلاثة تسجّل في مجموعها الوقائع اليومية ابتداء من يوم حلوله بالمنفى 10 ديسمبر/كانون الأول 1937 إلى يوم 20 أكتوبر/تشرين الأول 1939 وهي موزّعة على الشكل التالي:

الدفتر الأول من 10 ديسمبر/كانون الأول 37 إلى آخر ديسمبر/كانون الأول 38.

الدفتر الثاني من يوم 1 يناير/كانون الثاني 39 إلى يوم 4 يونيو/حزيران 39.

الدفتر الثالث من يوم 6 يونيو/حزيران 39 إلى يوم 20 أكتوبر/تشرين الأول 39.

3 ـ من شريط المنفى «سكناي بمنفاي» - وهو فصل من شعره في المنفى يشتمل على صور طبق الأصل للحالة التي كان عليها في منفى الغابون لم يقصد فيها إلى كبير تعمّد، ولا عظيم تصنع أدرج بعضها في ديوانه بعنوان: سكناي بمنفاي[1].

(1) وانظر ديوان علّال الفاسي الجزء الثاني ص55، ط2.

4 ـ مجهودات المنفى ـ وهو فصل من كتابه «الحركات الاستقلالية في المغرب العربي» الذي وإن كتبه بعد الرجوع من المنفى فإنه أبرز فيه ما قام به في المنفى في الدفاع عن حقوقه وهو مبعد أو في الدفاع عن الحقوق الشرعية للمغرب كما يتصوّرها.

5 ـ رسائل المنفى ـ وهي ذات اتجاهين:

الاتجاه الأول: رسائل بعثها إلى سلطات المنفى أو سلطات الحماية ولا يتعدّى ما حُفظ منها بخطّه الثلاث، وسيجدها المهتمّ ضمن الفصل الخاصّ بالرسائل.

الاتجاه الثاني: بعض الرسائل المتبادلة بينه وبين العائلة في فاس، وعلى الأخصّ والده سيدي عبدالواحد الفاسي، قبل انتقاله رحمه الله إلى الرفيق الأعلى بتاريخ 10 آب/أغسطس 1942م. إذ إن المراسلة بينهما كانت منتظمة مضبوطة بأرقام متسلسلة من الجانبين، وهي وإن كانت تتأخر في الوصول إلى أكثر من ثلاثة أشهر، فإنها كانت تصل في أيّ حال، إلا في حالات نادرة كما سجّل ذلك رحمه الله مضبوطًا في نقط مذكرة المنفى.

مع ملاحظة أنه احتفظ بكل رسائل والده في ملفّ خاصّ، مرتّبة بحسب تواريخها، وآخر رسالة من والده محفوظة في هذا الملف كانت بتاريخ 18 سبتمبر/أيلول 1940، وتحمل عدد 126، كما احتفظ برسالتين من حرمه للا زهراء، ومن بعد صار يتلقّى أخبار العائلة من عمّه الشيخ السعيد الفاسي الذي تلقّى منه إحدى عشرة رسالة، ومن رفيقه الحاج أحمد مكوار الذي تلقى منه ثلاث رسائل، ومن ابن عمّه الأستاذ عبدالسلام بن عبدالله الفاسي، ثم رسائل بخطّ البنيّة ليلى نفسها وعددها سبع.

أما رسائله للوالد فكان يسجّل أرقامها وتواريخ كتابتها وربما الإشارة إلى مضمونها الذي لم يكن يختلف إلا من جهة أسلوب كتابتها.

وكان يفترض أن تكون رسائله محفوظة لدى العائلة. ولكن بعد البحث والتقصّي لم أستطع أن أحصل ولو على واحدة منها.

بيد أنه احتفظ بنسخة من رسالة إلى حرمه للا زهراء بمناسبة مضيّ سبع سنوات على منفاه، كما احتفظ بنسخ ثلاث رسائل كتبها إلى رفيقه الحاج أحمد مكوار.

ولهذا سأكتفي «على سبيل إعطاء نموذج من هذه المراسلات» بإثبات نسخة فريدة احتفظ بها من رسائله للوالد بعدد 25. أو ببيانات عن بعضها قبل إرسالها للوالد. وبإيراد بعض أجوبة الوالد البلاغية التي تعرّف الباحث المهتمّ بالأساليب التي كان يستعملها كل من الزعيم ووالده للإفلات من الرقابة الاستعمارية وللإبقاء على الاتصال مستمرًّا على الرغم من مضايقات المستعمرين المتربّصين.

ولتكون حياة الزعيم علال في المنفى مستكملة المعالم من خلال هذا العرض رأيتُ أن أختمه بكشف كامل لما كتبه رحمه الله خلال إقامته في المنفى من مؤلّفات وأبحاث وأشعار قمنا في مؤسسة علّال الفاسي بتحقيق جلّها وإخراجه وطبعه. ونحن جادّون في استكمال ما أنيط بالمؤسسة في نطاق ما أسست له من جمع تراث الزعيم علّال الفاسي وحفظه ونشره وطبعه؛ ليكون في متناول الأساتذة الباحثين والمثقّفين المهتمّين.

أرجو أن أكون قد وفّقت في إبراز جانب من حياة الزعيم علال في فترة منفاه السحيق وفق ما هو موجود في وثائق مؤسسة علّال الفاسي. كما أرجو من الله الإمداد بتوفيقه وإعانته وحسن رعايته إنه سميع مجيب والسلام.

الرباط في: مايو/أيار 2004.

عبدالرحمن بن العربي الحريشي

مدير مؤسسة علّال الفاسي

مقدمة

في ظروف المنفى[1]:

سيتاح لي في مكان آخر أن أتحدّث عن الحركة الوطنية ومبادئها وغايتها وعن بدئها والمدى الذي وصلت إليه في جهادها، أمّا الآن فأتحدّث عن الظروف التي جعلت المقيم العام يتخذ هذا القرار القاسي ضدّي وقريبًا منه ضد ثلّة من زملائي المجاهدين.

نحن الآن في أكتوبر/تشرين الأول 1936، وقد انتصرت حركتنا على

(1) هذه إحدى الوثائق الفريدة التي يحتضنها ملف خاص بمؤسسة علّال الفاسي وهي صفحات مبتورة من مذكرات كتبها الزعيم علّال بخطّه في المنفى حول بعض الأحداث والاتصالات الخاصة به وبرفقائه في كتلة العمل الوطني أولًا والحزب الوطني ثانيًا مع سلطات الحماية وخصوصًا مع المقيم العام الجنرال نوجيس والتي أدت إلى القرارات الخطيرة التي اتخذتها هذه السلطات بالقبض على زعماء الحركة الوطنية وإبعاد الزعيم علّال إلى الغابون بأفريقيا الوسطى، في أكتوبر/تشرين الأول 1937.
إن الصفحات الموجودة من هذه المذكرات تبتدئ بالرقم 4 في ترتيب الصفحات وهي هكذا:
2) في ظروف المنفى، مما يعني أن هناك صفحات ثلاثًا في الأول قد ضاعت وهي تمثّل فصلًا أولًا. كما أن الصفحة 14 غير موجودة في حين أن الصفحات الموجودة تنتهي برقم 16، ولا توجد الصفحات التي بعدها والتي لا نعلم عددها.
وحيث إنني قمت بالبحث الحثيث في الأوراق والملفّات التي يمكن أن تكون فيها بقية هذه المذكرات فلم أعثر عليها وحيث إن الموجود منها يتضمّن معلومات عن هذه الحقبة من تاريخ الحركة الوطنية «وإن لم تكن تامة» فقد رأيت أن أجعلها مقدمة لنقط مذكرة المنفى لتكاملها مع الفصول الملحقة بهما واستخلاص الإجابات عن التساؤلات السابقة في التصدير وعن غيرها مما كان يشغل بال الزعيم وتفكيره في ذلك المنفى السحيق.

الطاغية بيرتون فاقتلعته من كرسي الإقامة العامة، حيث ذهب مغضوبًا عليه من الأمّة المغربية ومن الحكومة الديموقراطية في فرنسا، وعلى الرغم من محاولته إقناع هذه الحكومة بسوء نوايانا نحوها فإنها لم تعتبر كلامه. كان في أحد اجتماعات اللجنة العليا للبحر المتوسط موطن استهزاء من الأعضاء كلهم، ولما تكلّم لأكثر من ثلاث ساعات عن الشبيبة المغربية وضرورة إبعاد قادتها إلى أفريقيا السوداء تصدّى له وزير المستعمرات المسيو متي فأجابه ببعض كلمات كانت القاضية عليه.

عزل بيرتون أو نقل إلى سفارة تُعدّ في نظر كثير من الناس نفيًا، وتطلّعت أنظار الناس كافة إلى من سيخلفه ويقوم بتمثيل الجبهة الشعبية في المغرب، ويشرف على تنفيذ مبادئها، وكانت ثورة الوطنيين الإسبان في المنطقة الخليفية ثم في إسبانيا لا تزال في بدايتها، وتكوّن في فرنسا جوّ خاص أحدث مخاوف في نفوس اليساريين، إذ خشوا أن يقوم فرنسيّو المغرب وجلّهم أو كلّهم من الرجعيين بإثارة ثورة فاشيستية تسري إلى فرنسا وتقضي على أماني الاشتراكيين والشيوعيين، وكان رئيس الوزارة بلوم أكثر تخوّفًا، وتحدثوا بأن تعيين شخص من رجال اليسار قد يكون السبب في إثارة هذه الفتنة، وبحسب ما يظهر فإن الراديكاليين قد أدّوا دورًا مهمًّا في الموضوع لأنهم يحبون دائمًا أن يكونوا مالكين للموقف خصوصًا في المستعمرات وبلاد الحماية التي للرأسمالية الأجنبية فيها مصالح كبرى لا يمكن التغافل عنها، تلك المصالح التي سنرى إلى أي حدّ تعمل في تسيير دفّة سياسة فرنسا الاستعمارية، ويلوح لي أن هذا الجوّ لم تخلقه غير الدعاية الراديكالية في فرنسا، وأيًّا كان فقد اتجهت وجهة الحكومة الفرنسية نحو تعيين شخص عسكري يمكنه أن يسيطر على الجيش في المغرب وفي الوقت نفسه يكون مخلصًا للديموقراطية ومشهورًا بنزعة يسارية، ولست أدري كيف اعتبرت هذه الشروط متوافرة في شخصية رجل عسكري ذي سوابق في المغرب إنما الذي كان أن الهيئات المختصّة تحدّثت بتولية الجنرال نوكيس مقيمًا عامًّا في المغرب وقائدًا عسكريًّا لجيوش الاحتلال كما يسمّونها.

وكانت أحزاب الجبهة كلّها مصادقة على ذلك، ومؤمنة بأن الرجل هو

الوحيد الذي يمكنه أن يرضي الطرفين، وأصبح الشيوعيون أنفسهم يؤيّدون الفكرة ويطالبون بتعجيل التعيين، أمّا الذين يعرفون الحقيقة كما هي، وهم ذوو اطّلاع على الشؤون المغربية، فقد شدهوا لهذه الفكرة، وانتهز واحد منهم، هو صديقنا المسيو جان لونكي أحد أقطاب الاشتراكية في فرنسا، فرصة وجود بلوم في جنيف وتحدّث إليه عن أمر تولية الجنرال، وكان ممّا قال له الصديق: إن تولية نوكيس ستحدث ثورة غير منتظرة في المغرب لأن الرجل معروف في قضية الظهير البربري فطمأنه مسيو بلوم بأنه سيأخذ المواثيق اللازمة لتنفيذ مبادئ الجبهة، أمّا الصحف فكلّها ضرب على نغمة واحدة في الإشادة بذكر الرجل والتنويه به، ومصدرهم الوحيد هو أن الجنرال من عائلة اشتهر أبناؤها بالإخلاص لفكرة الجمهورية، وفي الحقيقة فإن تولية الرجل لم تسرّ رجال العسكرية في المغرب من جهة أنانية لأن في بلادنا كثيرين ممّن ارتقوا في مراتب الجندية ونوكيس ما زال في بدايتها، لذا لم يرتضوه رئيسًا عليهم. وكنت لا تسمع في أوساط الجند خصوصًا في مكناس إلا الحديث عن جنرال الجبهة الشعبية، ولكن من جهة أخرى سرّ فريق من الموظفين الفرنسيين والمغاربة الذين لهم علائق مختلفة بالجنرال والذين ينتظرون من توليته ترقيات في مناصبهم لم يكونوا لينالوها بغير وجوده، ومن المهمّ أن نعرف هنا كون الإدارات المغربية فيها من مختلف الطبقات الفرنسية، وأن هذه الطبقات كلّها أحزاب متنافرة فيما بينها، كل يجرّ النار إلى قرصه كما يقال، وكلّهم يسعى لكسب الصفقة، وقد تصل الحرب فيما بينهم إلى عرقلة أعمال الحكومة نفسها وتأخيرها، تلك الأعمال التي يتّفقون كلّهم على الإيمان بأنها في مصلحة الاستعمار، ويجرف هذا السيل الموظفين المغاربة أيضًا فيختلفون أيضًا بالتبع لجهة من الجهات زيادة على اختلافاتهم الخاصّة، على أن من المهمّ أيضًا أن نلاحظ كون هذا التضامن غير ناشئ عن اختلاف في المبادئ أو تباين في النظريات فالقوم كلّهم متّفقون على العمل ضدّ مصلحة المغرب وعلى الاستقلال بخيراته والاستنزاف لمقدّراته، وإنما الخلاف شخصي قد يكون مصدره من داخل المغرب وقد يكون من خارجه أحيانًا.

أما حزبنا أو كتلة العمل الوطني، فلم تكن في الشقّ الذي يحبّذ تولية الجنرال مقيمًا في المغرب، بل تشاءمت من ذلك كثيرًا، لأننا نعرف جيدًا من هو هذا الرجل الذي كان في عداد الحملات العسكرية الأولى ببلادنا، والذي كان في وقت لوسيان سان رئيسًا لمكتب الاستعلامات، أي نعرف الرجل الذي رأس جلسات الظهير البربري معرفة جيدة وقد سبق لنا أن حاربناه هو ورئيسه، لكننا مع ذلك قلنا ربما كان الأمر بخلاف ما نظنّ، وربما كان الجنرال في صفته الجديدة رئيسًا للحماية وممثّلًا لحكومة ديموقراطية غير الجنرال الذي يرأسه لوسيان المنفّذ لسياسة حكومة رجعية، ثم نحن الآن لم يعد يهمنا أمر الأشخاص الذين سيعيّنون في الإدارة المغربية ما دمنا قد وصلنا بحركتنا إلى درجة يمكنها أن تسترعي أنظار أولي الأمر في المغرب وفي فرنسا، وأيضًا نحن في طور لا يمكننا معه من جهة إلا المعارضة المبدئية لتصرّفات الحماية، ومن جهة صبغ هذه المعارضة بشكل تعاوني، لأنه ما دامت الحكومة لا تعترف مبدئيًا بالحقوق الضرورية للمغاربة وما دامت لا تقبل إشراكهم الفعلي في المسؤوليات، فلا يمكننا أن نقبل التعاون معها على أساس أنها الآمرة ونحن المأمورين. ثم التعاون مطلوب وهو فكرتنا في الحقيقة، ولكن على أساس الثقة المتبادلة بين الشعب والحكومة، هذه الثقة لحدّ الساعة لم تظهر الحكومة استعدادها لأن تكون أهلًا لها، ما دامت تسيطر عليها سياسة التمييز والعنصرية، لهذا ولأسباب أخرى واضحة قرّرنا أن نغضّ الطرف عن تولية هذا الرجل وأن نعدّه ممثلًا للحكومة التي انتدبته، ورغم أن صديقنا الخلطي كان قد أرسل كتابًا للحكومة يحتجّ فيه على تعيينها لنوكيس، ورغم أن صديقنا م. روبير لونكي حاول أن يثير حملة صحافية ضد هذا القرار، فإننا عملنا على توقيف ذلك وعلى ملازمة الحياد من الجميع، خصوصًا وحربنا لبيرتون لا يزال لها طنين في الآذان فإذا استأنفنا الحملة على خلفه، كان من الميسور على خصومنا أن يتّهمونا بأننا نريد محاربة كل مقيم لأنه ممثّل لفرنسا رغبة في التشويش وإثارة الاضطرابات، وكنّا قد بعثنا زميلنا الأخ عمر بن عبد الجليل والأخ الوزّاني سفيرين لحكومة مدريد قصد المخابرة معها في عقد معاهدة حول المنطقة الخليفية (هذه المحاولة التي سنتحدّث عنها

في موضع آخر) فكتبنا لهما بأن يستعجلا الذهاب إلى باريس قصد مقابلة الجنرال وتقديم ملفّ يتعلّق بالقضية المغربية ومطالب الوطنيين عسى أن نسبق الإدارة المغربية في الاتصال بالمقيم الجديد فنكسب عطفه ونستفيد بعض الشيء لمصلحة المغرب العزيز. لكنّ الأقدار حالت دون هذه المقابلة، إذ ما إن وصل الإخوان إلى باريس حتى كان المقيم قد أبحر إلى المغرب. ومن جهة أخرى فقد أرسلنا نحن هذا الملفّ مع رسالة تهنئة وقّعها بالنيابة عن الكتلة الأخ اليزيدي وقد أجابه عنها المقيم حيث عدَّه رئيسًا للكتلة، ممّا يدلّ على أنه معترف بوجودها، وأيضًا فإنه كلّف الجنرال حاكم الناحية بالنيابة في فاس أن يوجّه ورائي ويتخابر معي في القضية العامّة وليطمئنني عن مطالبنا وعن حسن نوايا المقيم الجديد. وقد أرسل يستقدمُني إليه هذا الجنرال ذات يوم بواسطة شخص من قبيلة مرنيسة يشتغل بالنقل في مكناس ولما وصلت إلى منزله، أخبرني أنه أبى أن يرسل إليّ بواسطة إدارة الأمور الأهلية وبما أنه ليس عنده هنا صديق في فاس فقد استقدم هذا الشخص من مكناس لأنه على علاقة به منذ كانت العمليات العسكرية في مرنيسة ثم بلغني ما كلّفه به المقيم وتذاكرنا مليًّا في الحالة العامة بالبلاد وخصوصًا بالبادية، فكان يعترف بأن الحكومة حتى الساعة لم تعمل شيئًا لفائدة المسلمين، لكنّه كان يعتذر باشتغالها بأمر الأمن وتهدئة القبائل الثائرة وذكر نفسه مثالًا لذلك، إذ إنه لم يستوطن المدينة إلا منذ ثلاثة أشهر (أكتوبر/تشرين الأول 36) وقد مكث في المغرب عشرين عامًا كلّها وهو يتقلّب في الثغور المغربية كعسكري، وقد خرجت من عنده وأنا فاهم جيدًا ما ستكون عليه الحال، إذ إن الجمود السياسي كان باديًا على حديث الرجل. ومع ذلك قد وجّهت له من الغد ملفًّا يشتمل على برنامج الإصلاحات المغربية ومختلف الوثائق والمذكّرات، ولا بدّ من أن نلاحظ هنا أن تصرّفات المقيم قبل وصوله إلى المغرب كانت توحي بالاستعداد للاعتراف بالوطنيين وبمطالبهم، ولعلّ ذلك كان للجوّ الذي أحدثته وصايا بعض الوزراء الاشتراكيين للمقيم وبعض رجال السياسة الأحرار الذين قابلوه، وسنرى كيف تبدّلت هذه الصفة بمجرّد اتصال الجنرال برجال الاستعلامات، ممّا يدلّ على أن ليس للرجل شخصية قوية ولا إرادة ثابتة.

ـ وصل المقيم إلى المغرب فاستقبل استقبالًا عظيمًا وذهب جلالة السلطان بنفسه إلى البيضاء حيث استقبل المقيم وأولم له بقصره البيضاوي، وما إن مرت أيام الاحتفالات حتى كتبنا له رسالة باسم الكتلة نطلب فيها مقابلة وفدها المركّب من الأشخاص الآتية أسماؤهم:

- محمد اليزيدي.
- محمد غازي.
- أحمد الشرقاوي.
- محمد الديوري.
- أبو بكر القادري.
- محمد علّال الفاسي.

وقد رأينا أن نذهب أنا والأخ اليزيدي بأنفسنا لتسليم رسالة الطلب مع ملفّ يشتمل على الوثائق اللازمة لرئيس المكتب المدني م. كايا، استقبلنا فورًا، وتحدّث إلينا قليلًا، حديثًا زادنا معرفة بالحقائق، إذ كان يضرب على وتر أن المغاربة لا حقّ لهم في الاشتغال بالسياسة ولا في تكوين أحزاب ما دام عندهم ملك مسؤول عن ذلك كلّه، وأن الحماية لا يمكنها أن تعترف أو تتخابر مع سلطة غير سلطة جلالته المضمونة بالمعاهدات، وتكلّم عن الحريات العامّة فقال إنها ضارّة وإنها تجرّ إلى الاختلاف والشقاق. وضرب لذلك مثالًا فرنسا العريقة في الحرية والتي قد بلغت من الحضارة والثقافة درجة كبرى، قد وصلت فيها الحرية إلى الحالة التي نعرف كيف نستغلّها. أما نحن فلم نكن متشددين في الأجوبة بل كان يهمّنا أن نحتال على الاعتراف بالكتلة أكثر من كل شيء، لأننا نرى أن أول مرحلة يجب أن نعمل لها هي الخروج بالمغرب من الطور الذي يجعله تحت إدارة الحماية، إلى طور يمكنه أن يتمتّع فيه بالحريات، وفكرتنا أن قبول وجود حزب مغربي يطالب بالحقوق ولو مبدئيًا مسألة أساليب لهذا التطّور المنشود، لم يطل الحديث مع رئيس المكتب حتى خرجنا من لدنه ودخل على الفور مدير إدارة الأمور الأهلية، إذ

ذاك بينازي وكأنه سمع بزيارتنا فخشي أن ننجح في محاولتنا مع المقيم، فأتى ليحرص على تنفيذ خطة الاستعلامات التي هي إبقاء ما كان على ما كان، ولا بدّ من أن نشير هنا إلى أن وجود هذه الإدارة في المغرب أكبر معرقل لتطوير السياسة الأهلية، لأن رجالها يتخرّجون دائمًا في مدرسة واحدة ذات برنامج خاصّ، لا يمكن أن يوجّه أفراده في غير الاتجاه الاستعماري المحض مع الجمود على ما سارت عليه السياسة في السنوات الأولى للحماية وربما فصلت قليلًا فيما يأتي بعض مبادئ السياسة الأهلية كما يفهمها هؤلاء القوم البلداء تلامذة ليوطي وأنصار مذهبه.

بعد هذه المقابلة بيوم اتصل بنا رئيس المكتب يعلمنا بأن المقيم سيقابلنا ولكن بعد رجوعه من فاس ولم يزد على هذا شيئًا.

المقيم في فاس:

سافر المقيم إلى فاس فأعدّت له الإدارة استقبالًا عظيمًا أقلّ ما يقال فيه إنه استقبال الملوك الفاتحين، وألزمت السكان كلّهم بالاحتشاد وإقفال الدكاكين فكان اليوم ممتازًا تعطّلت فيه حتى المخابز على خلاف المعتاد في الاستقبالات وبرز الكلّ لساحة البغدادي حيث نصبت آلة دافعة وأقبل المقيم راكبًا صهوة فرس مطهّم يحيط به لفيف من قدماء الضباط وقدماء القوّاد المغاربة الذين شاركوه العمليات العسكرية ببعض نواحي فاس وهو يقلّد في هذا الشكل شيخه ليوطي، ولما وصل ألقى بين يديه باشا المدينة محمد التازي خطبة ترحيب عادية، ثم خطب المقيم خطبة سياسية ممتازة برهنت على كامل الاتجاه الذي سينحوه في سياسته. وقد علمنا من قبل أن هذه الخطبة محرّرة من طرف الاستعلامات أيضًا، كان في جملة ما قاله في خطابه أن سمّى رجال الحركة الوطنية بأطفال صغار وشبّههم بفراخ الطير التي تحبّ أن تطير قبل إبانها فتسقط في الأرض في كلام صبياني من هذا القبيل، حقًّا فإن هذه الخطبة برهنت كثيرًا على عقلية الجنرال وعلى استسلامه المزري لقدماء الموظّفين الفرنسيين وعلى أنه لا يملك فكرًا ولا إرادة، كما برهنت من جهة أخرى على حيوية الشعب المغربي الذي لم يكتم استياءه العظيم، ذلك

الاستياء الذي لم يَخفَ على المقيم بل كان سببًا في ندمه على تلك التصريحات التي أقلّ ما يُقال فيها إنها قبل إبانها وقد رجع باللائمة على الاستعلامات التي أوقعته في المحظور واتّهم مديرها بينازي بأنه فعل ذلك به عمدًا ليفسد عليه سياسته مع الاشتراكيين (ونلاحظ هنا أن في الاستعلامات حزبين متضادّين أحدهما يؤيّد بينازي والآخر ضدّه وربما انتهز هذا الفريق مثل ذلك الحادث للدسّ على بينازي).

أمّا نحن فقد لزمنا الصمت إزاء هذه التصريحات التي تضمّنتها الخطبة وتربّصنا ما تأتي به الحوادث، لأن الحنكة السياسية أوجبت علينا ذلك التربّص، نعم قرّرنا أن نعقد مؤتمرًا وطنيًّا لدراسة الحال وتقرير الخطة السياسية التي يجب اتّباعها إزاء الجبهة ومقيمها مع تعيين المطالب المستعجلة التي يُعجل الشروع في تنفيذها أساسًا للتعاون المنشود.

استقبالات المقيم لنا :

رجع المقيم من فاس فاستدعى الأخ اليزيدي لمقابلته منفردًا فذهب إليه واستغرق التحدّث إليه 45 دقيقة كلّها حول السياسة المغربية وحول الحريّات العامّة، ولم يكتم المقيم على الأخ كونه لا يريد إعطاء الحريات العامّة للمغاربة لأنهم ما زالوا لم يستحقّوها، وكذلك الصحافة لأن ليس في المغرب قرّاء وأيضًا فنحن متى حصلنا عليها استعملناها للدعاية ضد فرنسا، ولمّا لاحظ عليه الأخ ما أعطاه المقيم م. كيون من الحرّيات للتونسيين الذين لسنا بأقل منهم استحقاقًا أجابه بصراحة أن ذلك شيء مؤقّت ولابدّ من أن ينزع منهم في القريب والأحسن ألّا تأخذوا حقًّا يزال منكم بسرعة.

وكان في تلك الساعة حدث مهم بالنسبة إلى أثره في الأوساط اليسارية هو عقد جمعية الطالب المغربية في تطوان مؤتمرًا علميًّا دعت إليه سائر الشمال الأفريقي. وكان ذلك إثر منع بيروتون لمؤتمر ط. ش. م. الذي كان سينعقد في الرباط، فاعتبر اليساريون ذلك استغلالًا من طرف الثوّار الإسبانيين للدعاية ضد فرنسا ولكسب عطف المغاربة خصوصًا والأفارقة عمومًا، وقد تكلّم المقيم مع اليزيدي عن هذا المؤتمر وقال له: إنه أعطى

الأوامر بمنع الناس من الذهاب إلى المنطقة لحضور المؤتمر وسأله عن سفر الأخ الحاج الحسن أبي عياد إلى تطوان وحضوره الحفلة الافتتاحية فأجابه الأخ بأن كتلتنا لن تشارك في المؤتمر لأنها لم تُدع إليه، لأنها هيئة سياسية والمؤتمر ذو صفة علمية والحاج الحسن سافر بصفته العلمية، ومكلّفًا من طرفنا بتقديم تقرير عن المؤتمر وما جرى فيه، لأنه لا يمكن لهيئة مثل هيئتنا أن لا تكون على بيّنة من مجريات حادث مثل هذا خاصة وأن له من الأثر الكبير في الوسط السياسي الفرنسي ما ليس بمجهول فأظهر المقيم اقتناعه وجرى الحديث على غير فائدة كبرى.

بعد يومين استدعاني المقيم بواسطة الناحية لمقابلته وكنت إذ ذاك في الرباط فتوجّهت إليه واستغرق حديثي معه ساعتين ونصف الساعة تناولنا فيها جلّ القضايا الحاضرة الخاصّة منها والعامّة.

وقد ابتدأت الكلام بالترحيب به والتفاؤل بقدومه بصفته رجلًا جمهوريًا ورجلًا عسكريًا تفاؤلًا بتحقيق مطالب المغرب وتمتعًا بالحرّيات الاجتماعية. أمّا هو فقد أطنب في الثناء عليّ وعلى عائلتي وذكر معرفته لوالدي ولعمّي وأثنى على دهاء هذا الأخير وذكائه السياسيّين، ثم رجع للتعليق على طلبي فقال: إنه جاء لتنفيذ برنامج واسع لفائدة المغاربة وإنه سيبدأ قبل كل شيء بالشؤون الاقتصادية رجاء رفع هذه الأزمة التي تثقل كاهل الفلّاح والصانع المغربيين، ثم بعد ذلك سيدرس بقية المطالب المغربية وينفّذ ما هو قابل للتنفيذ منها. وقد أجبته بأن هذا كلّه يتوقّف على إيجاد الحريات الضرورية، فلا يمكن للفلّاح أن تستقيم حاله ما دامت أرضه تنزع منه وما دام الولاة يجبون منه الضرائب والجبايات غير المفروضة وغير المحتملة. ثم لا يمنحونه حقّ الشكوى، وذكرت له مثالًا قضية حاضرة في الجنوب المغربي سجن فيها خمسمائة وخمسون من الأهالي لأنهم تأخّروا عن أداء ما فرض عليهم لأنهم لم يجدوا ما يدفعونه فبيعت قطع الأراضي التي يقتاتون منها مع أن القوانين لا تبيح بيع الأرض للمجلس الشرعي فضلًا عن غيره، وما دامت الحكومة أيضًا لا تيسّر للفلّاح وسيلة التطّور ولا تقيم له السدود ولا تمنحه من القروض والحرّيات التعاونية ما يكفل له حياة الأمن والرخاء، وقلت له عن الصناعة إنه

لا يكفي أن توزّع على الصنّاع بعض مساعدات طبيعية لا تسمن ولا تغني من جوع، بل يجب أن تعرفوا أن أزمة الصانع ليست كما تقول التقارير الرسمية إنها ناشئة عن الأزمة العامّة العالمية، بل إنها أزمة خاصّة ناجمة عن إفلاس وسائلنا الصناعية. فقد أصبحت غير صالحة لهذا العصر الذي استولى فيه الميكانيك بسرعته وجبروته، ولذلك فالإصلاح الذي يمكن أن يقدّم للصناع المغاربة هو مساعدتهم على تطوير صناعتهم وإرشادهم وتعيين خبراء فنيّين لتدريبهم مع المساعدات المادية والأدبية وإعطائهم الحرّيات الأولية للإنتاج وللتعاون عليه، وحرية النقابة للدفاع عن حقوقهم والتضامن في المطالبة بها، فأجابني بالموافقة على روح هذا الكلام وقال: إنه لا يعرف القضية التي وقعت في الجنوب، وسيبحث فيها ويطلق سراح المعتقلين فيها وإنه مسرور من تبليغه بها ويطلب أن نوافيه بما نعلم من المظالم التي هي في الحقيقة ناشئة من صغار الموظّفين دون علم من رؤسائهم (في مثل هذا الكلام المألوف) وإنه سيعمل على مساعدة الفلاح بالطرق المستعملة في العصر الحديث، وعن الصناع فقد قال لي: يمكنك أن تعتمد عليّ في العمل على تطوير صناعتهم وهذه مسألة سأجعلها في مقدّمة ما أهتمّ به من الشؤون الاقتصادية. أما حرية النقابة فلا يمنعني من منحها لهم إلا أنني أخاف أن يضيع نظام الحناطي المألوف عندكم، ثم إن عامّتكم ما زالت متأخرة فكريًّا ومتى أصبحت عندها النقابة خضعت بها لبعض الفرنسيين الذين يستغلّونها في الميادين الحزبية الفرنسية التي أنتم في مقدّمة منكريها، فقلت له ولكن من سيتولّى الدفاع عن هذه الطبقة حين تقوم الحكومة بعمل يشبه[1].

إننا لا نصدر في تفكيرنا وفي أعمالنا إلا عن فكرنا وما يمليه علينا شعورنا ووجداننا، وأنتم حين تطلقون هذه التهمة تحتقروننا كثيرًا بل تحتقرون المغرب كلّه، فقال: إنه وقع سوء تفاهم بيننا وإنه لا يقصد أن لنا علائق سياسية بالأجانب، وإنما هو يريد نصحنا من الاتصال ببعض الفرنسيين من الأحزاب المتطرّفة الذين ينفذّون الأوامر التي تأتيهم من روسيا وغيرها، إن اتصالكم

---

(1) هنا بتر في الحديث حيث ضاعت صفحة من الأصل.

بهؤلاء يضر بكم أكثر مما ينفعكم، إذ هو يدفعكم إلى التطرّف والثورة وذلك لا يؤدّي إلا للإضرار بشعبكم، فقلت له حقيقة إننا نعرف أشخاصًا من الفرنسيين عندهم مبادئ متطرّفة، لكنّ مبادئنا تتميز عن غيرها ونحن ذو مذهب خاصّ وبرنامج خاصّ، ونعتقد أن لنا من النضوج السياسي ما يجعلنا نؤثّر في الفرنسيين عوض أن نتأثّر بهم، ومطالبتنا بالحريّات ناشئة عن تقاليدنا المغربية فأنتم تعلمون طبيعة الإسلام الحرّة وطبيعة المغربي الذي عاش من أول يوم حرًّا مستقلًا إلى درجة الإباحة أحيانًا، فقال: هذا مجرّد نصح منّي والنصيحة من رجل يعتبر بمنزلة الأب لا تضرّ، فشكرته ورجوته أن يقدّر حركتنا قدرها، والمقيم كان يشير بهذا إلى بعض الفرنسيين التروتسكيين الموجودين في المغرب والذين نشطوا في الدعاية بعد انتصار الجبهة الشعبية ورغم أنني فهمت مراده، فإنني تجاهلته، لكنه عاد فصرّح لي بأنه سينفي بعض هؤلاء الأفراد وسمّى منهم موران غير أنه لم يفعل، بل قابله في فاس بكل احترام، وتكلّمنا عن العدلية فقال إنه كان قد شكّل لجنة لإصلاحها والآن سيبعثها وسيطلب إلينا المشاركة فيها، فقلت له إنه لا يكفي أن تشكّل اللجان بل نريد عملًا جديًّا، وخضنا في التعليم فكان في الجميع يَعِد. لكنه لم يوفِ بشيء، ثم ذاكرته في تسريح درسي الذي كان منع في أثناء وزارة دوميرك، فقال إنه سيدرس ملفّ القضية ويتخابر معي في الموضوع من بعد (ولم يفعل أيضًا).

وكانت النقطة المهمّة التي حاولت مرارًا الخوض فيها وهو يتفلّت منها مسألة الكتلة والاعتراف بها، لكنّني لمّا رأيت المقابلة ستنتهي اضطررت إلى المصارحة فقلت له: هذه مقابلة خاصّة بي وقد طلب وفد كتلتنا المقابلة فهل ضربتم له موعدًا، فتلعثم قليلًا ثم قال:

أنا مستعدّ لمقابلتكم دائمًا والتفاهم معكم في كل شيء، ولكن لا يمكنني أن أعترف بوجود هيئة رسمية لأن ذلكم يتنافى مع السلطة الشريفة التي نحميها، فقلت له إن هذه الهيئة لا تكون حكومة ولا سلطة وإنما هي كسائر الجماعات السياسية تقوم بالبحث والاقتراح وتنظيم الحركة المغربية ونحن لا نطلب إليكم أن تُصدروا للاعتراف بها مرسومًا خاصًا، ولا نريد أن تصرّحوا بوجودها، لأنها هي موجودة في أيّ حال ونحن الذين نقابلكم أفرادًا أو

جماعة لا صفة لنا اليوم إلا مشاهدين لأن التمثيل يكون بالانتخاب العام ومصادقة الشعب، وهنا اضطررت لأن استعمل شيئًا من التهديد فقلت: يا سيدي اعترفوا لنا بالحريّات تروا مظاهر هذا التأييد أو فتمسّكوا بموقفكم تروا تضامن الشعب معنا في المطالبة فقال: في أي حال هذه أولى مقابلاتنا ولا بدّ من أن نتفاهم بعد في جميع النقط، ثم خاض في الثناء على نفسه ووصفها بمحبّة الإسلام والمسلمين وأن المارشال ليوطي صبغه بهذه الصبغة فلا يمكنه أن ينفكّ عنها وسيظهر للمغاربة مقدار حبّه لهم وتفانيه في خدمتهم في كلام من هذا القبيل لا ينفع في دبير ولا قبيل.

اقتصر المقيم على مقابلتنا نحن الاثنين ولم يطلب بقية أعضاء الوفد. وكان يرمي بذلك وبالمقابلة الفردية إلى إعلان عدم اعترافه بالكتلة كهيئة سياسية، وهذا يتنافى مع الكتاب الذي وجّهه من باريس والذي يقول فيه[1]..

---

(1) إلى هنا انتهى ما وجد من هذه الوثيقة التي اخترتها لتكون مقدمة لهذه النقط من مذكرات منفى الزعيم علّال رحمه الله.
وقد رأيت أن ألحق بهذا التعليق بيانًا يكون صلة وصل بين هذه الوثيقة «المقدمة» وبين الأصل «نقط مذكرات المنفى»: فلقد توالت الأحداث عقب هذه المحادثات بين رجال الإقامة العامة الفرنسية ورجال العمل الوطني بإقدام الإقامة العامة على إلقاء القبض على زعماء الحزب الوطني وإبعادهم منفيين إلى مختلف أنحاء البلاد.
وبخصوص الزعيم علّال وبتاريخ 25 أكتوبر/تشرين الأول 1937 أصدر المقيم العام الفرنسي قرارًا بإلقاء القبض على الزعيم علّال وعلى الأستاذين عمر بن عبدالجليل وأحمد مكوار ووجّهوا أولًا إلى ميدلت وفي الغد لحق بهم الأستاذ محمد اليزيدي بقصر السوق حيث مكث معهم الزعيم علّال بضعة أيام، ثم وجّه لكولميم. ثم ردّ لقصر السوق ومنها نُقل في طائرة مع القبطان روكس إلى الغابون: مرورًا بتندوف ثم الركيبات فأطار، فالسينيغال، فغينيا فالسودان فساحل العاج فالكامرون. في كل محل يقيم ليلة أو ليلتين. إما بالسجن أو بالكمسارية وبعد أسبوعين وصل إلى ليبرفيل عاصمة الغابون حيث مكث شهرًا مع الضابط روكس وبعد ذلك وجه في العبّارة إلى بوجانتي حيث مكث ثلاثة أيام تحت الحراسة. ثم منها في يخت إلى مدينة لامباريني حيث مكث خمسة أيام. ومنها نقل إلى قرية «أنجلي» على ساحل لوكوي وهي القرية التي كان معتقلًا فيها وتوفي بها الزعيم سيكوتوري، وفي قرية أنجلي هذه التي وصلها يوم 10 ديسمبر/كانون الأول 1937 ابتدأ بكتابة هذه النقاط من مذكرات المنفى التي أقدّمها هنا كما حرّرها بخط يده.

القسم الأول

من نقط مذكرة المنفى

ابتداء من 10 ديسمبر/ كانون الأول 1937م

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم

10 ديسمبر/كانون الأول1937

- وصلنا أنجلي عند الساعة 11 مساء.

- زرنا المدبّر الذي أوصلنا إلى منزل أعدّ لنا وهو دار المسافر.

11 ديسمبر/كانون الأول

- صباحًا استقبلني المدبّر بإدارته وقال لي إن كل ما تتوقّف عليه يمكنك أن تطلبه منّي، ثم أعلمني بأنني سأكون حرًّا في القرية، ولي فرض من الحكومة لم يذكر قدره وأعطاني 300 فرنك لشراء الحاجيات الأولى.

15 ديسمبر/كانون الأول

- حلّ بأنجلي الدكتور ريشارد وزوجه ونزلا معنا في دار المسافر، وذهب الرفيق روكس للنوم عند الدكتور كيلوك، طبيب أنجلي، وهذا البيت هو ثالث البيوت الذي أُبقي للمسافر ريثما يبني له منزلًا آخر.

- في هذا اليوم والذي قبله تمكّنت من الاطّلاع على مجموعة المراسلات الخاصة بي، ومن بينها:

- رسالة من بوليس لاربينيون تبيّن المعاملة التي سار عليها مع الزعيم عبدالكريم. طلبت من الإقامة العامة لتكون دستورًا في معاملتي.

ـ مراسلات من الإقامة المغربية لروكس ولحكومة الغابون في القاعدة التي سار عليها معي، وأهمّ ما فيها الاحتياط والمراقبة في المراسلات وفي الاتصال بالمسلمين عمومًا وخصوصًا في السنغال والأوسا إلخ...

كانت رسائل الإدارة المغربية لروكس تسمّيني سجينًا، في حين أن الرسائل الرسمية تعتبرني منفيًّا محصورًا بالقوّة.

ـ تلغراف شُكر من الإقامة لروكس على مقاله في الدفاع عن المقيم، والردّ على جريدة المغرب الاشتراكية في قضية إبعادي وكان مقال روكس قد نشر في جريدة (جوسي بارتو) وكنت قد اطّلعتُ عليه في بروجانتيل بإمضائه وأريته إيّاه فأنكر وقال إنه لشخص سياسي آخر في باريس.

ـ كتبتُ اليوم رسالة للوالد وهي الثالثة.

ـ وصلت الباخرة اليوم، ولم تصل معها رسالة الوالد التي قالت الاستعلامات في إحدى رسائلها لروكس: إنها ستوجّه مع الطيّار المقبل.

16 ديسمبر/كانون الأول

ـ وصلت رسائل من المفتّش العام لحكومة الغابون تعلن أنه سيكون هنا يوم الواحد والعشرين لأجل التفتيش في شأن إقامتي.

ـ علمتُ من ملفّ (علّال الفاسي) أن وزير المستعمرات هو الذي طلب أن يُجرى لي كشف صحّي.

ـ بيان مستشفى المدينة الحرّة عن صحتي يقول: إنها جيدة وليس هناك ما يستدعي شيئًا خاصًّا.

ـ جميع مراسلاتي يجب أن تُوجّه بواسطة الإدارة المحلية ومن طريق براسافيل (الكونغو) (لا من طريق ليبرفيل) والكلّ يبعث للإقامة العامة من أجل الفحص.

ـ كل ما يرد لي من كتب وجرائد ومجلّات ورسائل وملفّات وبضائع كلّها ترجع للإقامة من أجل الامتحان.

- باقي الرسائل كلّها في شأن المعاملة المادية وطرق إيجاد الحاجيات التي أتوقف عليها.

18 ديسمبر/كانون الأول

استدعاني المدبّر اليوم فذهبت معه ومع روكس لزيارة الطريق التي شرع في تعبيدها لتوصل بين أنجلي ومتزيك وهي ضمن الغابة وقد أُنجز منها 13 كيلومترًا.

- العمّال كلّهم من الأهالي، يخدمون بفرنكين في اليوم 12 ساعة.

اطّلعت على رسالة أخرى للمدبّر في شأني وفيها زيادة على ما سبق أن يقيم نحوي مراقبة متوسطة من بعد، وقد علمت أنه كلّم سرجان الحرس بملاحظتي كما كلم مكلّف البريد في شأن مراسلاتي.

- القبطان سيلان هو الذي يراسل روكس.

- كل الرسائل تؤكّد مسألة المسلمين وملاحظة اتصالي بهم ومقدار العطف الذي أجده منهم مع أنه ليس في أنجلي مسلم إلا ولد صغير داهومي لا يتكلّم العربية.

- هجم علينا البعوض والنمل ذو الأجنحة والذباب الصغير بكيفية غريبة وقد نشأت في جلدي من لسعاتها ثآليل صغيرة نجمت عن الحكّ والتآكل، وليست جربًا ولا نوعًا معروفًا. وقد قيل عن أنجلي إنها معروفة بهذا دائمًا.

- تذكّرت بهذا شريطًا سينمائيًا كنت قد رأيته في الرباط اسمه (فيف فيلا) حول تحرير المكسيك وقد اتخذ فيها المستعمر وسيلة لإعدام بعض زعماء الحركة وهي أن قيّده وطلاه بالعسل وأطلق عليه قربة النحل والنمل ذي الأجنحة فما زالت تلسعه حتى مات. وقد قلت لروكس إنكم فعلتم بي مثل هذا فابتسم...

21 ديسمبر/كانون الأول

- حلّ هنا المفتّش العام لحكومة الغابون.

22 ديسمبر/ كانون الأول

ـ زارني المفتّش في المنزل هو والمدبر ومعهما روكس وقد سألني عمّا أحتاجه فطلبت الجرائد، فقال نعم تصلك. ثم تحدّثوا في شأن المنزل وإصلاحه وصنع مظلّات له حتى يصبح صالحًا للعادات الإسلامية وتكلموا في موضوع اتّخاذ مركز البريد دارًا للمسافر. وقد أعلمته بعدم وجود المواد الأولية في أنجلي ووجود البعوض بكثرة ثم حيّاني وذهب.

23 ديسمبر/ كانون الأول

ـ في صباح اليوم كان روكس يكتب رسالة للمغرب وقد سألني ماذا قررت في أمر إتيان زوجتي وابنتي. فقلت له إن هذا المحلّ لا يوافق ولا أحبّ أن أعذّب زوجتي. فظنّ أنني متأثّر فقال لي: «ليه شنو يحبسك» فأغلظت له الجواب وقلت له: لا تقل هذا فأنا لم أطلب منكم تسريحي. إنني مستعد لتحمّل أكثر من هذا في سبيل المغرب. فتراجع وكلّمني بلين في الموضوع فقلت له أنا لا أكره مجيء زوجتي وبنيتي، لكنّني أرجوكم أن تعرضوا عليهما الأمر فإن قبلتا باختيارهما فذاك وإلا فلا.

في العشيّ عاود الكلام معي في الموضوع مع إظهار نوع من العطف. وقال إنه والمفتش اتّفقا على أن يقترحا على الحكومة تبديل أنجلي بغيرها من القرى حيث توجد مواد الغذاء، فلم أشكره وسألته هل إلى داخل؟ فقال لا ولكن ضمن دائرة الغابون.

24 ديسمبر/ كانون الأول

ـ اليوم موعد احتفال المسيحيين بذكرى ميلاد المسيح عليه السلام وقد ظلّ سكان القرية جميعًا يستعدون للتوجّه إلى الكنيسة الكاثوليكية. وفي الليل ذهب جلّهم كما ذهب الفرنسيون الموجودون هنا جميعًا ومن بينهم المفتّش وروكس والمدبّر وقد كنت أودّ الذهاب لمشاهدة الحفل لكنّني لم أفعل، وخصوصًا أن المدبّر لم يستدعني.

ـ بتّ وحدي تقريبًا في القرية مع بعض العجزة والضعاف ومع ذلك فلم

أجد أدنى غربة بل شعرت بطمأنينة تامّة وجلست هزيعًا من الليل للصلاة وحمدًا لله على التوحيد ثم كتبت بعض المذكرات.

- خطر لي أن أنظم قصيدة في الثناء على المسيح وإحياء ذكراه، اقتداء بالرسول عليه السلام لمّا دخل المدينة ووجد اليهود يصومون عاشوراء لأنّ الله نجّى فيه موسى. فقال: نحن أحقّ بموسى منكم. وصامه وأمر بصيامه.

25 ديسمبر/كانون الأول

- ظلّت القرية هادئة، وأهلها نيام من أثر السهر، ولم يكن هناك مظهر خارجي للعيد، وحتى الدكاكين الثلاثة الموجودة كانت مفتوحة.

- حتى الساعة لم يتجدّد شيء. ولم تصلني رسالة الوالد على الرغم من وصول البريد أيضًا، ولم تصلني الجرائد الموعود بها.

26 ديسمبر/كانون الأول

- اليوم يوم الأحد وثاني عيد الميلاد وقد توجّه روكس صباحًا هو والمدبّر والمفتّش والطبيب والتاجر بوتي والدكتور نزيانا إلى الكنيسة لحضور الصلاة التي ستقام في الثامنة من هذا اليوم، وهذا يدلّ على تمسّكهم بالمسيحية، وعلى أن مظهر اللادين الذي يتظاهرون به غير صحيح.

خفّت عنّي الثآليل وأصبحت منحرف المزاج أشعر بوجع خفيف في معدتي وأخشى أن يكون ناجمًا عن سوء التغذية، فنحن هنا في أكثر الأوقات لا نأكل إلا المرقدات التي تباع في الحقاق لفقدان المواد فقدانًا غريبًا.

27 ديسمبر/كانون الأول

- رأيت روكس يكتب رسالة مطوّلة للمغرب كجواب عن بعض الرسائل الواردة في شأني. ولم أعرف مضمونها، لكنّني فهمت أنه يستفهم عن بعض النقط.

- وصلت أعداد من جريدة الجورنال من تاريخ 19 نوفمبر/تشرين الثاني - 2 ديسمبر/كانون الأول وفي العدد 30 نوفمبر/تشرين الثاني خبر عن رواج الاستياء الأفريقي في مجلس الوزراء وذكروا أن سارو قدّم للوزراء برنامجًا

يشتمل على إصلاحات تطبّق في المغرب والجزائر وتونس في العدلية والتعليم والاقتصاد وقد سررت بذلك كثيرًا إذ إننا استطعنا أن نلفت نظر شعبنا الذي ما التفت إليه قط. وإذا كان هذا الإصلاح سيتحقّق ولم يكن مجرّد ذرّ للرماد في الأعين فهو عزاء لي عن الألم الذي أجده في غربتي.

وفي عدد آخر مراسلة من المغرب تنبئ بأن الحوادث لا تزال موجودة يوم 22 نوفمبر/تشرين الثاني أي بعد مرور شهر ويومين على اعتقالنا. لكن الكاتب يحاول أن يعزو القلاقل والاستياء للناحية الاقتصادية ويستغله للمطالبة بإبطال عقد الجزيرة أو إقفال الباب المفتوح. ويلوّح أن الإقامة العامّة وسارو يحاولان استغلال الظروف أو الفترة التي تحدث عادة بعد المظاهرات (وخصوصًا أن كلّ القادة والبارزين في الحركة معتقلون) ليملوا عليَّ فسخ العقد للفائدة الرأسمالية الفرنسية التي لـ . . .[1] فيها قسم غير يسير.

ـ وفي مراسلة وصف للاحتفال بعيد العرش وتصريح السلطات بمضادّته للمظاهرات وثقته في الحكومة الفرنسية إلخ ...

ـ أمّا رسالة الوالد فلم تصل، وهكذا يأبى القوم إلا أن يعطوا الحجج الكافية في كل آونة على إنسانيتهم.

ـ ما زال المفتش هنا ولم يسافر، ويظهر أنه ينتظر الجواب عن اقتراحه وتقريره في شأني.

ـ اطّلعت على رسالة من ليبرفيل لروكس بتوقيع الحاكم العام للغابون تسمّيني (الديبورتي فلان) أي المرفوض أو المبعد. وهكذا في كل رسالة يتفنّنون في استعمال المترادفات.

28 ديسمبر/كانون الأول

زارني المفتش واستدعاني للذهاب معه لزيارة مركز البعثة البروتستانتية، وقد سرنا أنا وهو وروكس في الساعة الثالثة من عشية اليوم في السيارة المائية

(1) كذا بالأصل.

إلى المركز المذكور وهو يبعد عن مقر الإدارة في أنجلي ربع ساعة في السيارة المائية، وقد جاء في بسيط من الأرض على شاطئ وفيه غرس منظّم وبناء بسيط جلّه من الخشب وفيه كنيسة ومدرسة للبنين والبنات ومسكن لهم ومسكن لأعضاء البعثة هم والرئيس أختان وقد استقبلنا الرئيس استقبالًا حسنًا وطاف بنا على أقسام المركز كلّه، وسقانا الشاي وأطعمنا الحلويات وأخبرنا أنه هو والأختان بالمحل منذ ثلاث سنوات.

29 ديسمبر/كانون الأول

زارنا اليوم المفتّش وأرسل لي هدية قسطًا من اللحم.

- كتبت اليوم الرسالة الرابعة للوالد وليس فيها شيء زائد على الرسائل العادية، وطلبت منه أن يوجّه لي اليومية الفاسية والشاي الأخضر وقد طلب روكس الرسالة ليوجّهها هو حتى يعجّل وصولها حسبما قال.

- منذ ليلة الميلاد لم أذهب إلى زيارة المدبّر في الصباح طبقًا للنظام الذي أملي عليّ في اليوم الأول. وقد مضت ستة أيام دون أن يلاحظوا في ذلك شيئًا.

30 ديسمبر/كانون الأول

تكوّنت لي بثيرات صغيرة في الكمرة وعسيب الذكر وقد تشوّشت منها وعرضتها على الدكتور كيلوك طبيب المستشفى هنا وأخبرني أنها جرب في بدايته، وأنه في الغالب نشأ من عدوى وأنه هو أيضًا أصيب بذلك، لأن كل الأهالي هنا جربى فيعدى الساكن بذلك حينًا وضرب موعدًا لزيارتي في العشية قصد المعالجة.

وهكذا اختار الفرنسيون لي مأوى جامعًا، فالله المجير منهم جميعًا.

زارني الدكتور في العشي وغسل لي بنفسه هو وممرض أهلي وطلى لي الدواء والحقيقة أنه اعتنى بي كثيرًا جزاه الله خيرًا.

في الصباح وصل تلغراف لروكس من لامبارني يقول: إن رسالة وتقريرًا قد وصلا من طريق براسافيل.

ـ وصل المركب اليوم وقد حاز منه روكس رسالة ولفافة متوسطة الحجم لم أعلم ما بهما.

ـ استطعت أن أطّلع اليوم على الجوازين الدبلوماسيّين اللذين سافرت بهما أنا وروكس وهما باسم المقيم بصفته مقيمًا وجنرالًا قائدًا أعلى للجيش والموقّعين باسم رئيس المكتب السياسي، وهما عاديان إلا أنه أضيف بعد اسمي، فلان الموجّه لمركزه في أفريقيا أوكسيد أنطال .. ورقم جوازي 18، وجواز روكس 19. أما صورتي فقد اقتطعوها من صورة تجمعني أنا وعبدالعزيز بن إدريس وإبراهيم الكتاني كانت قد نشرت في المجلة المصرية (الرابطة العربية) لأمين سعيد.

ـ توجّه روكس للغداء عند راهب الكنيسة الكاثوليكية إجابة لدعوته، وقد ارتدى لبسة الضابط الرسمية، مما يدل على احترامه الأكيد للكنيسة.

ـ سمعت روكس في المساء يستفهم من الخادم فيليب هل يعرف لامبارني، وهل خدم فيها؟ فيظهر أن المحل الذي يقترحون نقلي إليه هو لامبارني وهو في المرحلة التي قبل أنجلي تبعد عنها بيوم في السيارة المائية[1].

حدث لي اليوم حادث تألّمت منه كثيرًا، ذلك أنني ساومت شخصًا في شاة صغيرة يعرضها للبيع فطلب 50 فرنكًا والحقيقة أنه قد ضاعف ثمنها، فأعطيته القدر المعتاد هنا لمثلها وهو 25 فرنكًا فتعزز قليلًا. فقال لي الخادم اذهب معه للكمندار ليفاوضه في شرائها فقلت لا بأس ولم يعارض الشخص، وكان الكمندار قد أوصاني إذا أردت شراء شاة أن أكلّمه لئلا يشمتوا بي في ثمنها فأجريت المسألة مجراها الاعتيادي ولكن ما إن وصلت القضية للكمندار حتى زجّ البائع في السجن لعدم بيعه بذلك المبلغ ومطالبته بالخمسين فرنكًا، فآلمني أن يدخل هذا الشخص السجن بسببي وتمنّيت ألّا أعود لأكل اللحم مطلقًا وما زلت أفكّر في وسيلة لإطلاق سراحه وما أظنّني ناجحًا.

---

(1) هنا بتر في المذكرات حيث ضاعت ثلاث صفحات من الأصل.

فاتح يناير/كانون الثاني 1938م

اليوم عيد رأس السنة الميلادية وقد استعدّ الأشخاص كلّهم للاحتفال بها أيضًا، والغريب أن سكان القرية رجالًا ونساء كلّهم يطلبون الهدية في هذا اليوم على خلاف المعتاد، وفي الصباح ما راعني، بعد أن استيقظت، إلا منظر العديد من الرجال والنساء والصبيان يحملون قناني صغيرة من الزهور يقدمونها لي مع التهنئة برأس السنة ويطلبون الهدية بالطبع، فاضطررت ألّا أخيّب قصدهم وأن أقتطع من المصروف الضروري بضعة أيام ما أؤدّي به الواجب لهؤلاء القصّاد، وتذكرت حالة المعتمد بن عباد وقد وصل إلى طنجة أسيرًا وتعرّض له ابن .... الشاعر المغربي وامتدحه فما كان معه إلا بضعة دنانير أعطاها له وبقي خلوًّا وأنشد قطعته المشهورة:

طلبوا العسير من الأسير ...

ومن جهة أخرى فقد سررت أن جعلني الله موطنًا للقصد هنا كما في المغرب، ولم أقصد هنا من الطبقة الضعيفة بل حتى من طرف الكتّاب لدى الإدارة الذين قدّموا لي رسائل التهنئة وطلب الرفد فالحمد لله في أيّ حال أن كنت مطلوبًا ولم أك طالبًا.

أصبح المساجين والعمال يخدمون اليوم كالمعتاد دون أن يأخذوا حظّهم من راحة رأس السنة، وقد لاحظت هذا على الدكتور جاري فقال لي يا سيدي هنا في المستعمرات لا يعتبر هؤلاء الحكام عيدًا ولا احتفالًا ولا عطلة أسبوعية كما في فرنسا.

- توجّه المدبّر للتبريك على الراهب الكاثوليكي لدخول السنة الجديدة.

- في مساء اليوم كانت زوجة المدبّر بباب منزلي تتحدّث إلى زوج الدكتور جارنا وكنت واقفًا فاشتركت معهما في الحديث. وقد استفدت من حرم المدبّر أن نقلي في الغالب سيكون إلى مويلا لا إلى لامبارني، ومويلا هذه في سمت أنجلي ولكنها قريبة من براسافيل عاصمة الكونغو وبينهما طريق برية.

2 يناير/كانون الثاني

في عشية اليوم خرجت من المنزل للتفسّح قليلًا في دروب القرية فلقيت شيخًا أسود تكلّم معي بالعربية وأخبرني أنه مسلم وأنه من بحيرة تشاد ويقيم في بوي التي تبعد عن أنجلي ستّة أيام سيرًا في الفلك الأهلي واسمه مؤلم إديال ومعه ولده أصيب بمنانجيت منذ ثلاثة أشهر فذهب به إلى مستشفى لامبارني قصد العلاج ولكنهم ذكروا له أن ذاك الداء لا يمكن علاجه وأخبرني أن في بوي عشرين من المسلمين هو كبيرهم وأنه أسّس لهم مسجدًا يجتمعون فيه للصلاة وقد أنست به قليلًا لأنه أول مسلم لقيته هنا يتكلّم العربية وذكر أنهم في لامبارني أخبروه بوجود عربي هنا فاشتاق لرؤيته وسألني عن خبري فقصصت عليه قضيتي فأظهر ألمًا كبيرًا. وسيتوجّه غدًا إلى مقرّه ببوي.

ـ سألت هذا الرجل عن مويلا هل فيها أحد من المسلمين أو العرب فقال إنه لم يزرها ولكن لا يظن أن فيها مسلمين أو عربًا ولم يسمع بذلك قط.

3 يناير/كانون الثاني

في هذا الصباح سافر جميع البيض الموجودين في القرية سواء المقيم منهم أو المجتاز وبقيت وحدي أي أنني هنا الآن: المسلم الوحيد والعربي الوحيد والمغربي الوحيد والأبيض الوحيد والمبعد الوحيد. ومع ذلك فقد رزقني الله من الطمأنينة ما لم يكن في حسباني.

ـ من بين الذين سافروا الدكتور جيرارد بول نزيل منزلنا وهو يسافر إلى ليبرفيل يسير ثلاثة أسابيع أخرى حيث هو موظف هناك ويشتغل بالبحث في أصل الأنواع على مذهب داروين وقد استصحب معه من هنا هيكلًا عظميًا لقرد من نوع غاريغولا. وقد أخبرني أنه يضع تأليفًا في تأكيد المذهب الدارويني بحسب دراسته الخاصة.

ـ زارني المفتش قصد الوداع صحبة الدكتور كيلوك وقال لي: إن من الممكن أن تنتقل إلى مويلا وقال: إنها أحسن من أنجلي من جهة وجود دور حرّة ومن جهة قلّة الحشرات والبعوض، ووجود المواد الغذائية.

ـ بعث لي المعلّم إديال في هذا الصباح قبل سفره بطاقة وداع ودعاء مكتوبة بعربية ملحونة كلها أخطاء في الإملاء وممزوجة بألفاظ عجمية لكنها تشتمل على عواطف طيبة، وهذه أول مرة أتسلّم بطاقة أو رسالة منذ أخذت أي منذ 73 يومًا.

4 يناير/كانون الثاني

نظرًا إلى فقدان المواد الضرورية هنا فقد اشتريت سنّارة واستأجرت شخصًا يصيد السمك على أن أشتري منه ما يصيد بثمنه المعتاد كلما احتجت إلى ذلك وهو يقدّمني على الغير.

بعد الغداء ورد طبّاخ المدبّر الذي سافر معه صحبة المفتش اللامبي وأخبر أن مركبة المدبّر انقلبت وسقط هو وما معه من الحوائج والطبّاخ وغيره من الأشخاص لكن الجميع نجا إلا المدبّر فقد مات، وقد وصل الطبّاخ ليبلغ الخبر لزوجته التي تألمت كثيرًا وكادت تقتل نفسها لولا أن أمسكها الحرّاس، وقد تألّمت لهذا الأمر جدًّا، فإنّ المدبّر كان رجلًا طيب الأخلاق لم أجد منه غير الجميل وآلمني بالخصوص حال زوجته التي بقيت مثلي غريبة هنا ولله في خلقه شؤون لا يعرف حكمتها إلا هو.

والمدبّر لا يزال في ريعان الشباب ونضارته قويّ الجسم كامل البنية رتبته العسكرية كمندار ويشتغل بجد في وظيفته وقد رأيته يقف على الأمور كلها بنفسه، وهو من هؤلاء الفرنسيين المرابطين في هذه الأرض السوداء والذين يضحّون أحيانًا بحياتهم في سبيل نفوذ بلادهم فيستحقّون كل تقديس وإعجاب، ومن بينهم أطباء يرابطون في سبيل معالجة الأمراض الكثيرة هنا فلا حول ولا قوّة إلا بالله، وقد أخبرني بعض الأهالي أن كثيرًا من البيض يموتون هكذا مع هذه المركبة الفلك الأهلي التي هي عبارة عن أصل شجر منحوتة في شكل سمكة يجذّف بها أشخاص بمقاذف تشبه مطارح الخبز عندنا في المغرب، فبما أن داخل الوادي ممتلئ بالأحجار الكبيرة فإن السيارة المائية لا تستطيع الاجتياز فينتصب المسافرون على الفلك الأهلي الذي سرعان ما يصطدم بالصخور فينقلب ركابه إلى أعماق الوادي.

ـ تبيّن أنه فقد مع المدبّر حارس من الطبقة الأولى واثنان من المجذّفين، وقد ذهبت جثث الكلّ، وإلى الآن لم يظهر لها أثر، وفي الوادي الكثير من السابحين يبحثون عنها دون أن يقفوا لها على أثر.

ـ ذهبت لتعزية حرم المدبّر فآلمتني حالها كثيرًا.

ـ أعارني الدكتور كيلوك 16 كتابًا فرنسيًّا للمطالعة وكلّها روايات لبعض مشاهير الكتّاب الفرنسيّين المختلفي الآراء، ولكن للأسف لا أفهم ما تحتوي عليه. وهذا عنوان على حسن عاطفة هذا الطبيب الشاب.

5 يناير/كانون الثاني

حين أويت إلى الفراش هيّج عاطفتي مصرع هذا الرجل فنظمتُ قصيدة تحت عنوان (مصرع رهيب)، وما زلت أفكّر هل أقدّمها لزوجته أم أحتفظ بها، لأنني أخشى أن يظنّوا ذلك رشوة منّي.

ـ وصل في مساء الأمس كيلوك.

رقد في الصّباح مدبّر لامبارني.

ـ وصل اليوم على الطريق البريّة من ليبرفيل إلى هنا سائحٌ ألماني يظهر أنّه يتجوّل في أفريقيا وقد جلب معه توصية الحاكم على ما أظنّ، ونزل في البيت الذي عندي في الدار للمسافر، وجهة السائح ماكو كو وهو يفتش عن الهياكل العظمية للبحث في أصل الأنواع.

ـ رجع المفتّش من وجهته لحضور جنازة المدبّر التي لم يعيَّن موعدها بعد.

6 يناير/كانون الثاني

وصلتْ اليوم الباخرة، وكنت أظنّ أن روكس سيرجع اليوم فيها لحضور جنازة المدبّر، ولأنَّ الأيام التي قال إنه سيمكثُها في لامبارني مضت، فأرسلتُ الخادم ليحمل له القشّ ولكنّه لما وصل لم يجده، واستعلم خادم المركب فقيل له: إنه يوم رأس السّنة، وقد سافر إلى ليبرفيل.

فلست أدري هل سافر نهائيًا، مع أن الأوامر التي عنده تلزمه السفر على طريق الكونغو، أم أنه ذهب لمسألة نقلي إلى مويلا والمخابرة في شأنها مع الحاكم العام أم ذهب للتفسح، أيًا كان فقد يلذّ لبعض الفرنسيين أن يكذبوا، فأيّ سياسة في عدم إخباري بالحقيقة في هذه المسألة البسيطة؟

ليست إلا النفسية التي تحب أن تشعر صاحبها بما لست أدري اسمه وقد توجّه وأخذ معه كثيرًا من القشّ المخصّص لي مما يدل على أنه سيرجع.

- اليوم رجع الطبّاخ الذي ذهب مع المدبّر وأخبرني أن المفتش أيضًا سقط في الماء ولكنه استطاع أن يخرج فَنَجا.

- صحّ عزمي على تقديم القصيدة، وقد زارني الدكتور فأخبرته بها وتوجّهت معه إلى المفتّش حيث أطلعته عليها فأظهر سرورًا واهتمامًا كبيرًا لمعرفة مضمونها. فبيّنته له بحسب ما أمكنني مما أعرف من الفرنسية، ثم ذهبنا جميعًا عند السيدة حيث ودّعناها على ظهر المركب وسلّمت لها القصيدة. وقد سافرت راجعة إلى فرنسا وصاحبها بوتي الذي كان صديقًا للمتوفّى.

- ما زلت أنتظر رسالة الوالد الموعود بوصولها والتي لم تصل بعد.

- تحدّث إليّ المفتّش وصرّح بأنه وجّه مشروعًا لنقلي إلى مويلا وأكّد أنها أحسن من أنجلي.

أما أنا فمع تقديري لعاطفته ما أحببت أن أظهر له اهتمامًا بتغيير أنجلي حفظًا للكرامة.

7 يناير/كانون الثاني

وصل مساء الأمس الكمندار كاتب رئيس بورجنتيل ليقوم مقام المدبّر المتوفى ريثما يعيَّن خلفٌ له.

- بعد زوال اليوم استدعاني المدبّر المذكور وطلب إليّ أن آتي في ضحى كل يوم كالمعتاد، ولم يقم لاستقبالي كما كان يفعل المتوفّى وكما يفعل المفتّش.

ـ ظهرت أمس في مجرى الكوي الذي في أنجلي جثّة الحارس من الطبقة الأولى فدفنت في احتفال عسكري ومدني.

8 يناير/كانون الثاني

كتبت اليوم الرسالة الخامسة للوالد ودفعتها لقائم مقام المدبّر وقد استفهمني عن ترجمتها فقلت لا أستطيع فقال إنه سيبعثها لروكس ليترجمها فقلت له الأحسن أن تبعثها إلى مكتب الإقامة العامة وهي تترجمها، وأظنّه أنه لم يطّلع على ملفّ الرسائل المتعلقة بي، أما الوالد فما زلت أنتظر منه الرسالة التي قيل إنها وجّهت والتي لم تصل بعد. وقد أوحى إليّ انتظارها بقصة شعرية تحت عنوان:

تاريخ رسالة

بدأتها أمس وسأتمّها اليوم إن شاء الله على أنني لست متيقّنًا أن الرسالة التي أكتبها سوف تصل، ومع ذلك فإنني أكتب عسى أن يصل خبري إلى والدي المسكين وزهرائي الأسيفة.

زارني في العشية الدكتور كيلوك وقد سألته عن روكس هل سيرجع أم لا، فقال إنه لا يدري وكل ما يعرفه أن قبطانًا معاونًا اسمه ماسا سيأتي إلى هنا من أجلي في الطيارة في الأسبوع الآتي.

ـ وهذا الدكتور شاب لطيف طيّب الأخلاق وديع، يعتني بي في حالتي الصحية كثيرًا والحقيقة أن الفرنسيين الموجودين هنا الذين رأيتهم بهذه المستعمرة كلّهم ليّنو العريكة يفوقون الموظفين في المغرب بعدّة خصال حسنة، ومنهم الدكتور والمدبّر المتوفّى والمفتّش الذي أستشعر منه دائمًا حنانًا مكتومًا نحوي وعطفًا أقرأه في جبينه ويكفيك أنه اقترح من تلقاء نفسه نقلي من دون أن أطلب منه وكلّ هذا في الحقيقة من صنع الله بي.

وقد أحسست من كثير منهم استهجانًا للمظاهر التي يحب أن يتظاهر بها روكس ومن بينهم كمندار لامبارني الذي رأيته يغمز صديقًا له من أجل روكس وطالبته بإرسال البرقيات التي تخبر بوصوله.

9 يناير/كانون الثاني

وصل روكس اليوم وطلب جمع الحوائج لنسافر غدًا إلى مويلا.

- أظهر جميع الأهالي الذين علموا بسفري أسفًا، والحقيقة أن السود يألفون كثيرًا طبيعة الإنسان الفطري.

- اطّلع روكس على الكتب التي أعطاني إيّاها الدكتور كيلوك وسألني من أين أخذتها فأخبرته فلم يقل شيئًا.

10 يناير/كانون الثاني

في هذا اليوم ودّعنا أنجلي حيث تهيّأنا للسفر إلى مويلا، وقبل مغادرتها استدعانا المفتّش لزيارة جزيرة صغيرة في أنجلي فيها قبر أحد عظمائهم فذهبنا ثم ركبت أنا وروكس السيارة المائية وودّعنا على الشاطئ المفتش وبعض الأهالي وسرنا حتى وصلنا إلى موضع يقال له بيبولمام فأرحنا حيث حان وقت الزوال، ووصلنا لامبارني في تمام الساعة السادسة مساء ونزلت في دار المسافر ونزل روكس في بيت بعيد منها مسامت لها وبعث لي كمندار المركز ناموسية وسجينًا لخدمتي.

هذا وقبل مغادرتنا لأنجلي وبعد بدء السيارة في التحرّك وصل القائم مقام المدبّر يحمل جثة المدبّر السابق كوسد وكول حيث لفظها الوادي في صبيحة هذا اليوم وقد قرروا الصلاة عليه في كنيسة أنجلي الكاثوليكية يوم 11 يناير/كانون الثاني وحمل المفتّش روكس تلغرافًا يوجّهه من لامبارني إلى حكومة ليبرفيل يعلمها بذلك.

كلّفنا بإعلام الدكتور فأعلمناه ورجع في الحين لحضور جنازة المتوفّى كما عثر أيضًا على جثة واحد من المجذّفين المفقودين معه.

أسجّل هنا سروري بمغادرة أنجلي والخروج من شاطئ الكوي وأعتقد أن هذا من لطف الله بي وأنه لا بدّ من أن ينقذني من مويلا وغيرها من هذه الأرض السوداء.

11 يناير/كانون الثاني

أصبحنا اليوم في لامبارني وقد خرجت للتفسّح وحدي فإذا بها مدينة صغرى لا بأس بها، فيها الكثير من الأوروبيّين والمسلمين الداهوميّين وبعض السنغال ولهم مسجد صغير زرته ولم تسعفني الحال للدخول إليه وهو كسائر المساجد التي تؤسّس هنا، يحمل منارة علامة هلال كرمز للمسجدية.

ـ جاءني روكس وذهبت وإياه لشراء بعض الحاجيّات التي أتوقّف عليها.

ـ خرجت عشية هذا اليوم للتفسّح أيضًا في طرق المدينة فلقيت شابًّا يرتدي البذلة الفرنجية وبدون لحية فسلّم عليّ بالتحية الإسلامية وكلّمني بالعربية وأخبرني أنه إمام مسجد لامبارني وطلب إليّ الذهاب معه إلى دكانه فذهبت واشتريت منه قميصًا بعد ما حاول تقديمه إليّ كهديّة فلم أقبل، واسمه يوسف سليمان، ويظهر أنه لا يعرف العربية كثيرًا، ولكنّ عاطفته طيّبة، ولم يسألني عن اسمي وأنا لم أرد أن أفاتحه بذلك.

ـ لقيت شابًّا أيضًا أسمر اللون يتكلّم قليلًا من العربية وهو مسلم، لكنّني لم أجد الفرصة لسؤاله عن اسمه.

ـ عاودت عشية هذا اليوم لقاء يوسف سليمان فسألني: هل أنت مسلم فقلت: نعم من المغرب وأنا فلان الفلاني فجعل يحمد الله على لقائي ويقول إنه سبق له أن قرأ قطعًا من شعري وبعض آثاري وأنه يعرف اسمي كواحد من العلماء المغاربة الكبار، وإنه رأى أخيرًا خبر إبعادي إلى أنجلي في إحدى الجرائد المصرية مع إعلان أسف جميع المسلمين على ذلك. وقد أخبرني أنه سيزور في فبراير/شباط مويلا في طريقه إلى براسافيل وقد رافقته إلى باب المسجد عند صلاة المغرب فاستقبله المؤذن حيث أخذ منه درّاجته مع بعض المسلمين الآخرين.

ـ مررت على روكس فأخبرني أننا سنسافر الليلة في تمام العاشرة ليلًا بالسيارة المائية. وقد أسفت لذلك، إذ لم أكن أعددت الحوائج ولكنّ الله تعالى يسّر، فنزلت أمطار غزيرة أخّرتنا إلى الغد.

- أخبرني يوسف سليمان أن لهم مكتبًا لتعليم أولاد المسلمين القرآن والعربية، لم أره وأخبرني أيضًا أن كثيرًا من المسلمين بهذه الأرض سمعوا بي ويودّون رؤيتي فقلت له يا سيّدي إن الظروف لا تسمح بذلك الآن وعسى الله أن يفرّج عنا فنطوف أحرارًا في هذه الأرض حيث نتعرف إلى إخواننا ويتعرفون إلينا.

12 يناير/كانون الثاني

زارني صبيحة هذا اليوم روكس ومعه ماسا الترجمان في المغرب وأخبرني أنه ورد إلى هنا، وهذا هو الذي أخبرني كيلوك بأنه سيرد، لكنه ليس قبطانًا. بل هو يوطنا، وقد سلّمني رسالتين من طرف الوالد واحدة تحت عدد 2 والثالثة تحت عدد 3 يخبر فيها بسلامة العائلة ويقول إن لا زائد على ما قدّمته لك في الرسالة عدد 1، ولكنّ هذه لم تصل، وقد سألت من بعد ماسا عنها فقال إنهم أرسلوها، ويقول الوالد إنه حتى الآن لم يحظ منّي بكتاب وهذا أقصى العجب فقد كتبت له خمس رسائل وإلى الآن أي بعد ثلاثة أشهر لم تصل واحدة منها، ولم أعرف لماذا ورد الترجمان. وكنت أظن أنه جاء مصاحبًا لزوجته ولكن لم يصدق ظنّي فحمدت الله على ذلك.

- هنا في دار المسافر مكتب لبعض شركات النقل يستخلص فيه المال موظّف أهلي وقد جاء في هذا الصباح فكان في جملة الأفراد الذين وَرَدُوا عليه يوسف سليمان، وقد أخبرني أنه سيسافر في الباخرة إلى بورجانتيل وبعد رجوعه سيزور مويلا، وقد ودّعته وقال لي في وداعه: إنه دائمًا سيدعو لي بعد الصلاة، فشكرته على هذه العواطف الحسنة نحوي ونحو المبدأ الذي أخدمه.

- وبعدما خرج سألني الشاب الموظّف هناك هل أنت عربي؟ فقلت: نعم من المغرب، وتحدّثنا طويلًا عن المغرب، إذ سبق له أن كان في الجند الفرنسي وحضر المواقع العسكرية هناك فجعل يتحدّث عن بطولة المغاربة وعظيم استبسالهم في سبيل حقوقهم، وقال لي إنه لبث في المغرب اثني عشر عامًا. وقد اقتصرت على استماع حديثه.

ـ عاد في العشية الشاب الموظّف واسمه ...

فعاود الحديث معي عن المغرب والعرب وجعل يتأسّف على حالة أهالي مستعمرة الغابون وخمودهم، فكنت كأنما نشط من عقال حيث وجدت هنا من يحسّ بألم الاستعمار فأخبرته حينئذٍ بقصّتي وبأنني مبعد في سبيل المغرب إلى هنا، فقال لي لا بأس ثم قال: إن من غريب الاتفاق أن هذا البيت ينزل فيه كثير من المبعدين وقد سبق أن نزل فيه أولًا شاب من بحيرة تشاد وثانٍ منها أيضًا وأنهما لبثا مبعدين في بورجانتيل مدة ثم رجع الأول والثاني لا يزال وقال لي إن هناك في تشاد حركة دفاعية كبرى خصوصًا في القسم الفرنسي منها وقد تفاءلت برجوع هذا المبعد إلى هذه الأرض إلى بلاده، وقد تحدّثنا عن الحركة في المغرب وأفريقيا الشمالية وأفريقيا الجنوبية والغربية وخصوصًا السنيغال وتأسف على عدم وجود حركة في هذه الأرض وأخبرني أن الناس هنا يحسّون بالألم والاستغلال الكبير لهم، ولكن ليس لهم قائد يقودهم، وقال لي إنه وجد في أنجلي شخصًا دافع دفاعًا كبيرًا ولكنه مات، وقال إنه هو دخل السجن خمسة عشر يومًا من أجل انخراطه في الاتحاد النقابي وذكر كثيرًا من المظالم الواقعة بهذه الأرض.

ـ وقد أعطاني كتاب توصية لبعض أصدقائه في مويلا.

ـ أخبرني أيضًا أن يوسف سليمان أُبعد أربعة أشهر إلى بورجانتيل في تهمة سياسية.

ـ في الساعة السادسة من مساء هذا اليوم ركبنا السيارة المائية إلى سندرا في طريقنا إلى مويلا.

13 يناير/كانون الثاني

وصلنا صبيحة هذا اليوم إلى سندرا وهي عبارة عن دشرة في قطعة من الأرض لا تتجاوز هكتارًا وفيها عدد من الأهالي ومدبّر وبريد وليس فيها طبيب. وقد قيل لي إن أهلها مرضوا بحبوب لم يدروا اسمها فتوجّه الجميع إلى مويلا للطبيب.

تناولنا القهوة هنا ثم أخذنا الكاميون الذي أقلّنا مع الحوائج إلى فوامو فوصلناها بعد ساعة ونصف وهذه المرة الأولى التي نسافر في طريق برّية في هذه الأرض والطريق وعرة ولا توجد سيارات الآن، تناولنا الغداء في فوامو وبتنا فيها، وهي شبيهة بأنجلي وليست ذات انشراح والمواد الغذائية فيها قليلة أيضًا.

14 يناير/كانون الثاني

في الساعة الخامسة صباحًا من هذا اليوم أخذنا الكاميون الرسمي الذي أقلّ حوائجنا وركبنا أنا وروكس والترجمان ماسا ومدبّر فوامو، وهذه الطريق صعبة جدًّا ومسافتها مائة وعشرون كيلو مترًا ولكنّ الكاميون قطعها في سبع ساعات مع تعب شديد والتمايل والقلقلة وقد تكسّر الكثير من الحوائج، وهذه الطريق حديثة العهد وقال لنا المدبّر إن هذه هي المرة الثانية التي يسافر فيها الكاميون في هذه الطريق، والأهالي مسرورون جدًّا بمروره فكانوا يهتفون له هتاف المسرّة. وكنّا كلّما وصلنا إلى موطن صعب دعا المدبّر أقرب الساكنين إليه لحفره، وتسويته في الحين، وفي الطريق صادفنا أصل شجرة معترضًا لا يمكن معه المرور وهو في غلظ مترين ومتأصّل من الجانبين في الأرض وقد أوقدت النيران لإحراقه، وقيل لنا إن فناءه يحتاج إلى بقاء النار تسعة أيام أو عشرة فنزلنا وأرسل المدبّر يطلب الأهالي فوجدوا عددًا قليلًا من الرجال وعديدًا من النسوة فأخذ الرجال يقتلعون أصول الشجر والنساء يقلعون النبات، وفي نحو 15 دقيقة سُوِّي ممرّ عن يسار الأصل المعترض، وهكذا يقوم الأهالي المساكين لخدمة الأبيض والتعب في سبيله، وقد آلمني ذلك المنظر وبالأخص منظر النسوة اللائي يخدمنَ الرجال ومن بينهن مرضع تحمل طفلها الصغير فالأمر لله.

- أخذ روكس صورة عند أصل الشجرة وهي تحترق.

- ودّعنا المدبّر هنا حيث نزل لتصفية أشغال الترصيف الجارية وذهبنا نحن للتوّ إلى مويلا حيث وصلنا إليها حوالي الساعة 12 من هذا اليوم.

- نزلنا في موقف السيارات عند دكاكين تجارية، وذهب روكس وماسا في الفلك الأهلي للشاطئ المقابل حيث يسلمون الرسائل للمدبّر. وبقيت في الانتظار.

- بينما أنا أنتظر إذ جاء شاب سنيغالي يسلّم عليّ. وهو مسلم يتكلّم العربية جيدًا ويلبس الثياب المغربية مع الطربوش وقال إنه قريب العهد بزيارة مويلا وإنه جاء ليتعاطى فيها التجارة. واسمه الشريف المحفوظ وأخبرني أنه رآني في أثناء مروري إلى أنجلي في الباخرة وودّ لو وجد السبيل للسلام عليّ لكنّه لاحظ الحراس المراقبين لي، وجعل يطمئنني من جهة حلم الله وفضله فشكرته على ذلك، وقال إنه لا يوجد في مويلا إلا هو ومسلم آخر غير مستقيم الحال، لكنه قال: إذا مكثت يا سيدي هنا قليلًا فإن كثيرًا من المسلمين يفدون للسكنى هنا، لأنهم يسمعون بك ويعرفون جهادك في سبيل الإسلام والمسلمين، فقلت له أن يفعل الله خيرًا من ذلك ونرجع إلى أرض الإسلام، ثم جاء يسلّم عليّ المسلم الآخر وهو نجّار سنيغالي لا يعرف العربية وأخبرني أن كمندار مويلا ذكر له منذ أيام أنني سأرد إلى هنا... لكنه قال له: إن ابن سلطان المغرب يجيء محصورًا هنا، وسألني هل أن والدي (يعني سلطان المغرب) سيرد أيضًا، فلم أحبّ أن أتكلّم معه في هذا الموضوع. ولست أدري ما القصد من تسميتي بابن سلطان المغرب، أم هذا محض خطأ من المدبّر وهو بعيد. وسلّم علي أيضًا تاجر برتغالي هناك.

- جاء كابران في الفلك الأهلي يدعوني للذهاب فذهبت صحبة القس حيث جاء معي ماسا فأوصلني إلى الدار المعدّة لي.

- بعد الظهر جاء إليّ المدبّر وروكس وماسا، وقف روكس جانبًا وجعل ماسا يترجم بيني وبين المدبّر فبلّغني أن الحكومة فرضت لي خمس عشرة مائة فرنك شهريًا وأنني غدًا أزوره ليعطيني هذا الشهر، وهكذا كلما مرّ شهر أعطاني إيّاه، وأن هذه الدار هي للحكومة ولكنها أكرتها لي ولذلك فسيقتطع من المبلغ 200 فرنك من أجل الكراء. وقال يلزمك أن تدبّر حتى يكفيك المبلغ، ومع أن 200 فرنك ستؤثّر في، فما أحببت أن أظهر شيئًا وتركت الأمر إلى الله سبحانه، قلت له نعم، ما دامت الدار بالكراء فيلزم إصلاحها، فقال نعم غدًا نوجّه من يصلحها، وبلغني أن ماسا سيقيم هنا كترجمان بيني وبين الإدارة فإذا احتجت شيئًا أذكره له وهو يبلغه للمدبّر ثم خرجوا.

أما هذه الدار فهي عبارة عن ثلاثة بيوت مبنية بالطين ومسقفة بالحطب في شكل البناء البدوي الخالص.

15 يناير/شباط

في الصباح بعث إليّ المدبّر فذهبت عنده إلى الإدارة حيث وجدت ماسا فوقف الاثنان للسلام عليّ وأبلغني المدبّر أن هذه 1500 فرنك عن شهر يناير وفبراير (15 يناير/كانون الثاني 15 فبراير/شباط) وقال لي إن كراء الدار في هذا الشهر والذي بعده مسموح لك بها لتصلح المنزل. فقلت له لا. أنا أفضّل أن أدفعها وتصلحوا أنتم المنزل. ذلك أن الإصلاح يتوقّف على أكثر من هذا المبلغ فوافق على ذلك ووقّعت إيصالًا بالمبلغ ووقّعه بقدر الكراء ووقّع تحت اسمي الترجمان كتعريف لتوقيعي العربي واحتفظ المدبّر بنسخة والترجمان بنسخة.

ثم ذهبنا إلى المنزل الذي فيه روكَس فتفاوض معي في أمر العائلة وقال لي إنه سيسافر غدًا إلى المغرب ويبقى الترجمان هنا عوضًا عنه، فإذا أحببت مجيء العائلة كتبت للوالد ليرسلها وأن الحكومة ستعطيني تعويضًا إذا جاءت العائلة قدره 1000 فرنك أي أن الفرض سيصبح 2500 فرنك. فقلت له إنني أحب مجيء العائلة ولكن بما أنني لا أدري المدة التي أجلس فيها في المنفى فأشترط على الحكومة أن تنقلها كلما مضت بضعة أشهر لرؤية عائلتها ورجوعها إذا لم ييسّر الله سراحي. فقال لي: يحتمل ألّا تبقى كثيرًا هنا، فقلت له: هذا أمر لا يهمني الآن وإنما أريد أن أحتفظ بهذه الضمانة لزوجتي ففكّر قليلًا ثم قال لي إذن اكتب رسالتين إحداهما للعائلة والثانية للحكومة فوافقت على ذلك، وجاء بعدُ المدبّر وماسا فأخبرهما بذلك وتذاكروا بعيدًا مني ثم قال لي روكس أخّر الكتابة وفكر في الموضوع وسأزورك بعد العصر ونبتّ في القضية.

- جاء روكس بعد العصر صحبة ماسا، وبعدما أخذ لي عدة صور أخرى بعضها مع ماسا وبعضها منفردًا وأخذ منظرًا عامًّا للدار، ناولته الرسائل واحدة للوالد أشرح فيها الحال وأطلب توجيه الزوجة والثانية للصهر أطلب منه السماح بمجيء زوجتي. والثالثة للحكومة لمدير الشؤون السياسية

في المغرب أقبل فيها نقل الزوجة إليّ وأطالب بعدم عرقلة مراسلاتها مع عائلتها والتزام الحكومة بنقلها كلما دعت الحال لذلك بقصد صلة الرحم مع أقاربها ثم أرجعها، وأعطيته أيضًا قائمة بأسماء الكتب والجرائد وبعض الحوائج التي أطلب أن يرسلوها إليّ من المغرب ثم ودّعني وقال: أراك إن شاء الله في بلد آخر وهو يبتسم فقلت له: في المغرب بحول الله.

ـ فهمت من مجمل حديث اليوم أن ماسا سيمكث هنا ستة أشهر ثم يذهب إلى المغرب أو غيره.

16 يناير/كانون الثاني

في صبيحة اليوم سافر روكس في الكاميون إلى ليبرفيل حيث يطير منها إلى المغرب. ولم يسلك طريق الكونغو لأن المسافة التي بين مويلا وبنيت نوار ما زالت غير مستقيمة، ولم أذهب لوداعه. كما سافر صحبته مدبّر مويلا حيث سيقيم في فوامو وسندارا بضعة أيام ثم يرجع.

يوجد فرق كبير بين مويلا وأنجلي فهذه أخفّ من الأخرى من جهة وجود المواد المعاشية ومن جهة قلّة الحشرات واتساع الأرض. فالحمد لله الذي خفّف عنّي قليلًا وأرجوه سبحانه أن يرفع عنّي ضيق الأسر إنه ولي ذلك بمنّه.

ـ لقد أخذ معه كثيرًا من الحوائج التي قال إنه اشتراها لي في ليبرفيل سواء من شؤون المطبخة أو صالة الأكل ...

17 يناير/كانون الثاني

لقيت هنا مسلمًا من بحيرة تشاد، ولكنه لا يعرف العربية وقد قال إنه لا بُدَّ من أن يسافر لأنه لا يحبّ أن يموت بأرض الكافرين ..

18 يناير/كانون الثاني

في هذا اليوم بدأ العمال في إصلاح المنزل، ولكنهم لا يعرفون من طرق الإصلاح شيئًا.

19 يناير/كانون الثاني

في صبيحة هذا اليوم زارني الشريف المحفوظ فذهبت وإيّاه للتفسّح في ممرّ القرية وهو شابّ سلفي لطيف يميل إلى الإصلاح ويستنكف من حالة قومه وخضوعهم للمشايخ الكاذبين وقد أرشدته إلى كتب الإصلاح والسلفية الحديثة. وسألني عن أحسن الكتب في الفنون العربية فأرشدته إليها. وأرشدته بالخصوص إلى تأليف الشيخ محمد عبده ومدرسته. وبينما نحن في الطريق إذ جاء ماسا يبحث عنّي وأحبّ أن يعرف من هو السنيغالي فتقدّم إليه وجعل يطرح عليه أسئلة متعاقبة كأنه أمام قاضي البحث، ولكن الشابّ أحسن الأجوبة، وعلى الرغم من إعلانه أنه فرنسي التبعة فإن الآخر لم يخاطبه إلا بالإفراد ولم يتكلّم معه بالأدب الذي يقتضيه المقام.

- في هذا اليوم زارني في المنزل خمسة مسلمين من السنيغال سمعوا بي هنا فجاؤوا لزيارتي أربعة منهم برتبة سرجان في الجيش وواحد كابران في الحرس بمويلا وقد جاؤوا مرتدين اللباس المدني كعادتهم في المغرب حين يذهبون إلى المسجد أو إلى زيارة الصالحين، واثنان منهم كانا وقت الحرب الريفية في المغرب، وقد قدّمت لهم الحلوى وحثثتهم على التمسك بالإسلام، وقد استشعرت في هذه القرية بقدر الرابطة الإسلامية أكثر مما كنت أشعر.

20 يناير/كانون الثاني

اليوم أكملت ثلاثة أشهر من يوم اعتقالي، ولا أزداد معها إلا طمأنينة وثباتًا والحمد لله.

- في هذا اليوم زارني مسلم من برنو يدعى علي ولديه هنا تجارة صغيرة وقد أخبرني أنه زار مدغسكر وزار لارينيون وقال إن جلّ أهالي المملكتين مسلمون، وفيهم كثيرون يتكلّمون العربية. وقال إنه زار قرية سانت ماري التي يسكن فيها عبدالكريم زعيم الريف، وأهلها مسلمون أيضًا وإنها اليوم مثل ليبرفيل ولا أدري مبلغ قوله من الصحة.

وقال إنه اجتمع بعبد الكريم هناك وهو طيّب الحال.

21 يناير/كانون الثاني

أصبح اليوم ماسا مريضًا وقد عدته عشية فوجدت فيه حمّى بالودسم، كما وجدت لديه آنسة سوداء اتّخذها خدنًا له هنا.

22 يناير/كانون الثاني

زارني صباحًا الشريف المحفوظ ومكث عندي طويلًا فاستدعيته على الغداء، وقد أخبرني أنه في آخر الشهر يكون هنا الحاكم العام لمستعمرات أفريقيا الفرنسية موسيو ريست الذي يقيم ببراسافيل، وقال إن كبيرًا من كبراء المسلمين اسمه نورطال من ذريّة المجاهد عمر الفونة. دائمًا يرافق الحاكم وقال عن هذين الشخصين إن أخلاقهما طيبة ومعاملتهما للمسلمين حسنة.

ـ اشتدّت الحرارة هنا في هذا اليوم والذي قبله مع العرق الكثير الناشئ عن الرطوبة، وقد أصابني جرّاء ذلك صداع طوال هذا اليوم فنسأله العافية سبحانه.

ـ أخبرني الشريف أن السيد نورطال يبشّر كثيرًا بالإسلام وأنه في اليوم الثالث من وصوله لأول مرة إلى براسافيل أسلم على يده ستّون شخصًا من الكونغو وقال عنه إنه عالم كبير بالشريعة وعارف بالإسلام الصحيح.

24 يناير/كانون الثاني

عشية هذا اليوم ذهبت لأتسوّق بعض الحاجيّات ولقيت الشريف المحفوظ وكان خبر سيرنا معًا قد وصل لليوطنا فجاء على أثرنا مظهرًا أنه جاء لشراء بعض الشؤون من دكان البرتغالي، وهكذا لا يهتمون إلا بمخالطة المسلم، مع أن الشريف ليس له من السياسة لا عير ولا نفير ولا يمكنني أن أغامر معه لو كنت سأغامر في هذه الأرض السوداء، وهذا ما يؤكّد أن إبعادي من أرض الإسلام كلّها مقصود وإقراري في قرية ليس فيها مسلمون ليس بالأمر المستبعد ومع ذلك لا يسمحون بأن نقول إنهم يحاربون الإسلام.

25 يناير/كانون الثاني

يوجد في الغابون ميكروب أسود يسمّيه الفرنسيون الشيك، طبيعته أن ينغرس في لحم الإنسان ويبيض داخله فيحدث تآكلًا كثيرًا وألمًا خفيفًا،

والأهالي هنا يعرفونه بسهولة ويخرجونه برأس إبرة أو نحوها، وقد أصابني لأول مرة في ليبرفيل فظننته دمّلا في إبهامي اليسرى وأخذت أستعمل له الوسائل العادية للدمّل ولكن نُبِّهت إلى أنه الشيك وحفر عليه بإبرة وأخرج ثلاثة من إبهامي ثم لم يصبني بعد، لكنني اليوم شعرت بتآكل في رجلي وتكوّن لي شبه دمّل بحافة الرجل اليسرى، وبعد الفحص اتّضح أن الشيك اتّخذ بكلّ واحدة من رجليّ وكرَين وقد استخرجت الكلّ. ولكن لوجود ثلاثة في بطن القدم فقد تركت فيه ألمًا خفيفًا عند المشي.

والمهم هو أن ذلك أحدث في نفسي تشويشًا وتخوّفًا على البنية ليلى إذا قدمت إلى هنا وهي لا تزال تحبو في الأرض فكيف نتعامل مع الشيك إذا أصابها، وهكذا تتأجّج عواطف الأبوّة لأدنى مناسبة، وهذه النقطة هي التي حبّبت إليّ تسجيل هذه الإصابة البسيطة بالنسبة إلى ما يلاقيه الساكن في هذه البلاد.

وهذا الشيك لا نعرفه في المغرب ولم أره في فرنسا وغيرها من الأقطار التي زرتها وقد قال لي بعض الفرنسيين إنهم لا يعرفونه.

وبهذه المناسبة فإن روكس كان قد مرض في ليبرفيل بحمّى شديدة أحدثت في جسمه بقعًا حمراء مع ضعف وفتور وأعراض البالودسم كلها. ولما رآه الطبيب قال: إن هذه حمّى جديدة لا تعرف إلا بالغابون أعطوها اسم البيكي، والبيكي هو مكروبها الذي تنشأ عنه. ولحدّ الآن لم يروا هذا الميكروب لكنهم سمّوه، وهي غير مُعدِية وعقباها غير وخيمة وتعالج بالحِمية والكينا.

26 يناير/كانون الثاني

في هذا اليوم سافر مدبّر مويلا معفى من وظيفته إلى فرنسا ولم يصل المدبّر الجديد.

27 يناير/كانون الثاني

كتبت اليوم الرسالة السابعة للوالد وسلّمتها إلى ماسا ليرسلها.

- عشية هذا اليوم زارني ماسا وتحدّثنا كثيرًا في الشؤون السياسية وقال

إنه حين جاء إلى الرباط كان كل الوطنيّين معتقلين، واستفدت منه أن قرار نفيي إلى الغابون موقعًا باسم جلالة سيدي محمد ملك المغرب.

- كما استفدت منه أن كل الذين اعتقلوا بعدنا يخدمون أشغالًا شاقّة والأمر لله.

2 فبراير/شباط

ظللت اليوم كلّه متوتّر الأعصاب قلق البال عظيم البلبال، مشوّش الفكر ولا أدري لذلك سببًا، إنني كنت في الأمس على العكس من ذلك، مسرورًا مغتبطًا، وهذا أول يوم لقيت فيه قلقًا منذ أن وصلت إلى مويلا أي منذ عشرين يومًا، وأرجو أن يكون ذلك ناشئًا فقط عن سوء الهضم الذي اعتراني في هذين اليومين. على أنه هنا ما كان يكدرني سوء الجوّ وشدّة الحرارة مع الرطوبة وفقدان الأنيس وعدم وجود الجليس وقد أظلّ أيامًا لا أتكلّم كأنني نذرت للرحمن صومًا لأن ليس هنا من يعرف العربية، ولا من يمكنك أن تكلّمه في موضوع هام نوعًا ما فنسأله تعالى أن يعجل بالفرج إنه ولي ذلك بمنّه.

3 فبراير/شباط

عشية هذا اليوم زارني ماسا وأخبرني أنه كان في دندي (مركز قريب من مويلا) ثم خرجت وإياه نؤمّ الطبيب بقصد الفحص فمررنا على البريد فأخذ رسائله وفيها كتاب رسمي من المكتب العسكري للمقيم العام في المغرب، وقد قال لي إنه ليس فيه شيء، سوى أن المقيم وأركانه لا يزالون في باريس وتاريخ الكتاب 17 يناير/كانون الثاني. ولم تأته جرائد، أما أنا فلم يصلني كتاب حتى الآن مع البريد ثم ذهبنا إلى الطبيب فاقتصر على السؤال عن حالتي الصحية فأخبرته بأنه لا بأس، وقال إنه يجب أن يفحصني على الأقل مرة في الشهر وإذا شئت أكثر فعل وأوصاني بالاستمرار في تناول حبّتين من الكينا يوميًّا لوجود البالود هنا بكثرة.

- في هذا اليوم انفتقت أزرار القميص فبعثت أشتري إبرة لإصلاحها فلم يجد الخادم وذهبت بنفسي أطوف على كل الدكاكين الموجودة هنا بين أهلية

وأجنبية فلم أجد أيضًا، وهكذا لا توجد في مويلا إبرة وليعلم قيمة المحل الذي أنا منفيّ فيه.

4 فبراير/ شباط

من عادة المهموم أن تكثر مناماته وليس من شأني أن أهتم بالرؤى لأنني أعتبرها أضغاث أحلام لكنني رأيت بالأمس رؤيا أسجلها هنا لطرافتها، لقد رأيت أن ماسا جاء يدعوني بأسلوب لطيف فخرجت معه من المنزل حتى وصلنا إلى دكّة ضمن أسطوانة دار وليس لذلك كلّه وجود هنا فأغلق الأبواب وأحضر محورين حديديّين وأعملهما في مجمر نار وقال لي استعد فقد ورد عليّ الأمر بأن أكويك فوق ركبتيك حتى لا يمكنك الفرار وإذا فعلت عرفت بتلك الأمارة، فقلت له: ولماذا هذا الكيّ وقد أخذ لي روكس من الصور ما يغني عن ذلك وما هو أفيَد في معرفة البوليس لي، فقال لي هذا أمر ورد ولا بد من أن أنفّذه، ففكّرت قليلًا ثم قلت له: وأنا أحمق أنتظرك نائمًا حتى تؤلمني بمحاويرك والله لأستيقظنّ في الحين وانتبهت من النوم فعلًا؟

فماذا يقول فرويد في هذه الرؤيا؟

وماذا يقول علماء النفس أيضًا؟

5 فبراير/ شباط

حمل إليّ ماسا في هذا اليوم رسالتين وردتا من الوالد، الرسالة عدد 1 التي لم تصل. والرسالة عدد 4، وفي كلتيهما يخبر بسلامة العائلة، وقد أخبرني في الأخيرة أنه ازداد عند ابنة العم لبابة ولد سمّته محمدًا. وفي هذه الرسالة يعظني بالصبر والالتجاء إلى الله سبحانه، وقد سررت بورودهما سرورًا كبيرًا لا يعلم مبلغه إلا الله.

وقد تحدّثت طويلًا إلى ماسا وعلمت منه أنه سيمكث هنا نحو الستة أشهر على ما قالوا له ثم يرجع، كما أنهم لن يبعثوا إليّ الكتب والجرائد بحسب قرارهم الحالي وهذا ما يؤلمني كثيرًا زيادة على الانقطاع عن المراسلات المفيدة.

6 فبراير/شباط

اليوم أقام اليساريون الذكرى الرابعة لحوادث 6 فبراير/شباط التي كانت سببًا لانتصار الجبهة الشعبية وفوزها في الانتخابات الأخيرة، ولا أثر لذلك في هذه الأرض السوداء.

ـ عشية هذا اليوم زارني ماسا وخرجنا نتفسّح قليلًا وقد تحدّثنا طويلًا في المسائل السياسية فإذا بالرجل يميني لأقصى حدّ من أنصار العمل الفرنسي ويرى أن القوة هي كل شيء وأنها هي الحقّ أيضًا، ويحبّذ التدابير الزجرية التي اتّخذها المقيم، وقال لي إنه مات في مراكش خلال الحوادث الأخيرة ثمانية من الجنود الفرنسيّين، وإن الحوادث استمرّت بعدنا نحو خمسة وعشرين يومًا، وإنه لما قدم إلى الرباط يوم 19 ديسمبر/كانون الأول وجد كل الوطنيين قد اعتقلوا والدنيا هادئة، وقد فنّدت له كثيرًا من التّهم التي يحشون بها دماغ الفرنسيّين ضدّنا وبيّنت له حقيقة وطنيّتنا وناقشته في أفكاره الأخرى ولكّنه مؤمن بها، وقلت إن الهدوء ضروري بعد هذه الصدمة العنيفة التي سجن فيها ونفي آلاف الخلائق وأخرجوا لخدمة الطرق ولكن الروح الوطنية قد انغرست في النفوس ولا يزيدها ذلك إلا قوة وأنه لا بد من أن تكون فترة قليلة ثم تنبعث الروح أشدّ مما هي عليه الآن فقال: يكفينا نحن هذا الخمود الوقتي.

8 فبراير/شباط

كتبت اليوم الرسالة الثامنة للوالد هنأته فيها بالعيد وأجبته عن رسالتيه عدد 1 وعدد 4.

في هذا اليوم زارني شخص أهلي وعرفت منه أن الإدارة أشاعت منع الجمهور من زيارتي والحديث معي وأنه هو رغم ذلك أحبّ أن يقابلني، فقلت نه لا علم لي بهذا المنع ولذلك فأنا مستعدّ لمقابلة من يريد زيارتي، وقال: إن كثيرًا من أهالي الغابون يطالبون بالجنسية الفرنسية، لكنّ فرنسا حتى الآن تأبى ذلك.

11 فبراير/شباط

في هذا اليوم يوم عرفة بحسب اجتهادي وقد حرّك ذلك في نفسي ذكريات الوطن العزيز ومظاهر الاستعداد فيه ليوم العيد، وها هنا تظهر الغربة للرجل المسلم في هذه الأرض حيث لا يجد مشاركًا له في شعوره الديني وعاطفته القدسية.

وبما أنه ورد في الحديث: دعا لأمته يوم عرفة فأجيب إلا المظالم. فإنني ألتجئ إليه سبحانه أن يفرّج كروبنا وكروب المسلمين جميعًا ويحفظ قضيّتنا ويرزقها التأييد الدائم.

12 فبراير/شباط

هذا اليوم يوم عيد الأضحى المبارك وقد ضحّيت هنا بذكر المعز تيس فحل أقرن نحرته بيدي وسمّيت وكبّرت وقلت: اللهم هذا عنّي وعن إخواني المعتقلين جميعًا، اللهم اجعله فداء لنا وذخرًا وقد وزعت شطره على الضعفاء هنا، وأرسلت إلى بعض المسلمين الموجودين قطعًا لإشعارهم بأن اليوم يوم العيد الإسلامي الكبير فالحمد لله الذي هدانا إلى هذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربّنا بالحقّ.

ـ صلّيت صلاة العيد وحدي في المنزل. وقد فعلت ذلك مع أنني أرجّح سقوطها على العاجز عن الخروج للمصلّى مع جماعة المسلمين لأنني أحبّ أن أبقى مرتبطًا بكل المظاهر الإسلامية والمغربية المقدَّسَين.

ـ لقد استدعيت ماسا لتناول الغداء معي اليوم فلبّى. وقد تذاكرنا طويلًا في السياسة المغربية وندّدت له بصنيع الفرنسيّين بالمغرب وصنيع نوكيس بوجه خاص.

ـ عشية هذا اليوم ارتديت اللباس المغربي مع العمامة وخرجت أطوف كل القرية لإشهار شعيرة الإسلام المغربية هنا.

ـ ظللت النهار كلّه مسرورًا مغتبطًا بكيفية غريبة وقد مرّت عليّ أعياد في بلادي العزيزة ومع ذلك لم أسرّ لها كما سُرِرت هذا اليوم.

13 فبراير/شباط

اليوم يوم الأحد وقد ذهب ماسا إلى الكنيسة لحضور الصلاة، وجميع الفرنسيّين الموجودين هنا ذهبوا أيضًا. وقد رأيتهم دائمًا يحضرون صلاة صبيحة الأحد، الأمر الذي يدلّ على تديّنهم وإن تظاهروا بعدم الاكتراث بالدين، والأمر الذي يؤكّد أن كل ما يعملونه ضد الإسلام مقصود، للمعلوم بالضرورة من تعصّب الكتلكة وحنقها على الإسلام.

16 فبراير/شباط

اليوم توجّهت إلى رئيس الناحية صحبة ماسا لاستخلاص الفرض فوجدت الإدارة المغربية لم توجّه الدراهم سواء لي أو لماسا، وقد ذهبنا صحبة المدبّر إلى القابضة المالية حيث أسلفتني المبلغ الشهري كما أسلفت ماسا ألف فرنك وقد وقّعت الوصل بعدما كتبه المدبّر ووقّعه ووقّع بعدي ماسا. وقد قال لي ماسا إن سبب عدم ورود المال هو أن رئيس المكتب العسكري مسافر مع المقيم في فرنسا ولم يرجع إلى المغرب حتى الآن.

18 فبراير/شباط

في هذا اليوم بعث لي رئيس الناحية كرسيّين خشبيّين لطاولة الأكل.

23 فبراير/شباط

في هذا اليوم تسلّمت من الوالد الرسالة عدد 5 مؤرّخة بـ 18 ذي القعدة الموافق 20 يناير/كانون الثاني 1938 وفيها يخبر بسلامة العائلة الخاصّة وسلامته، لكنه يقول: إنه حتى الآن لم يصله مني كتاب بعد كتابي المؤرّخ بثاني شوال. أي أنه لم يبلغه كتاب بعد رسالتي الموجّهة من ليبرفيل حتى 20 يناير/كانون الثاني وتلك هي رسالتي الثانية له. وقد كتبت له بعدها سبع رسائل. فانظر إلى أيّ حدّ يصل طغيان الإدارة وعدم شفقتها على رجل ضعيف مثل الوالد. والحال أنه كان هناك ذنب وعقاب فأنا المستحقّ له لا هو، وإذا بحثت وجدت زيادة على التعمّد تراخي الموظّفين وقلّة اهتمامهم بكتاب يرد من ابن مغربي مبعد لأب متلهّف لخبره بفارغ الصبر وهكذا يزرعون محبّتهم

في القلوب، وهكذا يحبّون أن يحمدوا على خصالهم، اللهم إن الموت أهوَن من الرضا بهذه الحال التي يريدون المغرب عليها. واللهم في سبيلك ما نلاقيه من أذى، وإن لم يكن بك علينا غضب فلا نبالي ما لقينا.

24 فبراير/شباط

ـ اليوم زارني المدبّر أوكلي وقيّد ما لدي من الأثاث. ثم أرسل خزانة للحوائج وطاولة للمطبخ، وكلّمته في تجصيص البيت فقال: إلى أن يقرب أوان مجيء العائلة.

ـ جاء اليوم ماسا فطلبت إليه أن يرفع للإدارة المغربية احتجاجي على تأخّر الرسائل الموجّهة للوالد عن الوصول في الوقت اللائق، وقد حاول أن يعتذر بطول الطريق، ولكنني قلت له لا يهمّني أمر ما بعث إليّ من كتب، إنما يهمّني ما أوجّهه لوالدي ولعائلتي وإذا كانت الإقامة ستستمر في طغيانها إلى هذا الحد فلتخبرني لئلا أعود إلى الكتابة مرة ثانية، وخير لهم أن يعتقدوا أنني متّ ويحزنوا عليّ مرة واحدة من أن يظلّوا دائمًا في حزن، وقد أخبرني أن عبدالكريم ما زال يكتب لأقاربه بواسطة الإقامة.

ـ وردت رسالة الوالد مقفلة، وقد قال ماسا إنه تلقّاها كذلك مع نسخة من ترجمتها. وقال إن رسائلي تجيء بواسطة حكومة ليبرفيل، أما التي أبعثها فيوجّهها هو رأسًا للإقامة.

25 فبراير/شباط

اليوم زارني هنا مسلمان سنيغاليان يقيمان في بنيت نوار وجاءا لصيد السمك هنا وقد أخبراني أن هنالك في بنيت نوار مسجدًا وجماعة كبيرة من المسلمين.

26 فبراير/شباط

اليوم كتبت الرسالة عدد 10 للوالد وقد هنّأته فيها سلفًا بحلول السنة العربية الجديدة وأجبته عن رسالته الواردة أخيرًا.

27 فبراير/شباط

اليوم أصبح رئيس الناحية وقد وجد لصًّا دخل منزله واعتدى على كيس

ماله وحمله كلّه وذهب لحال سبيله وقد تفقّد المساجين فوجد واحدًا منهم فرّ في هذه الليلة ويظنّ أنه هو الذي أخذ المال وقد أرسل الحرّاس لطلبه في الناحية.

فاتح مارس/ آذار

اليوم عيد المسخرة عند المسيحيّين ولكن لا أثر له هنا فالموظّفون اشتغلوا ولم يقع أي اعتبار للعيد.

2 مارس/ آذار

اليوم عيد ذر الرماد على الجباه عند المسيحيّين الكاثوليك ولكن لا أثر له هنا في كنيسة مويلا.

- عُثِر اليوم على اللصّ الذي اختلس مال رئيس الناحية وقد وجد في ميتوغو.

- وصل اليوم الكثير من المسافرين الأهالي.

- ذهبت اليوم إلى الدكتور بقصد الفحص العام الشهري فلم يزد على أن سألني عما أشعر به فأخبرته بالألم الذي أعاني منه في خاصرتي، فأشار عليّ بأن أستعمل ملعقتين من الملح الرومية كل صباح، وقد طلب منه ماسا شهادة صغرى فكأنّ المقصود هو إثبات أن الأرض موافقة لي صحيًا وأنني دائمًا بخير.

3 مارس/ آذار

رأيت عشية هذا اليوم هلال المحرّم فغدًا يصبح أول السنة الهجرية الجديدة سنة 1357 جعلها الله سنة مباركة علينا وعلى جميع المسلمين وحقّق فيها كل آمالنا الوطنية المقدسة.

- نظمت قصيدة من مائة بيت بعنوان (سكناي - بمنفاي) وصفت فيها المنزل وما فيه من حشرات وهذه الأرض وما فيها من نقم وقد قرأتها على ماسا فطلب نسخة منها وقال إنه سيترجمها للفرنسية شعرًا فأعطيته إيّاها.

12 مارس/آذار

اليوم كتبت الرسالة عدد 11 للوالد وهنأته فيها بموسم عاشوراء المبارك.

ـ اليوم أخبرني ماسا أن الكمندار سان من الديوان العسكري للمقيم العام في المغرب كتب إليه رسالة بتاريخ 29 يناير/كانون الثاني يقول فيها : إنه ذهب إلى فاس وقابل والدي وإنه بخير وعلى خير وكل العائلة كذلك، وإن والدي اشتكى له من تأخّر مراسلتي له، فوافق بذلك احتجاجي السالف وقال سان إنه سيعمل في الرباط على التخفيف من هذه الآماد التي تبقى فيها الرسائل معطّلة. وذكر أن روكس حتى الآن لم يصل إلى المغرب مع أنه سافر يوم 11 يناير/كانون الثاني.

ـ أعطاني ماسا أعدادًا من جريدة التلغراف الجزائري وقد وجدت فيها أن جلالة السلطان مريض وأن الدكتور طلب أن يجرى له عملية وقال إن المرض خطير.

ـ كما أن مدير الكوري دوفاس غرق هو وصديق له من إدارته.

ـ وفي مجلّات مختلفة أخبار اعتقالات لأفراد مغاربة من أجل ترويجهم لجرائد ممنوعة، الأمر الذي يدلّ على مقدار الضغط الحديدي الموجود الآن في المغرب.

ـ وفيها أن لجنة بحث برلماني وصلت إلى مكناس فهل هذا جواب لاقتراحنا السابق؟

أم أن نوكيس بعد أن اعتقل آلاف الأفراد وارتكب أعظم ضروب القساوة يحاول تمثيل أدوار هزلية باستقدام لجنة بحث تمثّل أمامها الصور المتحركة من الخونة والمجرمين، ما يصوّر للرأي العام أن المغرب هادئ مطمئن وأنه راضٍ بأعمال نوكيس ومعطٍ له كامل الثقة؟ ذلك ما ستكشف عنه الأيام.

15 مارس/آذار

اليوم موسم عاشوراء الكريم وقد وزعت فيه بعض صدقات لإشعار القوم بموسمنا الديني والقومي.

16 مارس/آذار

هبّت اليوم عواصف كبيرة من الريح ما رأيت في عمري لها مثيلًا وقد أسقطت منزل البستاني الذي عندي في الدار وهو من العسيف كما أطارت الريح كثيرًا من العسيف الذي في سقف منزلي فقطر ماء المطر والحمد لله على ما أعطى.

ـ نظمت اليوم قصيدة بعنوان: «فلسفة الجلوة وفلسفة الخلوة» كما نظمت قصيدة صغيرة بعنوان «لكل وقت دولة ولكل عنصر صولة».

ـ رأيت في أحد أعداد يناير/كانون الثاني من جريدة ذي بيش ألجريان أن تجّار الدار البيضاء عقدوا مهرجانًا قرّروا بعده الإضراب احتجاجًا على الضريبة المؤقّتة وأنهم أضربوا ثلاثة أيام 12 ـ 15 ذي الحجّة. وقد سرّني ذلك لما يدل عليه من أن الروح لا تزال موجودة في بلادنا، وأن الضغط الذي ارتكب لم يستطع القضاء عليها. وهذه الضريبة المؤقّتة لعلّها أضيفت بمناسبة دراسة الميزانية. وفي السنة الماضية أضيفت ضريبة مؤقّتة أيضًا إلى المواد الكمالية واعتذر لنا المقيم بأن مشروع الميزانية كان مقدّمًا من طرف سلفه بروتون وعملنا على تهدئة الأفكار وفي هذه السنة يعود فيضيف ضريبة أخرى في وقت اعتقل فيه آلاف الوطنيّين ونفاهم وعذبهم.

19 مارس/آذار

اليوم كتبت الرسالة عدد 12 للوالد وهي رسالة عادية مختصرة. أما هو فحتى الآن لم يصلني منه كتاب.

20 مارس/آذار

اليوم كمل خامس الشهور منذ فارقت البلاد العزيزة والعائلة والأحباب مسبيًا مرميًا في أرض الاغتراب، لكنّني والحمد لله ثابت مطمئنّ مؤمن بنجاح فكرتي التي أعذّب من أجلها.

25 مارس/آذار

كتبت اليوم الرسالة عدد 13 للوالد وسلّمتها إلى ماسا ليرسلها، وقد

أخبرني ماسا أن روكس كتب له مخبرًا بوصوله للمغرب يوم 17 فبراير/شباط وبعث ببعض الصور من اللقطات التي أخذت لي. وقد سلّمني منها صورتين في أنجلي وصورة في مويلا، كلّها أُخذت في يناير/كانون الثاني، أما الصور الأخرى التي في الطيارة وفي مراحل الطريق فلم يبعث منها شيئًا.

- أخبرني أن رسالة للوالد وصلت، لكنها لا تزال عند المدبّر، فكما تقول عامّتنا كلّها يعمل حنة يده.

- أعطاني أعدادًا من جريدة لاديش ألجريان غير مرتّبة من شهر يناير/ كانون الثاني واقتطع منها قصاصات في الغالب تتعلّق بالمغرب هي والأعداد المفقودة. وفي بعضها أخبار عن موت لوسيان سان المقيم السابق وزيارة دوتسان نائب وزير الخارجية المكلّف بشؤون أفريقيا الشمالية وبلاد الانتداب ولكن ليس هناك تفاصيل مهمّة عن رحلته ولست أدري هل جاء بطلب من المقيم ليريه الهدوء السائد في البلاد، أم مبعوثًا من طرف الحكومة للبحث. لم يكن المقيم يفارقه، وقد زار الصحراء وكلميمة وهي التي فيما أظنّ يقيم فيها الأخوان عمر ومكوار، ودوتسان رجل طيّب لطالما ساعدنا في القضية المغربية، وهو أحد أعضاء لجنة الرعاية لمطالب الشعب المغربي، فالرجاء أن يكون متمسّكًا بأفكاره وعاملًا لها.

- وفيها أن التيفوس في مراكش والبيضاء وأن الإدارة تلقّح الناس بالقوة وهم يمتنعون، والحقيقة غير هذه فإن الناس لا يمتنعون من التلقيح إذا لم يكن بطريق العنف والإهانة. ففي السنة الماضية كان في البيضاء هذا المرض ولكن الإدارة استعملت ضروبًا من العنف للمغاربة حتى مات كثير منهم.

- في الأمس سلّمني ماسا نسخة من ترجمته الفرنسية قصيدتي (سكناي، بمنفاي) وقد ترجمها شعرًا فجاءت في مائتي بيت وبيتين، وطلب أن أعطيه غيرها من شعري الذي نظمته هنا فأعطيته بعضه وقال إنه سيترجمه أيضًا.

27 مارس/آذار

تسلّمت اليوم الرسالة عدد 6 من لدن الوالد مؤرخة بـ 15 ذي الحجة

و16 فبراير/شباط وقد وعظني فيها بالتعلّق بالله وقصر محبتي عليه وذكر أن بنيّتي ليلى عوفيت من الحصباء وأنه وجّه لي صندوق شاي أخضر وعددًا من اليومية الفاسية، لكن ذلك حتى الآن لم يصل.

29 مارس/آذار

أكملت اليوم نظم قصيدة بعنوان (في المغرب العزيز) مع وصف بعض مناظره الطبيعية في وادي الجواهر وعوى ومنظر يطو، وسواني الرباط ومناظر التنزّه عند البحر في الفلك ومظاهر مراكش وقد جاءت قصيدة حيّة عامرة تعبّر عن عاطفة متأججة لذكريات البلاد، وللأسف إن هذا الإنتاج لا سبيل له للذيوع لتتقوّى به عاطفة الوطنيين المغاربة وتذهب عنهم دهشة الصدمة العنيفة التي لاقوها.

30 مارس/آذار

أطلعت ماسا على هذه القصيدة فأعجب بها وقد طلب مني إعطاءه نسخة منها بقصد ترجمتها وسأفعل، وغرضي من ذلك أمور ...

أولًا: أنه لا شك سيبعث بها للإدارة المغربية وهي ستطّلع على حقيقة عواطفي التي لا تتبدّل وتعرف أن كل ما ارتكبته لا يؤثّر في تحويل الأفكار والاتجاهات.

وثانيًا: أنه لا محالة سيطلع الكثيرين من أصحابه في المغرب والجزائر على تلك القصائد وعلى ترجمتها ليظهر مقدرته في الترجمة. وفي ذلك فائدة من حيث الدعاية لأدبنا المغربي في الأوساط الفرنسية وأخرى من حيث إنه يمكن أن يتّصل الأمر ببعض الإخوان المغاربة. وثالثًا: تنشيط هذا الشاب على دراسة العربية جيدًا وتذوّق معانيها ولا شك أن ذلك سيبعث في نفسه عطفًا على أصحابها فلا يبقى متشدّدًا في عاطفته كالآخرين.

- وقد ترجم ماسا أيضًا قصيدة (فلسفة الخلوة وفلسفة الجلوة) نثرًا.

فاتح أبريل/نيسان

اليوم حمل لي ماسا نسخة من الشهادة التقليدية التي يوقّعها الموظّفون لإثبات وجودهم كي يمكنهم أخذ المرتّب. ووقّعتها كمبعد.

2 أبريل/ نيسان

ـ اليوم كتبت الرسالة عدد 14 للوالد أجبته فيها عن رسالته عدد 6 وهي عادية ليس فيها جديد.

3 أبريل/ نيسان

ـ اليوم نظمت قطعتين من الشعر الرمزي واحدة بعنوان: خمرتي المعتّقة، والثانية بعنوان: منّي وإليّ.

ـ اليوم بلغني أن ماسا استدعى لاجودان وقال له: لقد وصلتني رسالة لا أدري كاتبها تعلمني أنك تذهب عند الفاسي وتستلف منه الدراهم وجعل يستنطقه في الموضوع، فقال له الآخر لا شيء من هذا وكل ما كان هو أنه يعطيني أحيانًا بعض الدراهم لأشتري له الدجاج أو البرك أو نحوها.

وقد سجّلت هذا هنا لنرى مقدار ضيق الفكر الموجود عند الفرنسيّين فلست أدري هل يريدون من مبعد لا يتّصل به أحد يقولون له هاك فرضًا معيّنًا افعل به ما تشاء. أن لا يسلف شخصًا إذا طلب منه ذلك وأراد هو، على أنني ما أسلفت لاجودان هذا شيئًا لا لأنه طلب منّي هذا وأبيت، بل لأنه لم يتّفق وكان يمكن أن يقع. لأنه لا يخطر ببالي أن شيئًا مثل هذا يستدعي البحث أو المراقبة، ففي سبيل الله والمغرب ما ألاقي.

6 أبريل/ نيسان

ـ علمت في هذين اليومين أن ماسا يقوم ببحث كبير حولي وقد حمله على ذلك وجود المسلمين السنيغاليين هنا. فقد سأل طبّاخه عن علاقتهما بي وهل أعطيتهما رسائل بقصد توجيهها بطريق سرّية؟ كما سألهما أيضًا عن ذلك، وقد علمت أن الكمندار استدعاهما وطلب منهما الأوراق الشخصية ولما وجدهما فرنسيّين في الجنسية سقط ما بيده وكان ماسا حاضرًا، فقال لهما في تعنّت: إن هذه الأرض ليست للمسلمين فلماذا جئتما إليها، وجعل يتكلّم مع الكمندار كأنه يقول له إنه يخاف أن يؤدّي وجودهما هنا إلى ربط صلة ما بيننا، وكأنه يطلب ألا يدخل هذه القرية التي أنا فيها مسلم، لكن الكمندار أعطى للشخصين أوراقهما وقال لهما إنكما أحرار.

أنا لم أستغرب هذا لأنه مطابق للتدابير المتخذة في إبعادي وموافق لما قرأته في البيان الموجّه من طرف الإقامة العامة الذي رأيته عند روكس في أنجلي وهذه نقطة الإبعاد عن المسلمين هي زائدة في معاملتي على ما يعامل به الزعيم عبد الكريم حسبما رأيت في بيان كميسار سانت ماري، وأنا لا أستطيع أن أعتقد أن هذا من باب التخوّف السياسي فقط، لأن من يريد خدمة شيء هنا يستعمل لذلك الوسائل حتى مع غير المسلمين ويلبس وجهه المسخرة اللازمة. ولو أحببت أن أقوم بشيء آخر لبدأت فيه، وأول شيء يسهل عليّ التفاف الأهالي هو كتابة الرُّقى والتمائم فكم جاءني من مسيحي كاثوليكي يكلّمني في ذلك ويبذل لي من أجله مالًا وما شئت من خدمة، لأنهم يعتقدون أن للعلماء المسلمين في ذلك اليد الطولى. لكنني أبيت ذلك لأنه مخالف لمبادئي ولأنني لا أحب أن تكون غاية زعيم مغربي كتابة الرُّقى في هذه القرى السوداء وأيضًا فأنا أريد أن أقيم في منفاي مطمئنًّا هنيئًا من أن يمسّ أحد من موظفي الفرنسيين شرفي هنا فيحملني ذلك على الدفاع وربما الوصول إلى طور أشدّ مما أنا فيه، لهذا لا أعتقد أن الباعث هو التخوّف السياسي. وأنا أرى أن الباعث الحقيقي هو العداء الكامن في نفوسهم للإسلام والمسلمين. والعمل على محاربة اتصال عامّة المسلمين بمن يمكن أن يفقّههم في دينهم ويرشدهم إلى طريق الدين الصحيح، هذا في المغرب ومن أجله نفيت. وهنا وفي كل مكان ولولا هذه الروح لما اختير إبعادي إلى بقعة ليس فيها مسلم في حين أن قرى كثيرة قريبة منها فيها مسلمون ومساجد. وماسا هو كاثوليكي من أخلص المسيحيّين للكنيسة ومن أشدّهم تمسّكًا بمبادئها. ثم هو مستعمر لأقصى درجة. ولا يكتم ذلك عنّي في أحاديثه، بل لا يستطيع كتمان ذلك عن أحد. وهو متشبّع بأفكار لوي سرتران الذي ينكر كل فضل للعرب في المدنيّة والحضارة وقد وقعت لي معه في ذلك محاورات لا يستنكف أن ينكر فيها حتى فضل كثير من عظماء فرنسا وباحثيها لأنهم يقرّون بما للعرب من فضل في ترقّي أوروبا وتمدينها.

وقد حدث أن مدير المدرسة الأهلية هنا وهو مارتينيكي سعى هو وثلّة من

الأهالي لتأسيس جمعية رياضية يكون هو رئيسها وطلبوا إلى الموظفين الفرنسيّين الانخراط فيها والاكتتاب لها. فساعد الجميع.

أما ماسا فقد غضب لذلك (في نفسه) غضبًا كبيرًا وقال لي: إنه لو كان وحده هنا لبقي السّود يطلبون الكرة حتى يموتوا من أجلها دون أن يساعدهم على شرائها بسانتيم واحد، ثم حدث أن التقى مدير المدرسة (بكي المارتينيكي) وجعل يلومه على وجود هذه الجمعية وعلى ترؤسّه لها (بما أنه فرنسي التبعية) وينازعه في ذلك نزاعًا كبيرًا واستعمل كل وسائل الإقناع والآخر يدافع، فقلت لماسا إن جميع المدارس تهتم بالتربية الرياضية. والتوجيه البيداغوجي في التربية الجسمية يستدعي تدخّل الأستاذ والمدير فأنكر أن يكون شيء من هذا موجودًا. وقال لي اترك معارفك وحدها فأجبته: وحضرتكم المرجع في كل شيء. ولكن بكي أكّد له ما قلته ومع ذلك بقي ينازع. والحقيقة أن من الصعب على الشعوب المستضعفة أن تصبر على مثل هذه الروح. فهؤلاء الأفراد إنما يجنون على فرنسا جناية كبرى. إذ مهما تكن عواطفنا شريفة ومهما نتذرّع به من الصبر فلا بد من أن تجرحها هذه الإحساسات الدنيئة التي يحملها هؤلاء القوم. ومهما تأثّرت العواطف فلا بدّ من أن تعمل عملها إن عاجلًا أم آجلًا.

ـ بالأمس نظمت نشيد المنفى وأحببت أن أسجّله هنا أيضًا هو:

يـــا بـــلادي اســـلـــمـــي لـــك كـــنـــت الـــفـــدا
بـــحـــيـــاتـــي ودمـــي ذدت عـــنـــك الـــردى

إن أكـــن مـــبـــعـــدًا
مـــثـــقـــلًا بـــالـــقـــيـــود
ســـألـــبّـــي الـــنـــدا
مـــن وراء الـــســـدود

ادعـــنـــي أســـتـــجـــبْ إنـــنـــي مـــســـتـــعـــدّ
وطـــنـــي أفـــديـــهْ

فيك ألقى الألم   شهيًّا كالعسل
إنما بالهِمَم   يتجلّى الأمل

يا نجوم اشهدي
يا بدور اعرفي
أنا في مبعدي
للبلاد الوفي

من هنا مُنكِر   ما يقاسي الوطن

وطني أفديهْ

يا بني المغرب   لا تملكوا الكفاح
إن في الدأب   العلى والنجاح

ليس ملء السجون
ليس نفي الكماة
ليس سقي المنون
غير سبل النجاة

ليس بعد الظلام   غير نور الصباح

وطني أفديهْ

إنني معكم   من وراء البحار
واصلوا جدّكم   ليلكم والنهار

لا تخونوا الذمم
لا تخافوا المحَن
للعلى والعلم
لسمو الوطن

إنـــــــي مـــــعــــكـــم إنـــــــي مـــســـتــعـــد
وطــــــــنــــــي أفــــديـــــهْ

8 أبريل/ نيسان

اليوم في أثناء حديثي مع ماسا علمت منه أن أصله إيطالي وأن كلًا من أبيه وأمه إيطاليان، وأنه حين أراد الدخول إلى المدرسة الحربية اضطر للتجنّس الرسمي، ثم تجنّس والداه بعد ذلك. ومعنى هذا أنه خرج من جنسيته الأصلية إلى جنسية أجنبية عنه فهو مرتدّ عن وطنه الأصلي، وعليه فمن أبعد البعيد أن تكون عنده عواطف وطنية صحيحة نحو فرنسا التي تعتبر وطنه الآن، كما يبعد أن تكون عنده عواطف مثلها نحو إيطاليا فيبقى الأمر منحصرًا في كونه كاثوليكيًا لا يعتبر الوطنية إلا شيئًا ثانويًا. وقد فهمت منه غير مرة اعتباره الأكيد للكثلكة، فكل ما يعمله هنا ضد المسلمين هو من أجل أنهم مسلمون لا من أجل أنهم يمكن أن يقوموا بأشياء ضد فرنسا، وهذا يجري بالفعل على الكثير من الإيطاليين والإسبانيين وغيرهم من رعايا الأمم المختلفة التي تقضي مصالحهم الشخصية بالتجنّس بالجنسية الفرنسية وهكذا أصبحت فرنسا ألعوبة كما ترى في أيدي خدام الكثلكة وخدام الشخصيّات، وليت شعري هل سيتنبّه الشعب الفرنسي لهذه الحقائق، أم سيبقى منغمسًا في غفلته حتى يقضي عليه هؤلاء كما قضى الدخلاء على كثير من الأمم الإسلامية.

9 أبريل/ نيسان

عدت فسألت ماسا عن تجنُّسه الفرنسي فقال: إنه تجنّس لأنه اختار أن تكون فرنسا وطنًا له فقلت له: وهل تحب فرنسا أكثر من إيطاليا قال نعم، قلت له: وإذا وقعت حرب بين فرنسا وإيطاليا أتدخل ضد إيطاليا، وتهاجم روما وتخرّبها، قال لي ولِمَ لا؟ ثم قال: الأعجب مني هما والداي فقد ولدا في إيطاليا ونشآ فيها وقرآ فيها ثم هما الآن فرنسيّان لكونهما سكنا في أرض فرنسية، قلت له: إنني أعجب من هذا كثيرًا لا لكوني لا أحبك أن تكون فرنسيًا أو تحب فرنسا أكثر من غيرها، فهذا أمر لا بأس به إنما

أعجب من شخص يرتدّ عن وطنه الأصلي إلى وطن آخر ويكون ارتداده كما تدّعي عن عاطفة صادقة. أنا أعرف كثيرًا من المغاربة يتجنّسون لمصالحهم الشخصية بجنسية إنكليزية مثلًا ولكنهم محتفظون بعواطفهم نحو المغرب بل منهم من هو أكثر وطنية من المغاربة. وأعرف آخرين مكثوا في مصر وغيرها من البلدان وولدوا أولادهم وأحفادهم فيها ومع ذلك يحتفظون بمغربيّتهم، فقال لي: هؤلاء يتعيشون من وراء التجارة ونحن لا يمكننا أن نتعاطى التجارة فلا بد لنا من أن نتجنّس لنعيش فقلت: والفرنسيّون الذين يقيمون في أماكن مختلفة ويولدون فيها إلى أن يموتوا وربما منهم من لم يعرف بلاد فرنسا إلا زائرًا مرة أو مرتين، قال لي: أولئك وجدوا والديهم يقولون لهم إن لكم وطنًا وراء هذه البلاد هو فرنسا إياكم أن تنسوه، ويربّونهم على حبّ وطنهم الأصلي... ومعنى هذا أن والدي ماسا أهملا تذكيره بوطنيّته فنشأ فاقدًا للحبّ فيها. ثم دعته مصلحة الاكتساب للتجنّس بحسب تصريحه السالف. ولا بدّ لي من أن أعود للبحث في هذا الموضوع لأن هذه القضية شغلت فكري كثيرًا حيث إنها تتعلّق بمبحث تحوُّل العواطف في علم النفس.

10 أبريل/ نيسان

اليوم كتبت الرسالة عدد 15 للوالد وهي عادية لكنني طلبت منه فيها أن يهتمّ بأمر مكتبتي.

- زرنا الطبيب بقصد الفحص الشهري فلم يزد على السؤال عن الحال.

اليوم أرسل لي ماسا نسخة من ترجمته النثرية لقصيدتي (في المغرب العزيز) وقال إنه سينظمها شعرًا.

11 أبريل/ نيسان

أخبرني ماسا أن رسالة من الوالد قد وصلت ولكنها ما زالت عند المدبّر بقصد تسجيلها، وقال لي إن مراسلة وردته من المغرب تخبره أن التيفوس ما زالت مخيّمة هناك وأن موتاها ينيفون على المائتين، وأنها انتقلت أيضًا لورزازات وأن زوجة القبطان فورني ماتت هناك بها كما أن

ترجمانًا بورزازات صديقًا لماسا مات بها أيضًا، فانظر إلى هذه المصائب الكثيرة التي تحلّ بالبلاد المغربية وهي نتيجة منطقية لحالة البؤس الذي أصبح يرزح تحته المغرب المسكين وخصوصًا جنوبه مع المظالم التي يقوم بها الباشا الكلاوي باتفاق مع الحماة.

ـ وأخبرني أيضًا أن روكس كتب له يقول: إن المقيم لا يزال في باريس ولذلك فلا بدّ من انتظاره لتبليغه مطالبي التي تتعلّق بالعائلة وبالكتب والجرائد. ومعنى هذا أن الرسالتين اللتين دفعت بهما له لم يبتّ في شأنهما بعد.

ـ وصلت الباخرة ولم تحمل الشاي ولا اليومية، لذا لا بدّ من انتظار 15 يومًا أيضًا إذا لم تكن الإدارة أهملت إرسالهما.

ـ عشية هذا اليوم تسلّمت رسالة الوالد عدد 7 تاريخها 5 المحرّم عام 1357هـ ـ 7 مارس/آذار 1938م وقد قال إنه لم يصله كتاب منّي من تاريخ 3 يناير/كانون الثاني حتى ختم هذا الكتاب فتسلّم رسالتين عدد 7 وعدد 8 أي بعد مرور شهرين كاملين وما زال لم يتصل بالرسالة عدد 6 وهي التي طلبت فيها مجيء العائلة ويظهر أنهم لا يسلّمونها له إلا بعد أن يبتّوا في الموضوع. والحاصل أنهم يقيمون لهذه الرسائل الصغيرة شأنًا كبيرًا ويتلاعبون بها كيف شاؤوا وليس من غرض إلا الإيلام وبطريقة إسرائيلية غير شريفة، فاللهم هيّىء لنا فرجًا ومخرجًا ولجميع المنكوبين المظلومين مثلنا.

15 أبريل/ نيسان

اليوم كتبت الرسالة عدد 16 للوالد وهي كالمعتاد، أجبته فيها عن رسالته عدد 7.

16 أبريل/ نيسان

اليوم أصبحت الإدارة والبريد معطّلين بمناسبة موسم (الباك) المسيحي وقد توجّه كثير من الأهالي وبعض الأوروبيّين للكنيسة الكاثوليكية التي تقيم احتفالًا كبيرًا في مركزها وهو يبعد عن قرية مويلا نحو الخمس ساعات سيرًا في الفلك الأهلي، أو على القدم في طريق بريّة ضيّقة وقد هطلت اليوم أمطار غزيرة متواصلة.

ـ اليوم ختمت الكتاب الفرنسي الثاني للمطالعة قرأه معي ماسا، وسنبتدئ في الكتاب الثالث. أما الأول فقد قرأته وحدي هنا والآن صار في استطاعتي الحديث بالفرنسية كما تعلّمت الكتابة والقراءة وقليلًا من أسلوب الترجمة من الفرنسية للعربية.

ـ توجّه ماسا للبعثة الكاثوليكية للحضور في موسم الباك رغم المشقّة التي تلزم للوصول إليها، إذ ذهب في الفلك الأهلي ومعه خمسة من المجذّفين والخدَمة الأهالي.

17 أبريل/ نيسان

وقع بيدي اليوم عدد من جريدة تصدر في ليبرفيل عاصمة الكونغو البلجيكي اسمها «البريد الأفريقي» وهي جريدة يومية في ثماني صفحات وفيها إشارة إلى أن هناك في الكونغو البلجيكي جريدتين أيضًا. إحداهما (الكونغو البلجيكي) والثانية (العمل الاستعماري) ويستفاد من فصولها أن بلجيكا اشتغلت جديًّا في هذه المنطقة الاستعمارية وأن البلجيكيّين وفدوا إلى هنا وعمروا، إذ يذكر خبر كثير من الشخصيات البارزة هناك، كما يذكر أخبار اجتماعات للأحزاب البلجيكية، ويكفي صدور جريدة يومية كهذه دليلًا على العمل الاستعماري الموجود، وخصوصًا أنها تدافع عن منتوجات المنطقة ولاسيّما منها الذهب والقهوة التي بلغ محصولها السنوي هناك 45,000 طن وحقيقة إن هذه العمليات تدلّ على مجهود وثبات في العمل. إذ ليس الاشتغال في هذه الأرض السوداء مثل الاشتغال في غيرها للحرارة الكثيرة والرطوبة العظيمة والشمس المحرقة.

وإذا قورن هذا بما قامت به فرنسا في منطقة الكونغو الفرنسي والغابون وسائر إفريقيا الاستوائية وجد الفرق كبيرًا والبون شاسعًا، وحتى الآن ليس في هذه الأراضي محصولات إلا ما يعثر عليه من بعض المعادن، بل حتى الآن لا تزال الحياة هنا صعبة جدًّا لفقدان المواد المعاشية. والأهالي الذين لبثوا في أحضان فرنسا 120 عامًا ما زالوا يعيشون عيشتهم من حيث الهمجية والمكث حفاة عراة مستعبدين للبيض يتحكّمون فيهم كيف شاؤوا، دون أن

يظفروا حتى بيسير من نسيم الحياة الجديدة اللهم في بعض القرى التي يعدّها الفرنسيون عواصمهم الكبرى هنا، وفي هذه الجريدة فصل يتعلّق بالدفاع عن العاطلين من الأهالي في الكونغو البلجيكي، الأمر الذي يدلّ على أن هناك أشغالًا ومشتغلين. إذ لو أردنا أن نتكلّم هنا على العاطلين لكان الكلام شاملًا الجميع إلا عددًا لا يحسب لقلّته من الأفراد الذين يشتغلون الأشغال الخاصة بالمرأة كالطبخ والخدمة ونحوهما لدى البيض الموجودين هنا.

ـ والحقيقة أن هنا في هذه الأرض يمكن للمستعمر أن يفتخر بأنه عمل عملًا ما ونقل الأهالي من طور إلى طور. أما في البلاد سليلة الحضارات وذات العنصر النشيط المتقدّم والذي لولا أن القوى المادية خانته لما سبقه هؤلاء الأوروبيون في هذا العصر الأخير. فهناك لا يعدّ العمل، مهما كانت قيمته كبيرة أو صغيرة، شيئًا مذكورًا. لأن البذرة في المنبت الطيّب تأتي ثمرها من غير كبير عناء. أما في الأرض الجدباء فيحتاج الإنتاج معها إلى جهد كبير وصبر وتفانٍ وإخلاص والعنصر الذي يقوم هنا بالعمل هو العنصر الذي يستحقّ الافتخار بأنه عنصر التعمير والبناء. وهذا موضوع كلام طويل وفكر خاصّ نتيجة التأمّل العميق والدراسة المخلصة للطبيعة الاستعمارية ونفسية أصحابها.

ـ هذا وقد سألت بعض الأفراد هنا ممّن زاروا الكونغو البلجيكي فأكّدوا لي أن الأهالي هناك متنعّمون نسبيًّا وأن الكثيرين منهم يملك ثلاث سيارات أو أربعًا من السيارات الفخمة. وهو شيء هائل بالنسبة إلى الملكية التي يحظى بها الإنسان البدائي في هذه الأرض. وبعضهم قال لي إن الحاكم العام لأفريقيا الاستوائية م. ريست لمّا زار مرارًا مويلا نعى إلى الحكام هنا تراخيهم وأكّد لهم أن الكونغو البلجيكي أصبح يمتّع أهاليه بغنى حسن جدًّا. وحمل من هنا بعض أعيان الأهالي ليروا ذلك بأنفسهم. وهذا يدلّ على أن لهذا الحاكم ضميرًا يلفته للمقابلة بين العملين، ولكن الحقيقة أن اللوم ليس على الأهالي الذين هم ما زالوا في طور الوحشية والجهل، بل على الذين يحكمونهم ويرعونهم فهم الذين يجب عليهم أن يرشدوهم وينبّهوهم ويدرّبوهم على الحياة الإنسانية كما هي، وأخيرًا فوا أسفاه على الضعفاء والمغبونين وا أسفاه أكثر على هؤلاء المساكين الناشئين في هذه الأرض السوداء.

18 أبريل/ نيسان

يوجد هنا خياط يتقن المهنة على النمط الأوروبي وهو من الكونغو الفرنسي اسمه السيد ماجانبا وهو فرنسي الجنسية، وقد أعطيته أشغالًا لي بقصد خياطتها فخاطها، وجاء إلى المنزل لخياطة فراش لي، فجعلت أذاكره في الإسلام وأبيّن له محاسنه فوفّقه الله وأسلم ونطق أمامي بكلمتَي الشهادة، فحمدت الله على ذلك كثيرًا، وعسى الله أن يهدي آخرين فتستنير عقول هؤلاء الأهالي ويشعرون بمعاني الحرية التي يغرسها الإسلام في النفوس وتلك هي الوسيلة التي يحرّرون بها أنفسهم من رقّ العبودية التي هم فيها الآن.

19 أبريل/ نيسان

جاء أيضًا بعدما اغتسل فكتبت له سورة الفاتحة بالحروف اللاتينية ليحفظها ثبّتنا الله وإيّاه على كلمة الحقّ ووفّق الجميع والإنسانية كلّها لاتّباعها.

23 أبريل/ نيسان

تسلّمت اليوم علبة الشاي التي أرسلها لي الوالد مع العدد الواحد من اليومية الفاسية التي تخرجها المطبعة الجديدة، وكنت قد طلبت هذين الغرضين من الوالد ليرسلهما حين كنت في أنجلي بل في المدينة الحرّة وقد مضى على ذلك خمسة أشهر تقريبًا، وأخيرًا وصلت اللفافتان معنونتين بالغلاف الآتي:

Annexe a lettre n. 102 du Avril 1938 s. o
Monsieur le chef du Departement de la N'Gounie

Mouila

وهي مختومة بطابع مكتوب بدائرته: أفريقيا الاستوائية الفرنسية، حكومة ناحية الغابون وبداخله مكتب حاكم الناحية، وفوقه: ليبرفيل في 8 إبريل/ نيسان 1938 رئيس المكتب.

الإمضاء

واللفافة الثانية مثلها مع طابع البريد (ليبرفيل - غابون 15 إبريل/ نيسان). لقد مكثتا أسبوعًا بعد ختمهما من مكتب حاكم الغابون؟ وبداخل اليومية قطعة ورقية صفراء فيها ما يأتي: S/LETTRE 721 DAP/2 Du 7.3.38

ثم طابع بدائرته.

المقيم العام لفرنسا في المغرب.

وفي داخله قسم أو جهة الشؤون السياسية، سجّلت هذا هنا لنعرف كم يقيمون من شأن لمراسلة يسيرة، هذا علاوة على أنواع الفحوص المختلفة التي قامت بها الإدارات المتعدّدة من فاس للرباط إلى مويلا، نعم يلاحظ أن هذه هي المرة الأولى التي يرد فيها شيء أُعلن فيه أنه بواسطة الشؤون السياسية، وقبل ذلك كانت ترد المراسلات بواسطة الديوان العسكري المقيم، فما السرّ في ذلك؟

- نسيت أنه كتب تحت الطابع ما يأتي:

POUR ALLAL EL FASSI

- بعثت شيئًا من الشاي لماسا وشيئًا منه لرئيس الجهة أوكلير لأنه كان أرسل لي قطعة من لحم بقر وحشي اصطاده في الغاب.

- اليوم كتبت الرسالة عدد 17 للوالد وهي عادية غير أنني أخبرته فيها بوصول اليومية واللفافة.

25 أبريل/ نيسان

اليوم اطّلعت عند ماسا على عدد من المجلة (المصورة) تحت رقم 4957 الصادر في 5 مارس/آذار 1938، وفيه أربعة مناظر للحفلة التي أقامها الشعب المغربي في شهر مارس احتفاء بعودة العافية لجلالة الملك نصره الله ونصر به البلاد، وهي تنمّ عن حفلات فخمة بقهوة الأوداية وبالقصر السلطاني، حضرها وفود من مختلف المدن المغربية، وقد سررت كثيرًا لهذه الحفلة لأنها ستبعث في الشعب المغربي نشاطًا بعد الآلام التي أصابته في المدة السالفة ولأنها تسير على الخطّة التي رسمناها في تأييد جلالته وإظهار العواطف التي تلفّ الشعب

المغربي حول عرشه الشريف بمختلف المناسبات. فقد أصبحت الحماية نفسها تضطر للسير مع هذا التيار وفي ذلك ما يخفّف بأساء الأمة.

ـ رأيت في جملة الوافدين السيد عمر السبتي.

ـ وقد اختطف المصوّر منظر كثيرين من أصدقائي من بينهم الأخ الأستاذ أبو الشتاء الجامعي وقد كنت أظنّه في عداد المعتقلين فكان القدر أن أطلعني على بقائه طليقًا فسرّني ذلك أتم السرور إذ إن الأخ لا بدّ من أن يستمرّ في مزاولة أشغاله وتربيته النشء الذي يقوم عليه كما رأيت هناك صورة ابن العم الأستاذ محمد الغالي الفاسي وغيرهما.

ـ يقول صاحب المجلّة إن جلالته لبث في المصحّة 72 يومًا وهي مدة كبيرة تدلّ على أن المرض الذي أصيب به جلالته خطير لولا أن الله تداركه بلطفه، فالحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وأسأله أن يديم عليه وعلى جميع المغاربة العافية ويسبل عليّ وعلى إخواني أيضًا مثلها من الحرية والطمأنينة ومواصلة الجهاد الوطني.

27 أبريل/ نيسان

اليوم جاء إلى منزلي المدبّر أوكلير بصحبة ماسا وطافا في المنزل كلّه وعدّدا الحوائج الموجودة، وقوّما ما أرسله أوكلير وما كان هنا من قبل في المنزل، ثم ما اشتراه روكس وترك ما اشتريته أنا، ثم سألني هل في الدار ما يحتاج إلى الإصلاح فأريته الزرب الذي سقط، ثم طلبت صنع ستارة من القصب تمنع دخول الشمس. فقال إنه سيرسل من يصنع ذلك كلّه ثم خرجوا وما زلت لا أدري هل هذا محض عمل إداري تجدّد إذ كان وقع من قبل وجاء أوكلير وعدّد وقوّم بمجرد دخولي أم لغرض خاصّ؟ ذلك ما سنعلمه بعد ...

ـ في ليل هذا اليوم هجم على صالة الأكل حنش خبيث وبعد لأي قتلناه نحو الساعة التاسعة وهذا الحنش السابع، مما أصبت في هذا المنزل الذي أنزلت فيه مدة ثلاثة أشهر فقط، في حين أن سائر البيض لا يعثرون في منازلهم المجصّصة على شيء من ذلك. السنة كلّها وأنا أسجّل هذا

ليعرف أنني لم أكن في منفاي ساكنًا إلا مع الأحناش والحيوانات السامّة سلّم الله منها.

28 أبريل/ نيسان

اليوم قدم إلى هنا شخص إغريقي يدعى ميشيلي وهو يتكلّم العربية جيدًا باللهجة المغربية وقد أخبرني انه أقام في المغرب مدة سبعة أعوام وخصوصًا في فاس وناحيتها وكان هناك مدة الحرب الريفية يتجر مع الجيش الفرنسي، وقد سألني عن الأحوال، وفي أثناء الحديث علمت منه أنه مات في المغرب خمسة وعشرون فرنسيًّا وثلاثمائة مغربي في أثناء المظاهرات التي وقعت بعد اعتقالنا، وهذه المرة الأولى التي ألتقي فيها أوروبيًّا يتكلّم العربية ويعرف المغرب في مويلا وقد تأنّست عشية اليوم بهذه المحادثة الصغيرة بلساننا العزيز.

فاتح مايو/ أيار

اليوم كتبت الرسالة عدد 18 للوالد شكرته فيها على ما أرسله من الشاي واليومية وبيّنت له تأثّري بشرب الشاي المغربي بعد انقطاعه عنّي مدة ستة أشهر وهنّأته بشهر المولد النبوي.

- قام ماسا يبحث حول ميشيل وسأله ما إذا كان يعرف العربية وعن جنسيته إلخ.

- استعدّوا اليوم لمقابلة الحاكم العام لأفريقيا الاستوائية ولكنه لم يصل.

- اليوم عيد الشغل الذي أصبح رسميًّا في فرنسا منذ السنة الماضية ولكنهم هنا لم يقيموا له وزنًا ولا ذكر له بالكلية.

2 مايو/ أيار

علمت أنه وصل بالأمس كتابان عربيّان لي وسلّمهما جلواني المكلّف بالبريد لماسا ليدفعهما لي ولكنه أبقاهما لديه وزارني في هذا اليوم دون أن يخبرني عنهما؛ فلا أدري لماذا؟

3 مايو/أيار

ذهبت صبيحة هذا اليوم صحبة ماسا عند جلواني لأخذ فرضي عن شهر ماي، فسأل جلواني ماسا هل أعطيت للفاسي الكتابين العربيّين اللذين وجّهتهما لك يوم أمس مع لاجودان؟

ـ ليسا سوى فهرسين. ثم تذاكرنا في مسائل كثيرة خصوصًا في العناصر التي تتكوّن منها الأوطان خصوصًا في المغرب وإسبانيا وفرنسا، وهم يحاولون أن يعتبروا أن في المغرب ومثله أجناسًا كثيرة ولكن في فرنسا هناك جنس واحد ليس إلا. فقلت لهم عن البروطان والكورس واليهود والإيطاليين فاعترف ماسا بذلك ولكنه دافع عن الدخلاء الطليان وقال أن لا فرق بين جنس فرنسي وإيطالي في حين أنه هو يقرّ الفرق بين الكورس والفرنسيين. وبعدما خرجنا سألت ماسا هل وصلني فهرسان؟ قال لا، ذلك لي، وقد سألت لاجودان فقال لي: إن جلواني أعطاه كتابين عربيّين وقال له هذان وصلا للفاسي فأعطهما لماسا ليدفعهما له.

فيظهر أنهما وجِّها من جهة بغير واسطة الإقامة فأخذهما ماسا الآن ليوجّههما للمغرب...

ـ عشية اليوم ونحو الساعة الخامسة والنصف وصل إلى هنا الحاكم العام لسائر مستعمرات أفريقيا الاستوائية الفرنسية م.ريست بعدما انتظره القوم أيامًا، وقد جاء لزيارتي في منزلي في الوقت نفسه وبصحبته حاكم الناحية ودخلا المنزل ومعهما ماسا، وكنت قد علمت بمجيئه في آخر ساعة فارتديت البذلة البيضاء وربطة العنق. ووقفت للسلام عليه فسلّم بأدب وقال وكان ماسا يترجم بيننا: إنني مررت هنا مرورًا قصيرًا ومع ذلك أبيت إلا أن أزوركم زيارة قصيرة لأرى منزلكم وحالكم فقلت له: أشكركم على عاطفتكم، وإنما أتشرّف أن أرى الآن ريست الذي سمعت عنه في المغرب وعن حسن معاملته للمسلمين لما كان نائب حاكم في الجيش الفرنسي فقال: أنا أعرف كثيرًا عن المغرب والجزائر ولكن لا أدري هل يعرفون في المغرب عنّي شيئًا، فقلت له بلى: في المغرب سمعت من كثير من تجّارنا الموجودين في أفريقيا الغربية عن

حسن معاملتكم، فظهر تأثّره لذلك. وقال: حقيقة أنني عاطف على المسلمين وقد أقمت في كثير من أقطارهم في أفريقيا الغربية والجنوبية والشمالية. ثم سأل عن حالتي الصحّية وحالتي العامّة فقلت له: إنني طيّب والحمد لله، قال لي: وكل ما تحتاجه تطلبه من الحكام هنا: فقلت له نعم. وحضرة حاكم الناحية يهتم بي ويزور المنزل بقصد التفقّد مرارًا. فقال حاكم الناحية: هذا واجب وحقيقة إن الفاسي جدّ لطيف وهو أيضًا يعطف عليّ كثيرًا وقد أهداني صنيدقًا من الشاي المغربي، فسأل هل في الشاي المغربي خاصيّة لا توجد في الشاي الذي يشرب في إنكلترا، فقلت: له لا. وإنما نحن نجده ألذّ وهناك أيضًا ذكريات عائلية تجعلنا نفضّله على غيره، ثم دخل البيت ورأى كل ما فيه وقال: لو كان عندنا منزل أحسن لأعطيناك إيّاه، فلم أحبّ أن أتكلّم معه في موضوع طلب مادّي قد يجاب وقد لا يجاب احتفاظًا بالكرامة والشرف. فسأل عن الفحص الطبّي فبيّن له ماسا ذلك. وعن المبادئ الفرنسية فأريته الكتب الأولية التي أعطيت لي من المدينة الحرّة ورأى دفتر التمارين الفرنسية ثم قلت له: ولكن يا سعادة الحاكم لا يمكن أن أبقى بغير كتب عربية، فقال ماسا: هذا راجع لجلالة سلطان المغرب والإقامة العامة. قلت له: ولكن أنا هنا بعيد من أولئك الآن، فسأل الحاكم ماذا نقول: فقلت له بالفرنسية: أطلب الكتب والجرائد العربية وترجم له ماسا ما راج بيننا: فانتفض وقال: معلوم غير ممكن أن شخصًا مثل هذا يجلس بغير كتب خاصة القرآن وغيره أيضًا. ولو كان هنا معبد كاثوليكي أما كان وجد الكتب التي يحتاج إليها. وتكلّم مظهرًا غضبه لهذا، ثم قال لي: أنا إذا وجدت في براسافيل كتبًا عربية بعثت لك بها. وسأطلب من المغرب أن يوجّهوا لك الكتب، فقلت له شكرًا. وقال ماسا الكتب لا بدّ من أن تصل. وهو قد كتب رأسًا للمقيم العام، إنما الأمر يحتاج إلى وقت فقلت له بالفرنسية: على أي حال لا يمكن أن أبقى دون كتب، قال ماسا نعم إنما الذي يمنع هو الكتب السياسية وقال ذلك بالفرنسية فأجبته أيضًا، فليكن المنفى، السياسة، فات الأوان، قد أخذت اتجاهي. وساد صمت يسير مقدار دقيقتين ثم قال الحاكم: أنا بمجرّد ما أذهب سأكتب للمقيم العام ليعجّلوا بتوجيه الكتب لك، ثم سأل عن زوجتي هل سترد، فقالا له

قصّتها وكان في الخارج البيض ورجال معيّته في انتظاره فنادى لاثنين منهما وقدّمهما لي وقال: هذا رئيس ديواني وهذا رئيس شركة السكّة الحديدية وقال لهما: هذا السيد الفاسي، ثم قال: كل ما تحتاج إليه يمكنك أن تطلبه من حاكم الجهة فقلت له: إنني أفعل ذلك ثم شكرته على عواطفه وتوادعنا وخرج الجميع. وقد سافر في الساعة نفسها إلى دندي حيث ينام هناك ويسافر في الغد إلى الكونغو مقرّ إقامته.

ـ علمت فيما بعد أن الحاكم قال لرئيس الناحية، إن هذا المنزل لا يليق بمثل ذلك الشخص وكذلك المبلغ المادي الذي يُعطى له لا يكفيه للحياة هنا وقال له إنني سأكتب للمغرب ليزيدوا له المال ويهيّئوا له منزلًا مناسبًا.

4 مايو/أيار

جاءني ماسا اليوم وطلب إليّ أن نذهب للعيادة الشهرية، فذهبنا وقابلنا رئيس المستشفى الجديد وهو مارتينيكي هجين وبعدما سألني عن الحال فحصني وفحص ضغط الدم وقال إن الحال حسن. وطلب منه ماسا الشهادة بذلك.

7 مايو/أيار

اليوم كتبت الرسالة عدد 19 للوالد وقد أخبرته فيها بزيارة الحاكم العام.

ـ كان ماسا يعطيني بعض الأعداد من جريدة التلغراف الجزائرية بعدما يأخذ منها قصاصات ولكنه لم يعطني في هذا الشهر والذي قبله ولو عددًا، وقد أخبرني بالأمس بعض الأفراد أن بلوم ارتقى للوزارة فلعل هذا هو السبب، أي أنهم أحبّوا أن يخفوا عنّي مجرى التطوّر السياسي الواقع في فرنسا خصوصًا إذا نشطت الحركة المغربية بهذا المجال. وأيضًا فقد علمت أن ألمانيا تغلغلت في النمسا وهذا ما ينذر بحدوث بعض قلاقل جديدة فلننتظر ما تأتي به الأيام.

14 مايو/أيار

اليوم كتبت الرسالة عدد 20 للوالد وكلّها تدور حول مغزى الذكرى النبوية.

ـ بتّ ليلة هذا اليوم مريضًا وأصبحت كذلك وقد زارني الطبيب وأشار

عليّ باستعمال الكينا وأعطاني كاشيات للغاز وقد لازمت الفراش يومين ثم عافاني الله سبحانه.

16 مايو/ أيار

اليوم موعد الذكرى الثامنة الحزينة لصدور الظهير البربري الذي قسم المغرب شطرين، شطرًا عربيًا وشطرًا بربريًا والذي أعطى لما يسمّونه العرف صبغة قانونية مضادّة للشريعة والوحدة التشريعية المغربية، كما كان عنوانًا صادقًا لنوايا السياسة التبشيرية التي يقوم بها الكاثوليك وأنصارهم من رجال الحماية لمقاومة الإسلام والعروبة في بلادنا وللسير بها إلى طريق التنصّر والفرنسة.

ولست أدري ما كان لهذا اليوم هذه المرة من صدى في المغرب وفي سائر الأراضي الإسلامية، إنما لا أشك في أنه كان ذا مظهر هادئ في بلادنا لقربها من الصدمة العنيفة وذا مظهر أقوى في مصر وغيرها من أراضي الإسلام. أما أنا فقد دأبت هنا على ما اعتدته فصمت اليوم واعتكفت داعيًا لله اللطيف أن ينقذ أمّتنا من كيد خصومها «اللهم يا لطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير، ولا تفرّق بيننا وبين إخواننا البرابر» ولا شك في أن ماسا الذي علم خبر صيامي سيبلغه للإدارة المغربية فيكون ذلك عنوانًا على احتجاجي المستمر ضد هذه السياسة التنصيرية التجنيسية الانفصالية وأصحابها.

17 مايو/ أيار

علمت أن وزارة بلوم الثانية سقطت وشكّل الوزارة بعده دالادي وأن الحماية في تونس اقتدت بإخوانها في المغرب فاعتقلت جميع زعماء الدستور الجديد ولا أدري ماذا جرى بعد، لأنني حتى الساعة لم أعد أطّلع على جريدة، وإنما أتلقّف هذه الأخبار الصغيرة كما تتلقّف السحرة الذين يسترقون السمع.

18 مايو/ أيار

فتح مدير المدرسة الفرنسية دروسًا ليلية هنا وقد طلب إليّ توجيه طبّاخي وسخاري ففعلت وإن كان ذلك جعلني أضطر لتأخير وقت العشاء على ما اعتدته.

21 مايو/أيار

اليوم كتبت الرسالة عدد 21 للوالد وقد أعربت له فيها عن اشتياقي لرسائله التي غابت عنّي، إذ منذ تلقّيت رسالته 7 المؤرّخة بـ 7 مارس/آذار لم يصلني منه كتاب، ولا شك في أنه كتب وكتب، ولكن الكل منزل في الإدارة ينتظر الالتفات والعطف من ساداتنا الحكّام الفرنسيّين الذين يحسبون أنفسهم آلهة هذا الكون، ولا شكّ في أنه يفعل برسائلي إليه أيضًا ما يفعل برسائله إليّ أو أكثر، في حين أنها تشبه أن تكون روسمًا واحدًا.

24 مايو/أيار

اليوم تسلّمت من الوالد ثلاث رسائل من عدد 8 إلى عدد 10 من تاريخ 8 إبريل/نيسان إلى 27 منه، والكلّ ينبئ بسلامة العائلة وقد أخبر أنه ما زال ينتظر كتابي عدد 6 الذي يشرح طلبي لتوجيه حرمي وقال: إن الحرم تجيب عن المجيء إليّ بالقبول، ولكن يلزم التربّص بضعة أشهر ريثما تنمو ليلى وتقدر على السفر البعيد الشقّة كما أنه ما زال ينتظر قائمة الكتب التي أعطيتها لروكس، وقد أخبر أنه وجّه لي ثلاثة أمتار من شاركة وبرادًا من نوع الذبابة وبلغة جيدة، ولكن حتى الآن لم يصل شيء.

تسلّمت مع كتاب الوالد رسالة من لدن ابن العمّ المحترم الأستاذ عبدالسلام الفاسي يعرب فيها عن عواطف سائر أبناء العمّ نحوي، ويخبر بأخذ ليلى في النمو والمناغاة وباستعداده للقيام مقامي في الاهتمام بالناحية الصحية لللا زهراء وليلى.

27 مايو/أيار

اليوم كتبت الرسالة 22 للوالد أجبته فيها عن رسائله الثلاث وأجملت له ما كنت كتبته له في الرسالة عدد 6 التي لم تصله حتى الآن، كما كتبت جوابًا للأخ سيدي عبدالسلام الفاسي وقد طلبت منه تأكيد الاهتمام بصحّتَي للا زهراء وليلى.

- مساء اليوم تعشّيت كالمعتاد ورقدت كامل العافية لا أشعر بشيء

لكنني استيقظت في الساعة الواحدة والنصف فألفيت كتفي اليسرى وكلّ ذراعي ويدي في وجع شديد حتى كأنها تكاد تسقط مع البرد الشديد حتى اضطررت للتغطّي بكل ما عندي من الملاءات وبعد نحو الساعة انقلب البرد حرارة شديدة وتسرّب الألم لمحزمي وسائر النصف الأسفل، ولما أصبح الصباح اشتدّت الحال عليّ من جهة الحرارة والألم، حتى لم أكن أستطيع أن أقيم على جانب، وقد استدعيت حضرة الطبيب فجاء لعيادتي صحبة ماسا وعرف أن ميزان الحرارة علا إلى نحو 39 درجة، وأعطاني تعليمات كأكل الكينا وعدم تناول الطعام إلا الحليب والحريرة، وحبات لتخفيف الصداع، وقد استعملت كل ما أشار به فبتّ أخفّ من الليلة الماضية ولما كان اليوم الثاني بعث لي الممرّض فوجد الحرارة قد سقطت إلى درجة معتادة وهي 37 ثم أخذ البول وفحصه كما فحص الدم وألفى الكل طبيعيًا والحمد لله، وقد ظللت اليوم متدرّجًا في العافية ورقدت الليل كلّه.

30 مايو/ أيار

اليوم زارني الممرّض فوجد الحرارة في درجة 37 وقد ظللت اليوم أيضًا معافى، ولكن في السادسة مساءً عاودتني الحمّى الحارّة بشدّة وبتّ الليل كلّه كذلك دون أن أنام ولو قليلًا وعلى الرغم ممّا استعملته من الكينا فإنه لم يؤثّر شيئًا، وشعرت بحرارة في النفس ولما أصبح الصباح سقطت الحرارة قليلًا وقد وصلت إلى 37 .

31 مايو/ أيار

ذهبت صبيحة اليوم إلى المستشفى للطبيب ورويت له كيف بتّ ليلتي كما أخبرته بأنني أحسست انتفاخًا يسيرًا في جدار لحيي وبعدما فحصني فحصًا دقيقًا تبيّن له أن هذا نتيجة ضرس العقل الذي يحاول الخروج، وقد أعطاني عدة إرشادات وأرسل لي في العشية عدة أدوية صحبة رئيس الممرضين في المستشفى الذي أراني كيفية الاستعمال، فنسأله سبحانه العافية.

- ومن المهم أن أسجّل هنا أنني على الرغم من الألم الشديد الذي لقيته في الليل الدامس غريبًا وحدي لا أنيس إلا الله، فإنني كنت عظيم الاستسلام

والطمأنينة لم أهتم لذلك بالكلية وكنت أقول آخر الأشياء الموت، والموت باب لا محيد لأحد عنه.

ـ اليوم تسلّمت رسالتين من الوالد عدد 11 و 12 يهنئني في الأولى بالمولد النبوي، وفي الثانية يعظ بالصبر، وهذه المرة الأولى التي تصل فيها رسالة بعد 20 يومًا من تاريخها كما أن هذه المرة الأولى التي لم يطلبني ماسا في التوصيل بعد تسليم الرسالتين إليّ.

1 يونيو/ حزيران

بتّ الليلة مستريحًا نسبيًا واستعملت كل الأدوية التي أشار بها الطبيب، وقد زارني حضرته صحبة ماسا، وقال، إنه إذا لم يتراجع النفخ فسيضطر لجرح المحل جرحًا خفيفًا، وفي العشيّة عادني حاكم الجهة أوكلير كما عادني مدير المدرسة الفرنسية م. ليكي وزوجه، وقد أبديا عطفًا كبيرًا وتأثّرًا للحال.

2 يونيو/ حزيران

ـ اليوم زارني في الصباح رئيس الممرّضين صحبة ماسا وقد قال إن المحل يتراجع شيئًا فشيئًا وربما لا يضطر إلى جرح.

ـ ذهبت إلى أمين الخزينة لأخذ المونة صحبة ماسا. فبعثنا وراء حاكم الجهة الذي جاء وفي يده دفتر صغير فكتب فيه وصلًا وقّعه هو والترجمان ماسا وأمين الخزينة، وقد قدّم لي الأمين القلم للتوقيع كالمعتاد فقال له الحاكم، لا محل لذلك وقد وقّعنا نحن الثلاثة. لست أدري ما الباعث على إغفال توقيعي واستعمال شهادتهم عليّ بالحيازة، إذا كان ذلك لفقدان الشخصية المدنية فالحائز أيضًا وهو سفيه لا يشهد عليه ويكون سفيهًا لا يعتبر تصرّفه، وأنت ترى أن ذلك أغفل حتى في مواصلتي من ماسا بالرسائل والواردات، الحاصل أن هذا مما يدل على اختلال الإدارة المغربية، لأنني منذ بدأت آخذ هذا الفرض وكل تصرُّف جرى في هذا الشهر لا يعاد له في الشهر الذي بعده.

ـ هذا وقد علمت أن المبلغ المادّي المودع من أجلي هنا قد انتهى، وأنهم سيرسلون برقية يستعجلون الإرسال.

3 يونيو/ حزيران

لم تعاود الحمّى، غير أن محل الضرس زاد انتفاخًا وأصبحت أجد صعوبة في البلع، وقد زارني صبيحة هذا اليوم الطبيب وقال: إن الأمر سهل ولكن يجب الاستمرار في تناول الأدوية كلها وأن ليس هناك صديد.

4 يونيو/ حزيران

اليوم كتبت الرسالة عدد 23 للوالد أجبته فيها عن رسالتيه وتكلّمت له عن مقدار حسن ظنّي في الله.

ـ ما زال محل الضرس منتفخًا وما زلت أجد صعوبة في البلع، كما أنني ما زلت أعجز عن أن أحرك فكّي دون أن أشعر بألم، لكن الحمّى لم تعاودني بعد والحمد لله.

ـ في العشية زارني حاكم الناحية صحبة فرنسي قدم إلى هذه القرية زائرًا وقد قدّمه لي كمدير للغابة في أفريقيا الاستوائية، وقد جلسا عندي بضع ساعات تناولا فيها الشاي وتحدّثنا يسيرًا وقال لي هذا الزائر إنه كان موظفًا كحارس لغابة المعمورة في المغرب قبل 10 سنوات وهو يتكلّم قليلًا من العربية.

ـ كنت في طريقي إلى بورجنتيل، أخذت الباخرة التي تقلّ المسافرين بين أوروبا وأفريقيا، ركبت فيها صحبة روكس من ليبرفيل، وكنت لقيت فيها شابًّا عربيًّا من بلاد الشام يتاجر بالجواهر وهو متّجه إلى الكونغو الفرنسي فالكونغو البلجيكي وتعرّف خبري وكان معه شاب أسمر اللون لم أدر من هو، وكنت حين وصلت إلى مويلا قد شككت في كون هذا الشاب الأسمر هو م.ليكي مدير المدرسة الفرنسية، لكنني لم أسأله عن ذلك، وعشية اليوم، لقيته صحبة زوجته وتحدّثنا يسيرًا فعلمت منه أنه هو من كان مع الشاب الذي لقيته في الطريق وهذا ما أكّد لي حسن عاطفته.

8 يونيو/ حزيران

في أثناء محادثة مع ماسا قال لي: إن حاكم مستعمرة الغابون كتب إلى

الإقامة العامّة في المغرب يقول: إنه لا محل لإرسال المكاتيب دائمًا بواسطة ليبرفيل وإنه يمكن للإقامة أن ترسلها رأسًا إلى مويلا بواسطة حاكم الجهة الذي يسلّمها لي، وإذا سلكت الإقامة هذا الطريق فستختصر الفترات التي بين رسائل الوالد قليلًا.

9 يونيو/حزيران

صبيحة هذا اليوم توجّهت إلى المستشفى لإتمام علاج الضرس ولقيت في طريقي المفتّش العام لحكومة الغابون صحبة أوكلير فسلّمت عليه وسألني عن الحالة فأجبته عنها وقال إنه جاء لزيارة هذه الناحية لأنه سيذهب إلى فرنسا في 15 يوليو/تموز في الطيارة لأن له هناك ستة أطفال وسينتهز فرصة العواشر الصيفية ليصل الرحم بهم، ثم قال لي إنه سيزورني في العشية صحبة ماسا.

ثم توجّهت إلى المستشفى فوجدنا هناك الكولونيل رئيس الصحّة العامّة في الغابون وبعدما أجرى الطبيب عمليّته في علاج الضرس، تقدّم الكولونيل وسألني عن الحال فأجبته وفحصني فقال إنه لا بأس، ثم قدّم له الطبيب نسخ الفحوص الطبية السالفة، ثم جعل يتكلّم وكأنه يستصعب المقام هنا، وقال إن لارينيون أكثر صعوبة من جهة حمّى المستنقعات وإنها أكثر ممّا هنا، وكانت آخر كلمة قالها: صعب حقيقة، وكأنه أراد أن يتكلّم لكنه استدرك قائلًا، ولكن لا بأس وودّعنا، وقد أسفت كثيرًا لحال الزعيم عبدالكريم الذي لبث أكثر من عشر سنوات في بلاد هي أقبح من هذه الأرض حسبما قاله الكولونيل مع أنه سلّم نفسه لفرنسا واضعًا ثقته فيها، وقد كان يمكنه أن يسلّم نفسه لإسبانيا أو غيرها أو أن يفرّ كما فعل النجاشي ولكنّ ثقته بأن فرنسا ستعامله بالحسنى جعلته يسلّم نفسه لها، ومع ذلك فهو يتعذّب الآن، في حين أن غيره ممّن أقاموا ثورات عسكرية في المغرب مطلقو السراح بعد أن قبض عليهم قسرًا.

- جاء في العشيّة المفتّش صحبة حاكم الجهة وماسا وبعدما سأل عن الحال كالمعتاد قلت له: يا حضرة المفتّش إنكم تكلّمونني في المسائل المادية دائمًا، لكنني سأكرّر المطالبة بالكتب والجرائد.

ـ أما زال لم يصلكم جواب المغرب.

ـ ما زال، وقال ماسا: إن هذا عمل سعادة المقيم العام فلا بد من الانتظار، قلت: طيب هذا لأجل ما يرد من المغرب، ولكن هنا يوجد جرائد وكتب في الغابون، قال المفتش: نعم، ولكن ماسا عاد فقال: لا حقّ لك في ذلك، قلت له: ولماذا؟ هذا ليس بحقّ ولا قانون: قال: نعم، إذا نحن أردنا أن نطبّق معك القانون ستخرج حرًّا الآن، وتكون لك الغلبة علينا ولكن؟ قلت: وإذن لا معنى لأن تسمحوا لي بالأكل أيضًا لأن الأكل لي بمنزلة الكتب...

ـ ولكن إذا لم تأكل فلن تجد القوة على الحياة..

وسأل المفتّش، فأجابه بالموضوع الذي نتحاور فيه، فقال له: في أي حال يمكن أن تعطيه على الأقل روايات وكتبًا من الأدب القديم ريثما يجيب المقيم.

ـ ماسا، هذا شأن المقيم العام.

ـ أليس مدير الشؤون السياسية الذي يتولّى ذلك؟

ـ لا المقيم بنفسه يتولّى ذلك، وأظن أنه لا بد من أن يرسل بعض الكتب، إنما ما زالت المسألة قيد البحث. قلت: إذن سأنقطع عن الأكل، لأنني لست الرجل الذي يعيش للخبز فقط.

المفتّش ـ ولكن ها أنت ترى أن المسألة ليست بأيدينا.

ـ نعم وإنني أتكلّم مع من هي بيده، إن هذا شيء، لا يطاق، إنه يا سعادة المفتّش يوجد في جميع السجون المغربية خزائن للكتب يقرؤها أكبر المجرمين السفّاكين واللصوص من الفرنسيين والمغاربة.

حاكم الجهة ـ الحقيقة أنك على حق، لكنّ هنا فرقًا بين حالتكم كمقيم هنا وحالة سجين لا شك في أنكم أوسع حرية.

ـ نعم، لكنّ هنالك في المغرب سجنًا أكبر من مويلا، وهناك الجوّ المغربي والهواء المغربي.

ـ مع ذلك هنا أحسن.

ـ طيب، لكن الكتب والجرائد.

ـ المفتش ـ حقيقة في سجون فرنسا الكتب والتفت إلى ماسا قائلًا على الأقلّ أعطوه كتبًا أدبية قديمة (كلاسيك) لكورناي وراسين وأناتول فرانس.

ماسا: من الضروري أن يوافق المقيم عليه ولكن لا بد من أن ننتظر.

ثم ساد صمت يسير، وقال المفتّش بعد وهو يبتسم ولنرجع للشؤون المادية، راتبكم كاف؟

ـ اسمح لي يا حضرة المفتّش أبدًا لن أطلب شيئًا ماديًا، فأجابه ماسا بأنه كافٍ، ثم سأل عن الموظفين في المنزل هل يقومون بالواجب فأجبته.

ثم جرى حديث عام في شؤون مادية ترجع لغيري وودّعانهم، وخرجوا.

لا شك في أن الحاكم العام والمفتّش وجميع الموظفين الذين تحدّثوا إليّ، تركتهم يستنكرون مع ضميرهم منع الكتب عنّي، ويرون في تصرّف الإدارة المغربية شيئًا ماسًّا بكرامة فرنسا. أحسست هذا من عيونهم، لكن الجميع في العمل متضامنون.

10 يونيو/ حزيران:

أخبرني مدير المدرسة هنا أن المفتّش قال له عنّي: إنه يأسف لكوني ما زلت حتى الآن لا أتقن الفرنسية مع ما لي من العقل والفطنة وإن رأيه هو إعطائي على الأقل الكتب الأدبية القديمة التي أطلب، وقد قال له المدير، إنني طلبت من قبل حاكم الجهة أن يكلّمه فيعطيني دروسًا في اللغة الفرنسية، ولكن حاكم الجهة تقدّم بأعذار واهية، شأن من لا يريد ذلك، وحقيقة فقد كنت طلبت ذلك بواسطة ماسا الذي قال لي إن أوكلير أجابه بأن مدير المدرسة حديث العهد بالتعيين وما زال يجهل أخلاقه، وأنه ربما يرفض طلبه ويعتذر بأنه يقوم بواجبه ويشتغل الأربعين ساعة.

وفي العشية ذهبت لزيارة المفتّش في محل نزوله فوجدته يتمشّى قرب

الباب فسلّمت عليه وقلت له إنني جئت لزيارتكم فاستقبلني استقبالًا كبيرًا بأدب عظيم ثم دخل معي قاعة استقباله، فقلت له:

إنني كلّمتكم بالأمس، لكنّ حديثنا كان شبيهًا بالرسمي والآن جئت لأتحدث إليكم حديث ولد مع أبيه إذا حسن لديكم.

ـ حبًّا وكرامة، ومع الإرادة الخالصة.

ـ أشكركم، إنه أول يوم قرأت عطفكم عليّ في جيبكم ولا أنسى أنكم من تلقاء أنفسكم قدّمتم مشروعًا لنقلي من أنجلي إلى مويلا، وأنا أعرف أن هذا ليس شيئًا كبيرًا، لكنه تعبير عمّا يكنّه قلبكم.

ـ نعم أنا أعطف عليكم وأودّ لكم كل السعادة.

ـ لذلك جئت لأؤكد لكم اليوم كلامًا حول نقطتين: الأولى مسألة الكتب والجرائد، فأنا بقطع النظر عن كوني رجلًا سياسيًّا رجل علم وكل الناس يعرفون مكانتي المتواضعة في ميدان العلم، ولذلك فلا يمكنني أن أحيا حياة من لا يعرف شيئًا، منقطعًا عن الكتب والجرائد ولا يمكن رغم كل نظام ورقابة يفرضان عليّ أن أبقى بدونهما، لقد جلست هنا هادئًا منذ اليوم الأول إلى الآن، ولكن إذا استمرت الإدارة في منعي من مادة الحياة الفكرية التي هي فوق كل اعتبار فأنا مستعدّ لأن أستأنف هنا وحدي حياة الجهاد رغم فقدان كل الوسائل، وإذا كنت قد قلت لكم بالأمس، إن الكتب لي بمنزلة الخبز، فأنا أرمي بذلك إلى أنني إذا لم تعطني الكتب والجرائد فسأنقطع عن الطعام، أنا الذي لن أفقد إرادتي، إنكم تأتون إلى هنا كمفتّش عام وحين تأتون إليّ وتطلبون منّي هل أحتاج شيئًا، ليس من الأدب أن لا أطلب، لكنني لا أطلب يومًا ما شيئًا ماديًّا، وإذا جئتكم اليوم فلم آت لأطلب شيئًا ماديًّا، ولو لبثت هنا عشرة أعوام فلن تسمعوا منّي في هذا الموضوع كلمة ولن أطلب عفوًا، أنا مستعد لملاقاة كل شيء في سبيل مبدئي، لكنّ الحقّ الوحيد الذي لا أسكت عنه والذي أنا مستعدّ لأجاهد في سبيله هو ما يرجع للمعرفة، إن ما عوملت به في هذا الموضوع يدلّكم على مقدار ما يقوم به الجنرال نوكيس من اضطهاد فكري في المغرب فهو خير

مثل عن ذلك، ولهذا فإن مطالبتي بالكتب والجرائد هي مواصلة لمقاومة هذا الرجل الذي يضطهد الأفكار.

ـ أنا متّفق معكم تمامًا فيما يرجع للمعرفة، وأنا أعتبر أن هذا الشيء خارج كل عقاب وسأكتب في الموضوع للحاكم العام ريست وسأؤكد فكرتي المتفقة معكم.

ـ ذلك ظنّي فيكم يا حضرة المفتّش، والسيد ريست هو رجل لا شك في أنه غير راضٍ عن هذه الخطّة المقيمية وفي يوم زيارته لي لم يقل إن الأمر راجع للمقيم العام كما أخبركم ماسا بالأمس، بل أظهر غضبًا شديدًا لعدم وصول الكتب وخصوصًا الكتب الإسلامية.

ـ هذا شيء طبيعي والسيد ريست رجل طيّب.

ـ نعم لقد سمعت ذلك منذ وجودي في المغرب.

ـ اطمئن بالًا يا سيدي فسأبذل المجهود في الموضوع.

ـ أشكركم، والأمر الثاني أمر اللغة الفرنسية، فأنا قد أخذت ثقافتي بالعربية ولم أضطر في يوم ما أو أفكر في تعلّم الفرنسية في المغرب، لكنني الآن وأنا في موطن كل أهاليه يتكلّمون الفرنسية يلزمني أن أتعلّمها زيادة على كوني آخذها كفائدة زائدة في المعرفة. ولكن لا يمكنني أن أتعلّم الفرنسية وحدي بغير كتاب ولا محادثة، وماسا حين أراد أن يجيب طلبي بأن يتبادل معي دروسًا في الفرنسية بدروس في العربية، لم يشتغل معي جديًا، خصوصًا ونحن دائمًا نتحدّث بالعربية، ولا أجد هنا من يحدّثني بالفرنسية.

ـ وكيف ترون حلّ القضية.

ـ ذلك ما أطلب إليكم أن تدبروه.

ـ هنا أستاذ للمدرسة الفرنسية.

ـ نعم وهو رجل طيّب وقد كنت قد طلبت من حاكم الجهة في أن يكلّمه فاعتذر لي بأشياء واهية.

- وأين تريدون أن تتناولوا هذه الدروس.

- هذا شيء لا يهمّني، فسواء كان ذلك في المدرسة أو في منزلي أو منزل الأستاذ لا بأس. أنا لست بالرجل الارستقراطيّ خصوصًا إذا أحبّ أن يتعلّم شيئًا، ولا أرى في ذهابي عند الأستاذ ما ينقص من قيمتي.

- نعم نحن نعرف هذا منكم، ولهذا غدًا سأذهب إلى دندي وبعد الغد سأقول لماسا أن لا موجب لأن تتعبوا أنتم في إعطاء الدروس للسيد الفاسي ما دام هنا أستاذ موظّف من الحكومة إلخ ...

- ولكن أرجو ألّا تشعروا ماسا بأنني زرتكم في غيبته.

- نعم، معلوم إن هذه زيارة خاصّة.

ثم سألني هل جلالة السلطان هو الذي أرسلكم إلى هناك؟

- لا، ليس جلالته وليست فرنسا، لكن الجنرال نوكيس وأتباعه.

- لا ليست فرنسا، إنما قيل لنا إن جلالته هو الذي وجّهكم.

- إن جلالة السلطان هو الذي وقّع قرار إبعادي، هذا صحيح، ولكن لو أن جلالته امتنع لكان هو مبعدًا أيضًا مثلي.

- ماذا؟ نعم يا سيدي المفتّش إن أولئك القوم يستطيعون في أقرب وقت أن يدبّروا مؤامرة ضد جلالته ويختلقوا أشياء لا حقيقة لها لينالوا من كرامته، وقد سبق لقدماء الموظّفين الفرنسيّين في المغرب أن فعلوا هذا ضد المقيم العام بونسو، الذي لبث ثلاثة أعوام في المغرب نال فيها صيتًا حسنًا. ثم قصصت له خبر المدّة التي أقامها بونسو، وحوادث الموظّفين والمعمّرين، الرأسماليّين معه، وموقفه من المطالب المغربية التي قدّمناها لحكومة لافال الخ...

- ثم قال لي وكيف اعتقلتم؟

- إن فرنسا رفضت قرار إبعادي، لكنّ القوم دبّروا أخيرًا مؤامرة ضدّي وضد الحزب الوطني اضطرت معها فرنسا للاستسلام.

ـ وكيف ذلك؟

ـ أتحدّث لسعادتكم بكامل الحرية؟

ـ نعم نعم.

ـ فقصصت عليه خبر المدة الأخيرة مع الجنرال نوكيس وخبر الإرهاصات الأولى إلى أن ألقي علينا القبض فقال:

ـ لكن أخيرًا وقعت حوادث فيها موت.

ـ سمعت ذلك، لكنّ هذا بعد اعتقالنا، وطبيعي أن الشعب إذا اعتقل زعماؤه هاج، فإذا وجدت حكومة طائشة مثل حكومة نوكيس ترسل الجيش المسلّح إليه وهو أعزل من كل سلاح وقعت حوادث الموت، إن هذا يا سيدي المفتّش شعب وجمهور، وأنتم تعرفون ما يهيّج الجمهور ولا بد من أن يجني هذا أو أكثر منه، خصوصًا والقادة الذين يسيّرون الحركة بحكمة اعتقلوا.

ـ معلوم، هذه حقيقة.

ـ وبعد فهذا حديث خارج عن الغرض، لأنني ما جئت إليه، ولكنني مع ذلك أشكركم على اهتمامكم بالقضية المغربية وأرجو أن تجد عطفكم الدائم.

ـ سأل عن أخبار العائلة، ثم قال لي وهو يبتسم:

ـ وهنا سيدات، فلماذا لا تأخذوا واحدة منهن رغم اسودادهن كما ترى سائر الأوروبيين المقيمين هنا والذين لم يصطحبوا عائلاتهم؟

ـ لا يا سيدي، حقيقة إنني شاب مملوء حيوية (ابتسامة من الجانبين) ولكن ليس من الأخلاق أن أترك زوجتي حزينة من أجلي وأجلس هنا أصرف نشاطي مع غيرها، إذا أرسلوها فذاك، وإلا فسأجلس هكذا منتظرًا حكم الله، مضيفًا هذه التضحية إلى غيرها، وإذا كنت مملوءًا حيوية فأنا مملوء أيضًا إرادة.

ـ نعم الخلق وأهنئكم عليه، وعلى أي حال اطمئنّوا واحتفظوا بسروركم.

ـ نعم، وإنني والحمد لله دائم النشاط والسرور في كل الأحوال ومع جميع الألوان، لقد كنت مريضًا في الأسبوع الماضي، وبلغت الحمّى إلى

درجة 40 وكان ذلك في الليل وأنا وحيد وليس معي من يساعدني حتى على تناول الكينا، ومع ذلك فقد وجدت الألم في جسمي فقط، أما روحي فكانت كاملة الطمأنينة والطهر، ذلك ما أرجو الله في دوامه.

- نعمت الصفة هذه أيضًا، وحقيقة أن كل متديّن لا يخشى الموت فما دونه لأنه موقن بأن حياة الآخرة أحسن.

ثم عاد فأخبرني بأنه سيذهب إلى فرنسا في الطيارة، وسيمرّ على المغرب، فهنّأته بسفره ورجوت له السلامة في الظعن والإقامة، واستأذنته في الانصراف فأذن وخرج معي حاملًا السراج إلى وراء الباب فقلت له: أنا أشكركم على عطفكم، وأتمنّى ثانيًا، ألّا تشعروا ماسا بزيارتي لكم ولا بهذا الحديث الخاص، لأنني تحدّثت لكم كولد إلى أبيه.

- لا لا يا سيدي ضع كامل ثقتك واطمئنّ.

- أشكركم، ليلة سعيدة..

11 يونيو/ حزيران

اليوم كتبت الرسالة عدد 24 للوالد كتبتها مشجعة تكلّمت له فيها عن دخول الفصل اليابس وكلام من قبيل الهراء ليس إلا، لأنني أحير والله فيما أكتبه له، لأن لا جديد هنا، وإذا تكلّمت في موضوع فكري أو سياسي أو علمي حجزوا الرسالة عن الوصول وربما عادوا لمنع المراسلة التي بيني وبين الوالد فينقطع عنه خبري فالأمر لله سبحانه.

12 يونيو/ حزيران

أخبرني بعض الأهالي أن المسلمَين السنيغاليين اللذين جاءا لصيد السمك هنا كانا قد وجدا الوادي حاملًا فذهبا إلى بعض المداشر القريبة من هنا ليصطادوا بشاطئها وقد لبثا هنالك بضعة أيام، ومنذ ثلاثة أيام، أرسل مدبّر القسم في مويلا وراءهما فلما جاءا قال لهما انتظرا في مويلا حتى أطلبكما لآخذ عنكما بعض الاستعلامات فانتظروا يومين ثم ذهبا فأخذ أوراقهما الشخصية وجعل يبحث فيهما عمّا جاءا له وعن جميع اللوازم التي تلزم من

يريد السفر إلى هنا هل قاما بها أم لا، وسألهما ألم يكونا فرّا من الحكومة ليختفيا هنا ولا أدري أجوبتهما، إنما قال لي هذا المخبر أن الكمندار وجد أوراقهما كلها صحيحة وليس عليهما أية شبهة، ثم أرجأهما قائلًا حتى يأتي المفتّش يوم الاثنين ويسألكما أسئلة أخرى.

ـ لعل هذا نتيجة البحث الذي كان يقوم به ماسا حولهما، وهل يتصلان بي أم لا. وأظن أن الغاية هي إخراجهما من هذه القرية التي أنا فيها، حتى لا يكون هنا مسلمون، وهذا كله تابع لخطّة نوكيس الجزويتي ضد الإسلام حيث كان، والعجيب هو أن هذين المسلمين كغيرهما من السود لا يعقلان شيئًا لا يفهمان، ومع ذلك يقيمون لهما ولمثلهما (إن كان مسلمًا) من الوزن ما يقام مثله لأكبر الشخصيات السياسية، فسبحان من أعطى لكل واحد ما يشغله ويشوّش باله ولو كان بعوضة أو خيالًا غير متكوّن.

13 يونيو/ حزيران

استلمت اليوم الرسالة عدد 13 من الوالد أخبر فيها بسلامة العائلة وبأنه ما زال حتى الآن لم يتسلّم كتابي عدد 6 المتعلّق بزوجتي وأنه طلب من الإدارة البحث عنه فوعدوه بذلك، وهذا من العجيب فإن الكتاب لم يضع حتى يبحث عنه، بل حمله روكس وروكس وصل إلى المغرب وسلّم الكتاب ولكن يظهر أن الإدارة لا تريد أن تعطيه للوالد لأنه يشتمل على وصف دقيق للمحل الذي أنا فيه، وهي تحاول أن تكتم موطني وحالتي عن الكل.

14 يونيو/ حزيران:

خرجت في العشية للتجول فلقيت حضرة المفتّش العام نيكول وكان ماشيًا فوقف فتقدّمت للسلام عليه فقال لي: إنني بناء على ما وعدتكم به كلّمت ماسا وقلت له ما دام هنا مكتب فدع فلانًا يذهب عنده ليتعلم الفرنسية عند المدرس «ليكي» فقال لي إن هذا غير ممكن وبعدما حاورته قال لي: اسمح لي يا سيدي المفتّش فإنما أنا موظّف عسكري يلزمني أن أتّبع ما يأمر به الجنرال، قال لي المفتّش ولهذا فكل ما يمكنني هو أن أكتب بهذه المسألة للحاكم العام. قلت له: أشكركم على أي حال، ولكن إذا كان ما

يقوله ماسا هو الذي ينفذ فما موجب تردّد كثير من الموظفين عليّ وسؤالهم عما أطلبه وما إذا كنت أحتاج إلى شيء؟ فهز كتفيه وقال: كذا، قلت: ألم أكن قد كلّمتك في طلب مدرّس مويلا حين كنت في أنجامي؟ قال: بلى، قلت: أليس روكس بنفسه أبدى لكم رغبته في ذلك، قال: بلى، وأنا متفق معكم مبدئيًّا من أجل الكتب ومن أجل اللغة الفرنسية وبهذا سأكتب للحاكم وما سيأمر به ينفّذ، ولم أحبّ أن أطيل معه الكلام فسلّمت عليه وانصرفت.

علمت لاحقًا من طرف بعض كبار الموظّفين هنا ممّن كان حاضرًا حديث المفتّش مع ماسا أن ماسا قال له: إن الجنرال يرى ورأيه سديد أن لا معنى لأن نعلّم الفاسي الفرنسية فإذا خرج من منفاه بعد خمس سنوات أو عشر مثلًا فلن يكتفي بالكتابة في الجرائد العربية لمقاومتنا بل سيقوم بالكتابة في الجرائد الفرنسية للدعاية ضدّنا في أوساط الشعب الفرنسي وهو رجل مقتدر في الدعاية، وأيضًا فإن تردّده على المدرسة ولو في وقت خاصّ به سيمكّنه من بعث الأفكار في وسط هؤلاء السُّود فربما تكوّنت هنا حركة وطنية سوداء.. وقال لي هذا المخبر إنهم تكلّموا في أمر التأثير فيّ حتى آخذ فتاة سوداء تعيش معي بطريق الزواج أو طريق السفاح، فانظر إلى هذه النفوس التي يحملها هؤلاء القوم، أكبر همّها أن تنزل الإنسان من قيمته وتراوده عن خيانة مبدئه وعقيدته وكل مقدّساته، فهؤلاء هم شياطين الإنس أعاذنا الله منهم، وقد فهمت من هذا أن الجنرال كبر عليه أن يلبّي طلبي في أمر زوجتي، لأنه لا يحبّ أن يطلع أحد على خبري غير الموجودين هنا. فأوعز إلى موظّفه هنا ليقوم بمراودتي وقبل أيام كنت مع ماسا ورأى بنية صغيرة فقال لي انظر هذه جميلة جدًّا وجعل يطريها ويتكلّم على النساء السُّود وحالهن في النكاح. فساوقته في الموضوع وحكيت له بعض ما يتحدّث به بعض المغاربة عن نساء السنيغال والسودان فسألني بعد ذلك، ولماذا لا تتزوج أو تأخذ واحدة من هؤلاء تؤنسك هنا، وبما أننا نتذاكر بصفة هزيلة فقد قلت له: إن ذوقي يعتبر أن البياض شرط أساسي في جمال المرأة وتناقشنا حول هذه النقطة كثيرًا ثم قلت له: وأيضًا فإن العلماء يقولون: إن فرج السوداء يكون في تركيبه أوسع من فرج البيضاء، وأنا لم أجرّب هذا.

ـ وبهذه المناسبة فإنني أسجّل هنا أنني والحمد لله حتى الآن لا أجد من نفسي إلا الإرادة الفعالة في دفع الشهوة والعزيمة الشديدة في عدم ارتكاب أية جريمة دينية أو خلقية، وأنا أرى أن الإخلاص لزوجتي التي تحزن من أجلي يوجب عليّ ألّا أرى غيرها حتى ألقاها، فإن أرسلوها فذاك وإلا فسأكتفي بحبّي لها وانتظاري لرؤيتها ثبّتني الله على هذه العزيمة بمنّه، أما الفرنسيون فقصدهم أن يهدموا ما يجدون في نفسي من شعور بقداسة هذه العزيمة المغربية التي ربما يستضعفونها.

ومن أجل ذلك يلزمني أن أتحمّل مرارة الصبر حتى يجدوا دائمًا تلك القداسة وتكون عنوانًا لكرامة الشعب المغربي، وإذا كان عند بعضهم بقية ضمير فسيجدون توبيخه الدائم ونار الضمير الموبّخ أشدّ وأكبر من نار المنفى.

15 يونيو/ حزيران

اليوم وصل إلى مويلا الجنرال مدير الصحة العامّة بأفريقيا الاستوائية، وقد ذهب صحبة الكولونيل والقبطان إلى بعض المداشر المجاورة لتفقّد أصحابها، إذ حلّ بهم مرض خطير يسمّى بالفرنسية (ليبر) ولعلّه هو الذي يسمّونه الجذام ثم رجعوا.

16 يونيو/ حزيران

وصل إلى هنا موظّف فرنسي جديد ليقوم بوظيفة البريد والقبض المالي التي كان يشتغل بها رئيس قسم مؤقّتًا.

18 يونيو/ حزيران

اليوم كتبت الرسالة عدد 25 للوالد أجبته فيها عن رسالته عدد 13 وقد احتفظت بما يهمّ منها، إذ وصفت فيها الحالة الروحية التي أعيش فيها، جوابًا عن قوله كيف حالكم صحيًا وماديًا، وقد أنشدته فيها متمثّلًا بقول الشاعر إزاء المثل الأعلى:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضابُ

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا صحّ منك الوصل فالكل هيّن وكل الذي فوق التراب ترابُ

20 يونيو/ حزيران

هذا المنزل الذي أنا فيه مقبو بالعسيف، وقد استوطن العسيف كثير من الحشرات خصوصًا العنكبوت وبنات وردان اللائي يتساقطن على مائدة الأكل وعلى وجهي وأنا جالس فكلّمت الفرنسيين هنا بما أنهم ملّاك المنزل أن يصنعوا بساطًا من الخشب فامتنعوا مع أنني أدفع لهم مائتي فرنك شهريًا في كراء هذا المحلّ الطيني والذي لو بيع هنا لما وجد من يشتريه ولو بخمسمائة فرنك، فاضطررت إزاء هذا أن أتّخذ وسيلة للوقاية من تساقط الحشرات خصوصًا على المائدة، فصنعت بساطًا من القماش يغطّي صالة الأكل ومتى تيسّر أيضًا صنعت مثله لصالة النوم، وقد استلزم هذا البساط مائتي فرنك ثمن القماش وأجرة خياط ونجّار.

25 يونيو/ حزيران

اليوم كتبت الرسالة عدد 26 للوالد وهي عادية.

2 يوليو/ تموز

اليوم ذهبت صحبة ماسا إلى المتصرّف المالي الجديد لقبض النفقة، فجاء أوكلير أيضًا، وقال للمتصرّف: جئت لنتمّ نفقة الفاسي ثم بعد حديث طويل دون فائدة في الموضوع ذاته، سلّموني 1900 فرنك و200 فرنك لأوكلير مقابل كراء المحلّ الذي أنا فيه، ووقّع الوصل أوكلير والمتصرّف الجديد ولم يوقّع ماسا، وهكذا في كل شهر شكل جديد؟

- اليوم كتبت الرسالة 27 للوالد وهي أفرغ من فؤاد أم موسى.

- وقعت في يدي صدفة قصاصة من جريدة الطان الفرنسية، فوجدت فيها أن هناك بين الحكومة الفرنسية وحكومة إيطاليا دعوى تجاه محكمة لاهاي الدولية في قضية الفوسفات المغربي. تطالب إيطاليا فرنسا بإشراكها في

استغلاله كما تقتضيه معاهدة الجزيرة الخضراء التي تفرض على الدولة المغربية عدم تمييز أية دولة عن أخرى.

6 يوليو/ تموز

اليوم ذهبنا إلى الدكتور للعيادة الشهرية، وقد قال: إن حالتي العامّة تحسّنت كثيرًا، كما أن الوزن كشف عن أنني استرجعت 4 كيلو ممّا فقدت في أثناء وجودي في السجن وفي المدينة الحرة، وقد وزنت الآن 58.100 وكنت وأنا في المغرب أزن هذا القدر في الأقل وفي الأكثر 63 إلا في مدة وجودي في فرنسا حيث لم أشتغل كثيرًا فقد وصلت إلى 67، وقد أخبرت الطبيب بهذا، وقلت له إنني في ظروفي الحاضرة هنا يجب أن أهتم بوزني لأنني في المغرب أصل إلى ذلك القدر مع ما عندي من الأشغال العظيمة الفكرية والجسمية والحال أيضًا أنني مع زوجتي، أما هنا فلا أشتغل مطلقًا ولا زوجة عندي .

ثم سألني عن الحالة العامّة، فأخبرته بأن الوجع الذي أجده في خاصرتي ما زال مصاحبًا لي فقال ينبغي أن تصبر، فقلت إن هذا مرض حاضر يجب علاجه فقال: إن له علاجًا خاصًا ليست عندنا في المستشفى بل يجب شراؤها من براسافيل، وقال ماسا إنه يلزم انتظار المغرب فسأكتب له ليوجّه المال اللازم لذلك.

7 يوليو/ تموز

اليوم وصلتني اللفافة التي وجّهها الوالد وهي تشتمل على جزمة رومية ونعل مغربية وقصاصة شاركة للبذلة الإفرنجية وبرّاد الشاي من الذبابة وقد وصل الكلّ سليمًا والحمد لله.

9 يوليو/ تموز

اليوم كتبت الرسالة عدد 28 للوالد أخبرته فيها بوصول اللفافة الموجّهة.

10 يوليو/ تموز

وصلني اليوم من الوالد كتابان عدد 14/ 15 الأول بتاريخ 5 يونيو/

حزيران والثاني بتاريخ 14 منه أخبر فيهما بسلامة الأهل والعائلة، وقد أرسلهما ماسا صحبة خادمه ووجّه معهما وصلًا كالمعتاد لكن صيغة الوصل تغيّرت، فقد كان يكتب أولًا أوصلت عن الترجمان ماسا ثم كتب أوصلت من السيد الترجمان اليوطنان[1] إلخ.. وهذه المرة كتب:

قبلت من السيد اليوطنان ماسا من الأمور العسكرية المسلّمة كتابين كتبهما السيد عبدالواحد الفاسي ولست أدري هل ذلك تفنّن منه فقط أم لأمر ما، وأنا أعرف أنه ملحق بإدارة الشؤون السياسية المغربية، ولا أعرف أن هذه الإدارة للأمور العسكرية المسلمة وإن كان هنالك في فرنسا سلك عسكري للشمال الأفريقي؟؟ فلعل هذه نغمة جديدة في التنظيم الإداري بالمغرب والمستقبل كشّاف.

11 يوليو/تموز

اليوم لقيت ماسا فسألته عن هذه الإدارة الجديدة فقال لي: إن قرارًا صدر من وزير الحربية الفرنسية بإحداث إدارة تسمّى إدارة الأمور العسكرية المسلمة يتركّب أعضاؤها من قدماء التراجمة العسكريين بعد أن ارتفع عددهم من 99 إلى 120 ويكون لهم رئيس خاصّ منهم برتبة كولونيل يخضع لوزارة الحربية التي هي مرجعهم الأعلى، وبمقتضى هذا فقد ألغي إطار التراجمة العسكريين.

- ينبغي أن يلاحَظ أن هذه التسمية بوصف إسلامي، شيء جديد في السياسة الفرنسية. فقديمًا كانت تحدث إدارات لمثل ما أحدثت له هذه ولجان، ولكن لا تعدو تسميتها عن أن تكون موصوفة بأهليّة أو شمال أفريقيا، أو للمستعمرات وبلاد الحماية والانتداب أو للبحر المتوسط أو لفرنسا وراء البحار «أما الآن فقد أحدثت نغمة خاصّة وهي الصفة الطائفية، ومعنى هذا أنه أحدث في الوزارة العسكرية جناح خاصّ بالمسلمين، ولو كانوا فرنسيين أصالة أو متجنّسين أو رعايا مثل السنيغال مثلًا، وإذا سير

(1) اليوطنان: Lieutnant كلمة فرنسية تعني رتبة عسكرية؛ وتستعمل بالعربية في كل الدول التي رزحت تحت الانتداب الفرنسي.

على هذا الاتجاه، فلا يبعد أن تصبح هناك وزارة للشؤون الإسلاميّة، وحينئذٍ تصبح فرنسا طائفية بكل معاني الكلمة؟ والأغرب هو أن هذه الإجراءات تأتي من وزارة الجبهة الشعبية.

14 يوليو/ تموز

اليوم عيد الجمهورية الفرنسية، ولكنهم لم يقيموا له كبير وزن في هذه القرية بل اكتفوا بتعطيل الإدارة، وقالوا إنهم سيقيمون حفلته يوم 24 من الجاري.

16 يوليو/ تموز

اليوم كتبت الرسالة عدد 29 للوالد أجبته فيها عن رسالتيه عدد 14ـ 15 وأخبرته فيها بأنني بخير[1].

6 أغسطس/ آب

اليوم أصبحت متحسّن الحال وخفّ عنّي الزكام قليلًا، ولكن ما زال أثره لم ينقطع.

ـ اليوم كتبت الرسالة عدد 32، ولكن بما أن م. ماسا ليس هنا فستبقى محفوظة إلى حين رجوعه.

8 أغسطس/ آب

عَلِمتُ أنه عثر على فيليكس في طريقه إلى لامبارني وأتي به إلى هنا سجينًا، ولم يُستَنْطَق حتى الآن، كيف حصل هذا مع وعد ماسا بعدم اعتقالهِ؟

10 أغسطس/ آب

وجّه ورائي رئيس الناحية وسلّمني رسالتين وردتا من الوالد، تحت عددي 18 ـ 19 بتاريخ 4 يوليو/تموز والثانية بتاريخ 13 منه، وفي ملحق الثانية يخبر بأنه بعد ختمها وصلته رسالتي عدد 22 المؤرّخة في التاسع من

---

(1) هنا بتر في المذكرات حيث ضاع عدد من الصفحات.

مايو/أيار. ومعها كتابي لابن العمّ سيدي عبد السلام أي أن هذه الرسالة بقيت في الطريق المدة التي بين 9 مايو/أيار و 14 يوليو/تموز، نحو الخمسة والستين يومًا، فانظر لغرابة هذه التصرّفات الإدارية التي تأبى أن تخرج من طبيعتها، ومع ذلك يقولون إنهم يفعلون ما توجبه الإنسانية، وأنا لم أنس هنا من طرفي أحدًا ولن أنسى بحول الله، وليعلم الله كيف حال عبدالكريم الذي انقطعت حركته واصطحب كل عائلته كيف حاله مع من يكتب إليهم.

أمّا هنا فإن رئيس الناحية قبل أن يسلّمني الرسالتين استعمل شيئًا جديدًا فاستدعى كاتبيه الأهليين وقال لهما إنه سيسلّم للفاسي كتابين وأعطاني ورقة مطبوعة تتضمّن نصّ الشهادة وطلب إليّ التوقيع عليها فوقعت، ثم سألته هل أعطيه الرسالة التي كتبتها للوالد ليوجّهها فقال: لا، انتظر حتى يرجع ماسا. وأدهى من ذلك كلّه، أنه قال: رسالتان من والدك أي خاطبني لأول مرة بصيغة الإفراد على خلاف ما يقتضيه أدب اللغة الفرنسية وما نعرفه من طريق المجاملة الاجتماعية، ولا سيّما من رئيس في إدارته لكنّني تغافلت عن ذلك ولم أحبّ أن أثير من أجله كلامًا، لأنني رأيت ذلك تعبيرًا فقط عن تربية هؤلاء الفرنسيين الذين يتوظّفون في المستعمرات وعن أدبهم، فقد ألفوا أن يحتقروا المخلوقات مهما كانت قيمتها عظيمة. مع أن الأدب يقضي باستعمال المجاملة حتى مع المسجونين المجرمين فضلًا عن الزعماء المضطهدين، ونحن نرى حاكم سجن الهند يخاطب غاندي في أثناء سجنه بكلّ عبارات الاحترام ويختم رسالته بالكلمة المعتادة لدى الإنكليز خادمكم المطيع فلان .. وكذلك مع سعد وزعماء فلسطين رغم ما تقوم به إنجلترا من اضطهاد وظلم، ولكن ما حال موظّف عاشر أهالي أفريقيا الجنوبية الاستوائية وأهل الغابون خاصة 25 عامًا؟ حتى لو كان ذا تربية صحيحة فكيف يمكنه أن يحتفظ بها، فصبرًا في مجال النفي صبرًا، ولا بد من يوم تُفضح فيه هذه الحقائق وتُدرس فيه هذه النفسيّات إن عاجلًا أم آجلًا، ويكون من ذلك درس يتعلّم منه القوم احترام الشرفاء وإن اعتبروهم خصومًا.

13 أغسطس / آب

اليوم كتبت الرسالة عدد 33 للوالد وحُفظت مع أختها حتى يرجع ماسا.

- جاءني ماسا صبيحة اليوم وذهب للتوّ إلى مركز البعثة الكاثوليكية التي تبعد عن مويلا خمس ساعات في الفلك الأهلي ومقدار ثلاثين كيلومترًا سيرًا على القدم لحضور حفلة عمادة الأطفال ...

وقبل ذهابه سلّم لخادمي 7 دفاتر مصوّرة من مجموعة الدفاتر التي تذيعها إيطاليا للدعاية للسياحة المصبوغة بالصبغة الموسولينية.

15 أغسطس/ آب

اليوم عيد العماد وقد عطلت الإدارة هنا.

16 أغسطس/ آب

اليوم رجع ماسا وزارني في العشية وأخذ الكتابين.

18 أغسطس/ آب

ما زال ماياس في السجن ولم يبحث شأنه.

20 أغسطس / آب

اليوم كتبت الرسالة عدد 34 للوالد وهي عادية ووجّهتها للسيد ماسا وستتوجّه مع أختيها في آن واحد.

- أخذ ماسا يعطيني أعدادًا من اللوستراسيون كما وجّه لي دفاتر من شكل ما توزعه الحكومة الإيطالية للدعاية للسياحة في إيطاليا.

21 أغسطس/ آب

تسلّمت من الوالد كتابه عدد 20 .

22 أغسطس / آب

علمت أن ماياس خرج من السجن واستنطق عن الرسالة فقال: إنه مزّقها في سندرا فطلبوا منه أن يمكث هنا في هناء مدة شهرين، ولعلّهم يفهمون أن الجواب سيرد.

ـ تخاصم طبّاخي مع ميلسي هنا فزجّا في السجن ثمانية أيام. لكنّهم أخرجوا ميلسي بعد ثلاثة أيام سرًّا.

27 أغسطس / آب

اليوم كتبت الرسالة عدد 35 للوالد أجبته فيها عن رسالته 20 وقلت له عن مسألة التربية وكيف يجب أن تكون.

فاتح سبتمبر/ أيلول

اليوم ذهبنا للفحص الطبّي فقال الدكتور أن لا بأس.

3 سبتمبر/ أيلول

اليوم كتبت الرسالة عدد 36 للوالد وهي عادية ليس فيها أي جديد.

4 سبتمبر/ أيلول

اليوم عيد الوفاق الفرنسي وقد أقامت بمناسبته المدبّرية كالمعتاد احتفالًا ضمّ عددًا من موظّفي الناحية في مآدب وحفلات رقص أوروبي، كما أقيم معرض عام لفلاحة الناحية وصناعتها وقد أمّ القرية عدد كبير من السُّود وكانت المعروضات الفلاحيّة تشتمل على ثمر نخيل الزيت وتفّاح الأرض وبعض القطاني الأهلية والفول السوداني وبعض المصنوعات اليدوية من حُصُر وقدور وسكاكين ومنسوج عرضه 10 سنتيمات، ومن ألطف ما عرض تماثيل نصفية منحوتة في الحجر وفي العيدان ذات طابع زنجي خاصّ، وجلود لبعض الحيوانات والأحناش، وقد اشتريت بعضًا من هذه الأمور كذكرى لهذه الأيام، وقد كان هنا مصوّرون سينمائيون، يلتقطون المناظر المختلفة، كما عرضت البعثة الكاثوليكية مصنوعات أطفالها من معاجين ومشروبات وقماش، وبعض ثمارها كالجوز الهندي والقهوة وأهم ما ازدان به المعرض نماذج من معدن الذهب التي عثر عليها في مواطن مختلفة من جنوب الغابون والتي أخذت تستغلّها بالفعل شركة فرنسية بلجيكية يمثّلها بول ريتان واستخرج منها حتى الآن كيلو في اليوم.

5 سبتمبر/أيلول

ما زال الكثيرون من الأهالي هنا يبيعون منتوجاتهم وقد قاموا بأدوار رقص مختلفة بحسب قبائلهم.

ـ أخذ يعطيني ماسا بعض الروايات التمثيلية المضحكة التي تنشرها المجلّة المصوّرة.

7 سبتمبر/أيلول

كان من جملة القادمين إلى هنا لحضور حفلة الوفاق مسلم داهومي مصوّر وقد لقيته اليوم فسلّم عليّ، وقال لي: (ليس في الثورة عار، الرجل لا يبيع وطنه)، ثم جعل يسرد لي أسماء بعض الداهوميّين والسنيغاليين الذين نفوا إلى هذه الأرض من أجل جهادهم، وقد سرّني أن يكون كل المسلمين السود على فطرتهم وجهلهم وسوء أخلاقهم يحملون هذا الطابع الفكري الذي يؤمن بالتحرير، وفكرة كهذه لن تسمعها في هذه الأرض من غير مسلم، إلا إذا كان قد تثقّف ثقافة عليا.

8 سبتمبر/أيلول

سافر جميع السود والبيض الذين جاؤوا إلى الحفل، وبقيت القرية في صمت عميق، كهرج صلاة تلاه القنوت. ولحق الساكنين بها وحشة خاصّة كعادة الإنسان بعد مثل هذه المهرجانات العامّة.

ـ لا يكاد يمرّ يوم لا تسمع فيه عن حادث من حوادث الخصام سببه المرأة والحارس، وقد سجن معلّمي أيضًا بسبب ضربه لامرأته. هذا والحال أن السّود هنا لا يعرفون للغرام معنى.

10 سبتمبر/أيلول

اليوم كتبت الرسالة عدد 37 للوالد.

ـ أطلق معلّمي.

12 سبتمبر/ أيلول

منذ ثلاثة أيام والليل من أجوَد ما يُرى. البدر في عليائه دون أن يحجبه سحاب، والنسيم العليل يهبّ من كل الجهات، حتى كأنك في ليالي سبتمبر/ أيلول المغربية، وهذا شيء ما ألفته في هذه الأرض فهو فلتة من فلتات الطبيعة شاهدتها لأول مرة في الغابون.

15 سبتمبر/ أيلول

في هذه الأيام حل يوم ذكرى زواجي بللا زهراء وهي الذكرى الثامنة، وقد نظمت بهذه المناسبة ومناسبة قرب انتهاء عام على إبعادي قصيدة لطيفة سأبعث بها إليها.

- اليوم وصلت لفافة الكتب الثلاثة التي كان بعثها الوالد منذ أربعة أشهر.

16 سبتمبر/ أيلول

اليوم تسلّمت رسالة من الوالد عدد 21 أخبر فيها بأنهم سيقيمون حفل زفاف فاخية أخت زوجتي.

في هذا اليوم نظمت عدة قصائد في موضوعات مختلفة، وعلى طريق الارتجال، هي: 1 - الفصل اليابس في الغابون 2 - رؤية خيال. 3 - الحبّ. 4 - لا تقلّد، وهي في الدفتر الثاني من شعري الغابوني.

17 سبتمبر/ أيلول

اليوم كتبت الرسالة عدد 38 للوالد أجبته فيها عن رسالته (21) وبعثت له صحبتها قصيدتي في ذكرى السنة الثامنة لزواجي، ورسالة عدد 2 لتهنئة صهري بزفاف ابنته فاخية.

19 سبتمبر/ أيلول

أصبحت متوعّكًا وقضيت ليلة الأمس وعشيته في صداع كبير وتخمة اضطررت معه لعدم تناول العشاء وقد أصبحت اليوم كذلك مع انتفاخ موضع الضرس، وما زلت أستعمل ما عندي هنا من العلاج قبل استشارة الطبيب.

ـ اليوم تسلّمت من الوالد كتابه عدد 22 أخبر فيه بأنه وجّه لي علبة شاي أيضًا.

20 سبتمبر/ أيلول

ما زال موضع الضرس يزداد انتفاخًا.

أرسل إليّ حاكم الناحية نسخة من الشهادة التقليدية للحياة التي تطلبها من الموظّفين عادة إدارات المالية، وقد وقّعتها أيضًا، وهذه المرة الثالثة التي أُوقّع فيها نسخة، فلعلّ ما يستخرجونه من النفقة لا توضع له مدة كبيرة.

24 سبتمبر/ أيلول

اليوم كتبت الرسالة عدد 39 للوالد.

25 سبتمبر/ أيلول

تسلّمت كتاب الوالد عدد 23.

خفّ ألم الضرس قليلًا.

فاتح أكتوبر/ تشرين الأول

اليوم كتبت الرسالة عدد 40 للوالد، وهي عادية أيضًا.

ـ تحسّست خبرًا يؤذن بأن الحرب ابتدأت بين ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا من أجل منطقة سادوكا وأنه ورد أمر للموظّفين هنا يمنعهم من تعدّي مويلا بأكثر من خمسة كلم وهو أمر عام للموظّفين الأوروبيين والأهالي في هذه المستعمرة، ولعل ذلك مخافة أن يُعتدى عليهم أو يختطفوا من جهة الجيني الإسباني المتاخم لنا والخاضع لسيطرة فرانكو حليف الألمان، ولا شك في أن هذا ابتداء لحرب عالمية تهلك الحرث والنسل فويل للإنسانية من أبنائها، وويل لضعفائها من أقويائها.

ـ علمت أن رسالة وردت لي من المغرب ومعها علبة شاي، وأن ماسا حازهما عشية هذا اليوم.

2 أكتوبر/ تشرين الأول

حتى الآن لم يسلّمني ماسا العلبة والكتاب، كما أنه لم يطلبني بعد لزيارة الطبيب وأخذ نفقة الشهر، فهو يتحكّم كيف شاءت إرادته وكسله، وأنا أدعه ليطفئ نهمه في التحكّم كيف يشاء.

3 أكتوبر/ تشرين الأول

اليوم ذهبنا لتسلّم المبلغ، ثم سلّم لي المدبّر علبة الشاي من إدارته مقفلة، فلست أدري لماذا أخذها ماسا؟ هل أخذها للفحص في منزله أو التحكم؟ لست أدري، لأن الإدارة السياسية هي التي وجّهتها وبعنوان المدبّر.

ـ ذهبنا صبيحة اليوم لزيارة الطبيب وقد أخبرته بالحالة الصحية غير المستقيمة منذ 15 يومًا، ووزنت 59 كلغ أي نقصت عن الشهر السابق 600 غرام. ثم دخلت للفحص وفي أثناء بحثه عثر في الجانب الأيمن من المعدة على طبعتين خضراوين فسألني: ما هذا؟ فقلت له لا أدري ولم ألاحظ وجودهما قبل الآن، وجعل يفكّر بكامل الاستغراب، ثم سألني: ألم تنم مع امرأة هنا، فأجبته بأنني لم أقرب النساء منذ سنة على الأقل، أي منذ خرجت من المغرب، فجعل يفكّر، وأمرني أن أكشف سائر الجسد ففعلت، قعد وقال: سأعطيك دواء تستعمله مدة ثمانية أيام ثم تزورني لنرى ما يكون وعاود سؤاله عن المرأة، فأكّدت له أنني لم أتصل بامرأة ولا جامعت منذ سنة، وخرجنا وقد تشوّشت كثيرًا من هذه القضية مخافة أن يكون ذلك جذامًا أو غيره من الأمراض الكثيرة في هذه الأرض، والله سبحانه الحفيظ والواقي، وما كان من عنده سبحانه يمضيه، والموت غاية كل حيّ، وفي سبيل المغرب يلذّ كل شيء، ولن يستطيع القوم أن يبعثوا بنا إلى مكان أحسن تلافيًا لهذه الأمراض كلها والله غالب على أمره وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

❋ ❋ ❋

ـ بعث لي الطبيب دواء للهضم وألكول إليودي لتضميد تلك الطبعات.

5 أكتوبر/ تشرين الأول

ما زلت أستعمل ما بعث به الطبيب، لكنني لم أشعر بأن له أثرًا محسوسًا.

ـ علمت أن فرنسا وإنكلترا سلّمتا تسليمًا سكوتيًّا لألمانيا في منطقة سادوكا وهكذا استولى هتلر على نحو الأربعة ملايين من تشيك ولم تغن عنها محالفتها للدولتين فتيلًا، وكذلك أخذ من قبل النمسا. وهذا برهان كبير على رغبة فرنسا وحلفائها في السِّلم وعدم الدخول في غمرات حرب لا تعرف نتيجتها، لكن الألمان ليس من طبعهم أن يقفوا عند هذا الحدّ، ولا شك في أنهم إذا لم يمسّوا المستعمرات الفرنسية والإنجليزية فالقوم يتركونهم يستعبدون ما شاؤوا من الضعفاء الذين اعتدوا عليهم، على أن هذه خدمات وقتية ليس إلا، وإلا فالقوم لا محالة متحاربون والحرب لا بد كائنة وهي كالموت محقّقة الوقوع غير معروفة الموعد لكنّ الإشارات تدلّ على قربها فالله يفعل بنا وبوطننا وسائر الإنسانية خيرًا.

8 أكتوبر/ تشرين الأول

لقد انسلخت تلك الطبعات وكنت كلما وضعت عليها الكحول اليودية، أشعر، وكأنها تحترق، وصار مكانها بمنزلة زبيبات حمراء، حمرة أصلية مضافة لحمرة الدواء، أما المعدة فأمرها غير مستقيم ولست أدري ما يخبّئه القدر وراء هذا فقد تشوّشت شيئًا ما، وأخشى ما أخشاه هو أن يحصل دبر في لحمي، أما الموت فلا أخافه في حال، فاللهم متّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوّتنا ما أحييتنا.

ـ اليوم كتبت الرسالة عدد 41 للوالد ولم أذكر له فيها خبر المرض ولا ما بين منه لئلا أزيده ألمًا. بل أخبرته بالشوق وبوصول الشاي الذي بعثه.

ـ اليوم تصل الطيارة إلى المطار الذي اتُّخِذ لها قريبًا من مويلا للمرة الأولى.

ـ في العشية زارني الدكتور بما أنه سيسافر في الغد ليغيب أسبوعًا كاملًا، وقد قال لي إنه لا يظنّ بروز غيرها، وقال لي ابعث غدًا للمستشفى ليعطوك غيارًا تجعله عليها فالله الشافي.

12 أكتوبر/تشرين الأول

بعدما تسلّمت الدهان الذي بعث به الدكتور تقشّرت الطبعات وقد ظننت الآن أنها الصفراء، وإن كنت أرى الذين يمرضون بها تعتريهم في أصابعهم، وهي تنشأ من سوء التمشّي في المصران الأكبر أحيانًا أو من الدم أحيانًا أخرى. أما الطبيب فلم يخبرني ما هو المرض وأنا لم أسأله.

- في العشية زارني ماسا وقد قال إنه لبث ثلاثة أيام لم يخرج من منزله ولما فحصه الطبيب وجد كبده مريضًا فالأمر لله، وقد أخبرني أنه لم يمرض قط قبل مجيئه إلى الغابون، وقد أعطاه الطبيب مسهّلًا ودواء - آخر.

13 أكتوبر/تشرين الأول

تحسّن موضع الطبعات عندي ولم يبق فيه إلا الأثر مع قليل من التآكل، فعسى الله أن يذهب شأنه ويجعله حسًّا خفيفًا، أما المعدة فغير مستقيمة أبدًا يمرّ اليومان والثلاثة دون أن يدعوني داع الخلاء ولا شهية للأكل ويوم السبت المقبل موعد فحص الطبيب لي ولماسا أيضًا.

- علمت أنه أذن لفيليكس أن يسافر حيث شاء.

- وعلمت أن وزير الحربية الفرنسية زار المغرب في الأيام الأخيرة ثم رجع إلى فرنسا.

15 أكتوبر/تشرين الأول

اليوم كتبت للوالد الرسالة عدد 42 خاوية على عروشها.

- ذهبت مع ماسا لعيادة الطبيب بحسب موعده وبعدما أخبره ماسا بحاله وأنه اعترته الحمّى أول أمس قال: إن الحمّى هنا شيء ضروري وإنه هو يجدها كل يوم من الثانية إلى الخامسة، دخلنا قاعة الفحص، فرأى مكان الطبعات وقد اندمل فقال: قد عوفيتم، لا شيء، ثم سأل عن المعدة فأخبرته بأن الحال ما زالت على ما هي عليه ولم تتغيّر، فقال يمكنكم أن تبعثوا لي بعد الغد (الاثنين) شيئًا من فضلتكم بقصد الفحص ثم ودّعنا وانصرفنا.

18 أكتوبر/تشرين الأول

عشية اليوم بعث لي ماسا رسائل ثلاث من لدن الوالد واليوم يوم الثلاثاء، ومن المعلوم أن البريد يصل إلى هنا يوم الخميس وإذا تأخّر فيوم الجمعة فلأجل أن يأخذ أرقام الرسائل يجب أن تبقى لديه ستة أيام كاملة زيادة على كون المكاتيب تبقى مكومة في الإدارة وفي أقسامها إلى أن تجتمع الثلاث مثلًا، وتمضي مدة طويلة وتاريخ هذه الرسائل للأولى فاتح سبتمبر/أيلول والثانية 7 والثالثة 10 فلا تصل إلا في 18 أكتوبر/تشرين الأول أي بعد 48 يومًا والحال أن الطيارة لا تعمل أكثر من أسبوع وهي اليوم تصل إلى مويلا بمحطتها الجديدة، وأعداد الرسائل 24 ـ 25 ـ 26 وفي الثانية يقول الوالد إنه لم يتسلّم منّي رسالة منذ المكتوبة بتاريخ 16 يوليو/تموز إلى حين كتابته وهو 7 سبتمبر/أيلول ولم يقبض حتى الآن أي مضت خمسون يومًا وهو ما زال ينتظر رضا أهل الإنسانية الفرنسيين فليقضوا ما شاؤوا وشاءت غطرستهم فالله من ورائهم محيط.

ـ أخبرني الوالد بأن ليلى كانت مريضة بالحصبة للمرة الثانية وأن ذلك أصابها فيما يظهر من عدوى الحصبة التي اعترت نجلَي الصهر ونجلَي ابن العمّ سيدي العابد وأنهم قاسوا معها شدائد كثيرة، لكنها عولجت من بعد، ولم أتأسف لذلك إذ جعلت الكل موهوبًا في يد الله مُضحى به في سبيله، أما عن الكتب فقال إنه سيبعث لي بعض الكتب في الأدب والتاريخ والحديث والفقه، لكن هذا مجرّد كلام فإلى الآن لم أستلم شيئًا، والقوم في غلوائهم وغطرستهم لا يراعون إلًا ولا ذمّة، وليس لديهم ضمير يوبّخهم على موقفهم إزاء الكتب والجرائد، بل لديهم كل الطمأنينة في الاضطهاد الفكري وسيجزيهم الله لا محالة جزاء من يضطهد الأفكار طال الزمان أم قصر.

21 أكتوبر/تشرين الأول

بالأمس انتهى عام كامل منذ أن اعتقلت وقد دخلت اليوم في العام الثاني والحمد لله كامل الطمأنينة رابط الجأش ثابت القلب عظيم التمسّك (فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا).

اليوم عثرنا في سقف المنزل على حيوان لا أعرف اسمه العربي، لكنه يدعى بالفرنسية ماكويا وهو من فصيلة ظهرها كظهر الأحناش المرقّشة وبفمه لسان مستطيل منفلق نصفين من أعلاه وله زواحف ذات خمس أصابع وكفّ تشبه يد الإنسان وبمؤخرته ذنب طويل في شكل حنش، وهو من الحيوانات المائية التي تألف البرّ وتأوي إليه، وقد قال لي خدمي، إنه إذا اشتبك بأظلافه مع ساق الرجل ونال منه فإن الرجل سرعان ما يُغمى عليه ويسقط، فإن ترك دون المبادرة لعلاجه مات وإلا عُوفِي، وهم يعالجون إصابته بعود معروف عند سحرتهم يسقون المصاب منه، وهذا العود هو من السمّيات القاتلة، فكأنهم يعملون بالمثل: لا يفُلُّ الحديد إلا الحديد، فكذلك لا يعالج السّم إلا بالسّم، ثم بعد فإن الذكر من الأهالي يأكله دون النساء بعد طبخه في الماء، وقد قتلناه وسلّم الله منه، وهذه المرة الأولى التي أجد منه في منزلي. أما الأحناش والحيوانات الأخرى المختلفة فحدّث عن البحر ولا حرج.

22 أكتوبر/ تشرين الأول

اليوم كتبت الرسالة 43 للوالد أجبته فيها عن رسائله الثلاث بما يقتضيه المقام.

25 أكتوبر/ تشرين الأول

اليوم الأول من شهر رمضان المبارك وقد صمته والحمد لله رغم عدم الوسائل الكافية وعدم الأنيس ولم أجد صعوبة كثيرة بل وجدت أنسًا.

28 أكتوبر/ تشرين الأول

ما زلت مواظبًا على الصيام راجيًا الإعانة إلى التمام ولا أجد صعوبة ولا ضعفًا.

29 أكتوبر/ تشرين الأول

في صبيحة هذا اليوم كتبت الرسالة عدد 44 للوالد هنأته فيها برمضان وسلفًا بالعيد.

في العشية زارني ماسا، وقال لي إنه وصله كتاب من الإقامة يقولون له: ردًّا على رسائله إليهم، إن الكتب العتيقة يمكن لوالدي أن يوجّه لي منها ما شاء بواسطتهم، كما أنه يمكنني أن أشتري منها ما أريد بواسطتهم أيضًا، وقالوا لي يمكنه أن يواصل معي دروسًا في خصوص المحادثة بالفرنسية، أما التمارين والإملاء والنحو فلا، وأما الصحف فقالوا له أن لا أمل في بعثها لأنه إذا سمح لي بمواصلة قراءة الجرائد فلا فائدة في توقيفي، فقلت له كلّا، إن التوقيف أثره في الدعاية أو النشر، أما المطالعة فلا دخل لها. وخصوصًا أن هذا حقّ من حقوقي، ألا ترى أن الظهير الشريف (1930) يخوّل المسجون السياسي مطالعة الجرائد والكتب التي يشاء، فقال لي لا، ولكن لست بمسجون، قلت له وهذا بالأحرى، فلا أقل من اعتباري مجرمًا سياسيًا، قال هم يقولون إنك لم ترتكب جريمة تعاقب عليها، ولكن إذا بقيت حرًّا فسيكون من عملك خطر كبير، وقال إنهم سيبعثون كتبًا بالفرنسية أيضًا.

ـ أُنظر هذا المنطق «لا شك في أنك لم تجرم، ولكن يجب أن تعامل بأشدّ مما يعامل به المجرم» حقيقة إنه لفكر بكر وعقل رشيد.

31 أكتوبر/ تشرين الأول

ذهبت اليوم عند ماسا لبدء الدرس فكان عبارة عن تلاوة صفحة من كتاب ابتدائي ثم شرح ألفاظها ليس إلا.

فاتح نوفمبر/ تشرين الثاني

اليوم تسلّمت أربع رسائل من الوالد عدد 27 ـ 30 وتاريخ 16 سبتمبر/ أيلول و 24 منه و 3 أكتوبر/تشرين الأول و 7 منه. الأولى أبدى فيها عواطف محبّته الأبوية مجيبًا عن رسالتي عدد 31 والثانية يقول إنه لم يصله مني كتاب منذ مدة طويلة والثالثة أجاب فيها عن رسالتي عدد 32 ـ 33 والرابعة تكلم فيها عن كون المحكمة خيّرته هو وزوجتي في المجيء عندي، ولكنّه لا يمكنه هو الانتقال لشيخوخته وضعفه، ولا تستطيع للا زهراء ذلك لأمرين أولًا أن والديها مانعا وذلك ما كنت أتوقّعه وثانيًا أنه عاودها المرض

الذي كان قد أصابها في أثناء غيبتي بباريز وفي أثناء اعتقالي في البيضاء وهو شدة الحساسية، وهكذا قدّر أن أبقى وحيدًا طريدًا بعيدًا، كما قدّر للَّلا زهراء أن تبقى حليفة الأمراض التي تصيبها والتي تزيد في أثناء البعد عنّي، وقد آلمني مرضها كثيرًا ولولا ما رزقته من الصبر وعظيم الإرادة لأثّر ذلك في جسمي كثيرًا وفي نفسي ففي سبيل الله ما لقيت وما ألقى، وهكذا لا يرحم القوم إنسانيتي المعذّبة من أجل أغراض ومصالح ثلّة من الماليّين والكاثوليك والمستبدّين وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

5 نوفمبر/ تشرين الثاني

اليوم كتبت الرسالة عدد 45 وأجبته فيها عن رسائله الأربع، وهي تشتمل على فكرة عن المحبة وآثارها أخذت خلاصتها وهي في ورقة ضمن المحفظة.

11 نوفمبر/ تشرين الثاني

اليوم عيد النصر عند الحلفاء، وقد احتفلوا هنا به احتفالًا كبيرًا بالنسبة إلى هذه القرية وشارك الأهالي فيه بالرقص والسمر.

12 نوفمبر/ تشرين الثاني

اليوم كتبت للوالد الرسالة عدد 46 شكرته فيها على ما قام به من توجيه اللوازم لحرمي بمناسبة عرس أختها.

14 نوفمبر/ تشرين الثاني

اليوم ذهبنا عند الدكتور للفحص الشهري الذي تأخّر هذه المرة بسبب غيبته، وقد أخبرته بأنني في المدة الأخيرة طيّب الحال، لا أحسّ بشيء مهمّ غير عادي، ثم دخلت الميزان فوجدتني استرجعت 200 غ مما فقدته في الشهر الماضي، مع أنني أصوم منذ عشرين يومًا، في حين أن ماسا فقد كيلوين، والحقيقة أنني منذ بدأت الصيام شعرت بتغير محسوس في معدتي حيث انطلقت بنظام وزال عنّي ما كنت أجده من المعك، فهل سيلزمني أن أصوم دائمًا؟

15 نوفمبر/ تشرين الثاني

اليوم تسلّمت كتابًا من الوالد عدد 31 بتاريخ 12 أكتوبر/ تشرين الأول ذكر فيه أنهم فطموا البنيّة ليلى، وأنه لم يتوصّل حتى الآن بخبر عن الكتب والشاي هل وصلا أم لا؟ وبعد ختمه للكتاب استلم رسالتين عدد 34 ـ 35 وحتى الآن لم يجب عنهما، ورسالتي عدد 34 كتبتها له بتاريخ فاتح سبتمبر/ أيلول أي بقيت في الطريق 62 يومًا، والآن شهر وخمسة أيام بعد وصولها، فإذًا بقيت شهرًا آخر، كانت المدة التي بين أن أقول لوالدي وعائلتي، كيف حالكم؟ وأسمع منهم الجواب، بأنهم طيّبون أو مرضى، أربعة أشهر وعشرة أيام، فيكون مسموحًا لي بمقتضى هذا النظام أن أسأل هذا السؤال وأجاب عنه ثلاث مرات في السنة، في عصر الراديو وعصر الجبهة الشعبية الفرنسية. ونظامها اليساري فبخ بخ لقوم لا يعلمون.

18 نوفمبر/ تشرين الثاني

اليوم عيد العرش المغربي ولا أدري ماذا كان عنه في المغرب فعسى الله أن ييسّر لنا طريقًا لمعرفة الحال، أما أنا فقد احتفلت به وحدي.

19 نوفمبر/ تشرين الثاني

اليوم كتبت الرسالة عدد 47 للوالد هنّأته فيها بهذه الأعياد وأجبته عن رسالته عدد 31.

23 نوفمبر/ تشرين الثاني

اليوم تسلّمت رسالة الوالد عدد 32 مجيبًا فيها عن كتابي عدد 34 ـ 35 ومخبرًا بالسلامة والعافية تاريخها 17 أكتوبر/ تشرين الأول 1938م، هذا والبريد يصل إلى هنا يوم الجمعة، لكنّني تسلّمتها يوم الأربعاء أي بعد خمسة أيام من وصولها إلى مويلا.

24 نوفمبر/ تشرين الثاني

اليوم يوم عيد الفطر الميمون وقد قضيت رمضان كامل النشاط موفور

الكرامة، وأصبحت اليوم مسرورًا سرور ضمير مؤمن يشعر بانتهائه من أداء واجب عليه.

25 نوفمبر/تشرين الثاني

اليوم كتبت الرسالة عدد 48 للوالد أجبته فيها عن رسالته عدد 33 وهي عادية.

27 نوفمبر/تشرين الثاني

كثر نزول الأمطار فأثارت العسيف الذي في قبو المنزل وسقط المطر من بعض أركانه، كما كانت الأرض قد نخرت جميع أعمدته فسقط بعضها وقد أعلمت المديرية المالكة للمحلّ وطلبت إليها إصلاحه فوعدت بذلك، وهذا الإصلاح موعود به منذ سنة ..

3 ديسمبر/كانون الأول

اليوم بدأ المرسلون من طرف المدبّرية بإصلاح عطب المنزل.

- اليوم كتبت الرسالة عدد 49 للوالد وهي عادية.

5 ديسمبر/كانون الأول

اليوم سمعت أنه وقع إعفاء الحاكم العام لمستعمرات أفريقيا الاستوائية الفرنسية وأنه سيعوّض بغيره.

كلمتان:

1/ قليل الشر يأتيك ممّن تعتقد فيه كثير الخير.

يكون أعظم أثرًا في نفسك من كثير الشر يلحقك ممّن تعتقد فيه الشر كلّه.

2/ في أيام الشدّة يمكن للمنكوب أن يرى الوجوه على حقيقتها من غير أن يحجبها ستار النفاق.

10 ديسمبر/كانون الأول

اليوم كتبت الرسالة عدد 50 للوالد أجبته فيها عن رسالته عدد 38 التي وصلتني أمس الأمس والتي قال فيها إنه لم يصله كتابي عدد 36 وقد وصله الذي من بعده.

12 ديسمبر/كانون الأول

اليوم تسلّمت ثلاث رسائل من الوالد عدد 34 - 36 الأولى 7 نوفمبر/تشرين الثاني والثانية 10 منه والثالثة 19 منه، ومع الأولى صورتان لليلى وصورة للوالد، وقد أخبر في الأولى أنه بعث يومية 39 وأنهم وصلتهم قصيدتي (ذكرى الزواج) الموجّهة لللا زهراء وازدهت هي لسماعها وباقي الرسائل في ما هو معتاد، إلا أنه أخبر باستلامه الرسالة التي أعرّفه فيها بتسلّمي الكتب الثلاثة التي وجّهها، أي بعد ستة أشهر من تاريخ إرساله لها يعرف أنها وصلت.

17 ديسمبر/كانون الأول

اليوم كتبت الرسالة عدد 51 للوالد أجبته فيها عن رسائله الثلاث.

22 ديسمبر/كانون الأول

اليوم وصل إلى هنا حاكم الغابون الجديد وقد علمت أن السابق عيِّن حاكمًا للناحية بمدغسكر، وقد قدم له رؤساء القرى الأهلية الذين أثنوا على م.كلواري وحسن سلوكه معهم وطلبوا إبقاءه في مويلا كمدبّر للقسم، وقد علمت أن م جلوانو جمع هؤلاء من قبل وأغراهم بهذه الأشياء على عادتهم في استعمال ضعفاء الموظّفين الأهالي.

23 ديسمبر/كانون الأول

اليوم أخبرني بعضهم أن الحاكم سأله عنّي وقال له إنه غدًا سيزور السجن ويزورني أنا. أما ماسا فلم يعلمني بشيء.

24 ديسمبر/كانون الأول

اليوم في تمام الساعة العاشرة والنصف صباحًا بينما أنا جالس على منضدتي أكتب إذ أقبل أربعة أشخاص أوروبيّين: الحاكم الجديد وبجانبه رئيس العمال، وحولهما رئيس مكتبه وبجانبه مدبّر القسم ولما اقتربوا من المباح نهضت لاستقبالهم ونزعت القبعة لكنّهم لم ينزعوها بل اكتفى الحاكم بالتحية الفرنسية، ثم مددت يدي لمصافحته رغم أنه لم يبتدئ بذلك، فمدّ

يده ثم دخل إلى أن وصل إلى عتبة المنزل داخل المباح فقال لي وهو يتكلّم بكبرياء وجبروت نفسي لا تكاد الكلمات تبين من بين شفتيه: أنتم من عائلة بورجوازية؟ أما أنا فقد سكت ولم أرد أن أردّ الجواب لأن هذه الكلمة لا محلّ لها في السؤال، فكرّرها ثانيًا فسكتّ وثالثًا وزاد أليس كذلك؟ فقلت له: أما من جهة الحال فنعم، وأما من جهة الروح فلا، فانزعج قليلًا وقال: لا لا أعرف أنكم من عائلة كبيرة. أما هذا فنعم، قال: دائمًا بفاس نعم، أستاذ؟ نعم مدرّس جامعة القرويين - ثم سأل في اهتمام وكبرياء ماذا تأكلون؟ فسكتّ وأجاب حاكم العمال بأنني آكل ممّا في السوق وأن عندي طباخ وخادم وبستاني... فقال الحاكم: تأكلون، اللحم والسمك والخضرة أليس كذلك؟ لم أجب وقال له رئيس العمال... وأخيرًا يأكل مثل الأوروبيّين، فقلت له نعم آكل مثل الأوروبيّين لأنني أعدم المائدة المغربية، ثم ينظر في الجوّ، وقال إن ماسا خلال مدة وجوده هنا يزوركم وتتفسّحون معًا.. نعم - ثم سألني أوكلير عن الجوّ وهل أضرّ بي أم لا، فقلت له كل شيء جميل مع ذلك، فقال طيّب.. جدّ طيّب، ثم قلت لهم ادخلوا... فقال الحاكم لا لأن الوقت قد ضاق وسنذهب إلى المستشفى وسأل مدبّر القسم هل هناك وقت للدخول فقال له لا، ثم ذهبوا بعدما صافحوني قائلين... سلامًا يا فاسي... وما تابعتهم كما أفعل مع غيرهم في الوداع لأنهم ليس لهم من الأدب والفضيلة ما يستحقّون به الاحترام.

للمرة الأولى يزورني الحاكم الجديد ليتعرف بي أو ليظهر اهتمام حكومته بحالي ولكنّه ... يخاطبني بدون كلمة احترام أي بدون مسيو. كأن الفاسي صديق له أو لست أدري، وهذه مناداة لا شك في أن الحامل عليها هو التعصّب الديني، هؤلاء كلّهم متديّنون.

ثانيًا: يقول لي إنك من عائلة بورجوازية فإما أن يكون جاهلًا إلى درجة أنه لا يعرف تطوّر معنى هذه الكلمة في هذا العصر وهذا غاية ما يكون من البلادة وإما أنه يريد الاستهزاء فلذلك كان جوابي له في محلّه، ثالثًا .. يسألني ماذا تأكلون؟ وهذا سؤال يوجّه لمن يقدّم له الطعام مطبوخًا، كمسجون، أو داخلي في مدرسة أو داخلي في جمعية خيرية، أما إنسان قدّرت له مؤونة

نقدية وأعطيها فوجه السؤال أن يقال: هل أن مبلغ المؤونة كاف؟ هل أن كل ما يلزم موجود أو ما أشبه، فتصوّر أنني أذهب عند شخص إلى منزله، وأقول له، ماذا تأكلون؟ كم يكون أثر هذا السؤال من الغرابة في نفسه، وعندي أن سبب سؤاله هذا هو أنه مرّ على السجن والمدرسة ثم جاء إليّ، ولم يكن لديه من الذكاء ما يستطيع أن يفرّق به بين الموضوعين.

رابعًا: يقول حاكم العمال إنه يأكل كما يأكل الأوروبيون، وهذه الكلمة قد تظهر بسيطة ولكن لها قيمتها في هذه البلاد لأن السود يأكلون أكلًا خاصًا من المانوك والبنان المطبوخ فكأن الفاسي هو المغربي الذي يأكل كما يأكل الأوروبيون في حين أننا نرى هؤلاء متى دخلوا المنازل التهموا (الأطعمة المغربية كما تلتهم الأنعام) وفي حين أن المارشال ليوطي على قيمته أكل يومًا الكسكس بصغار الحمام فالتهمه بشَرَه إلى درجة أن عظمًا دخل في حنجرته واضطر لعملية جراحية. والآن الفاسي يأكل مثل الأوروبيّين على أنني لو تكلّمت عن الأكل، فإنني لا أجد هنا ما آكله، إن أكثر الأوقات نضطر فيها إلى المرقدات ومتى ألفنا في المغرب أكل المرقدات؟ إن الأوروبيّين هنا يأكلون القرد والتمساح وكثيرًا من الحشرات التي نستقذرها ويطبخون ذلك بزيت النخل الذي يشبه الشمع الأحمر الفاسي وتُلاك في الفم مثله ويخلطون ذلك بالبنان (الموز) والفلفل وغيرها من التوابل الأهلية ويأكلون ذلك أكلًا لمًّا أما أنا فلا أستطيع أن أسيغ شيئًا من هذا المزيج، وهم يفعلون هذا ليوفّروا الأموال في البنوك ليظهروا بها متى وصلوا إلى بلادهم أغنياء - بل يوجد من الفرنسيّين هنا من يأكل أرجل الدجاج وحوافرها التي كلّها أعصاب شديدة، لكنني لا أُعد هذا شيئًا مهمًّا لأن العبرة بالفكر، ولكن ليس في موظّفي مويلا شخص يحمل الباكالوريا، ومع ذلك يحملون أعظم الشهادات في القدرة على الاضطهاد واحتقار الشرفاء.

لقد أثّرت في نفسي زيارة هذا الحاكم تأثيرًا سيّئًا وبقيت منفعلًا محمومًا لأنني أرى مقدار همجية هؤلاء الذين يأتون لتمديننا وجهلهم لأبسط الآداب الاجتماعية ومع ذلك يقولون إن لهم من الإنسانية أكثر ما لغيرهم من المستعمرين، والإنجليز الذين يقصدونه بهذا مع ما عرفوا به من احتقار غير

السكسونيين لا يصلون إلى هذا الحدّ، فهم يحترمون العواطف كثيرًا، كما تراه من مخاطبات حكم الهند، إلى غاندي مدة وجوده في السجن وإلى مكاتيب المقيم الإنجليزي لسعد مدة اضطهاده أيضًا، وقد زارني من قبل حاكم مستعمرات أفريقيا الاستوائية ريست وقابلت حاكم الغابون السالف بارليو، وزارني مرارًا نائبه المفتّش نيكول وكلّهم تركوا في نفسي أثرًا طيّبًا كما سجّلته في صفحات سالفة، فالأمر لله ولا حول ولا قوة إلا بالله، واهًا لمن يعدم الإحساس والانتباه والضمير مثل هؤلاء المستعمرين.

- اليوم كتبت الرسالة عدد 52 للوالد ولم أخبره بزيارة هذا الحاكم كما أخبرته بزيارة ريست لأنني لو أخبرته بالحقيقة لآلمته ولأوقفوا الرسالة وأنا مضطر إلى التألم وحدي.

- ذهب ماسا لحضور حفل عيد الميلاد في كنيسة البعثة المسيحية.

25 ديسمبر/كانون الأول

اليوم سافر الحاكم إلى فوامو في طريقه لليبرفيل بعدما أعطى رؤساء الأهالي 25 فرنكًا.

26 ديسمبر/كانون الأول

استفدت من بعضهم أنه أقيم احتفال كبير في المغرب لتدشين تمثال المارشال ليوطي في البيضاء خطب فيه جلالة السلطان لأول مرة على الجمهور باللغة الفرنسية وحضر الاحتفال ثلاثة وزراء فرنسيّين، وزير المواصلات ووزير الطيارة، ووزير البرق والبريد والهاتف ولست أدري ما قال في الخطاب.

- انظر جرأة نوكيس وقلّة اهتمامه باحترام العواطف رئيس أمّة عربية يخطب على الجمهور بلسان أجنبي عنهم لا يفهمونه، ولست أدري هل ترجم خطابه للجمهور أما ماذا كان - يظهر أنهم أعطوا للحفل صبغة اقتصادية والدعوة للسياحة، لأن هؤلاء الوزراء كلّهم لا يناسبون إلا لهذا، وهذا ما أثار معارضاتنا السابقة لدفن ليوطي وقراراتنا في الموضوع، وفي

ذلك دليل على أن روح الوطنية لا تزال سارية في البلاد حتى دفعت الحكومة الفرنسية لترضية نوكيس وأتباعه المضطرة لترضيتهم بضغط من الرأسماليّين والكاثوليك والمستعمرين.

27 ديسمبر/كانون الأول

اليوم تسلّمت اليومية الفاسية لسنة 1939م وقد سررت كثيرًا بها لأن فيها دليلًا على أن الإخوان الذين بقوا موجودين يواصلون العمل بقدر الإمكان.

31 ديسمبر/كانون الأول

اليوم كتبت الرسالة عدد 53 للوالد أخبرته فيها بوصول اليومية الفاسية التي وجّهها.

ـ نسيت أن أقول إنه كان وراء الحاكم ومعيّته حارس أهلي مختار من ذوي الأجسام والعضلات يحمل مكحلته على ظهره والذين زاروني من قبل لم يصحبوا معهم حارسًا.

«فائدة علمية»

ـ بينما أنا أتلو القرآن، إذا بي أجد هذه الآية التي لم تكن مجهولة لديّ وهي ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ﴾ ففيها استعمال صريح للفظ الآية في فِقَر التوراة، وذلك ما انتقد علينا الأستاذ شاكر في طبعتنا لابن خلدون.

وورد إطلاق الآية عمومًا في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ قال الجلال: (آياتنا: كتبنا) وقال أيضًا: مخاطبًا بني إسرائيل ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾، كتب الجلال على آياتي: (التي في كتبكم من نعت محمد).

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾.

قال الجلال: (كآية الرجم ونعت محمد في الكتاب من التوراة).

﴿أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قال الجلال: (القرآن وغيره).

القسم الثاني

من نقط مذكرة المنفى

ابتداء من فاتح يناير/ كانون الثاني 1939م

الحمد لله والصلاة على رسول الله والمجد للمغرب

فاتح يناير/كانون الثاني 1939

ـ اليوم ابتداء السنة الميلادية 1939 وها هنا كما في أنجلي هبّ السود يطلبون الرفد من الجميع، فساعدتهم بما أمكن وتركت جميع الطالبين راضين، في حين أن كثيرًا من الفرنسيّين أقفلوا أبوابهم في وجوههم.

اليوم تسلّمت كتابين من الوالد عددهما 37 و 38 تاريخ الأول 22 نوفمبر/تشرين الثاني والثاني 27 منه، وقد قال في الأول إنه لم يصله منّي كتاب منذ تسلّم المؤرّخ سادس شعبان، يقول هذا يوم 29 رمضان أي مدة شهرين وفي الثاني يخبر بتسلّمه كتابَي عددَي 41 ـ 42 ويجيب عنهما بإسهاب، ومن المناسب أن ألاحظ كون جميع سكان مويلا يتسلّمون بريدهم يوم الجمعة وأنا لا أتسلّمه إلا يوم الثلاثاء أو الأربعاء المواليين أي يبقى خمسة أيام أو ستة تحت أيدي رجال الأمر هنا مع أنه يصلهم هو وترجمته معه ولكن ليسجّلوا رقمه فقط يبقى مجمدًا هكذا زيادة على المدد التي يستغرقها في الطريق فإلى الله المشتكى.

3 يناير/كانون الثاني

اليوم ذهبت في الساعة الثانية والنصف بعد الزوال إلى منزل ماسا لآخذ ما يسمّيه درسًا في الفرنسية، فلم أجده وقال لي خادمه إنه ذهب للإدارة بعدما أوصاني أن أقول لك تتبعه إذا جئت إلى هنا، ففعلت وبحثت عنه في المتصرّف المالي فلم أجده، وكان القصد من اتّباعه هو استخلاص الفرض عن هذا الشهر الذي اليوم ثالثه وجميع الخلائق قد استخلصوا من قبل حلوله بيوم، ثم بحثت عنه في مكتب رئيس الناحية فإذا به هناك وإذا بداخل المكتب كان قد عقد مجلس للحكم في قضية جنائية بحسبما يتمشّون عليه هنا فرآني ماسا فأشار لي أن أنتظر قليلًا، فبقيت أنتظر زهاء الأربعين دقيقة، وأخيرًا سمعت رئيس الناحية يسأل أهليًا لعلّه مستشار أو لا أدري عن العرف فأيقنت أن الأمر طويل فقلت لا محلّ لأبقى منتظرًا هنا واقفًا وراء الباب وقلت هذه المرة الأولى، يفعلون معي هكذا من أجل أداء الفرض فإذا بقيت أكثر فسيتعوّدون ذلك وربما يزيدون عليه، فرجعت إلى منزلي عارفًا أنه متى فرغ سيوجّه ورائي عونًا، وبعد نحو خمس عشرة دقيقة وجّه ورائي بالفعل عونًا فذهبت فوجدتهم قد فرغوا من القضية وبدأوا في غيرها، فرآني أقبلت فخرج نحوي وقال لي:

لماذا لم تنتظر؟

فقلت له إنني انتظرت أربعين دقيقة ثم ذهبت إلى منزلي لأن ليس من الممكن أن ينفضّ مجلس الحكم من أجلي، ومنزلي ليس ببعيد من هنا، فعوضًا عن أن أبقى واقفًا أنتظر في محلّي.

فقال ولكن نحن لم نبقَ بعد ذهابك إلا قليلًا، فلم أجب.

وسكت هو وعلامة الانفعال بادية على وجهه، وقال لي:

لو أنني أعطيت خطابًا (يريد أمرًا) سيلزمك أن تبقى واقفًا هنا إلى المساء لا أربعين دقيقة؟ فقلت له:

ولماذا سأبقى واقفًا؟ بل لماذا ستعطي هذا الأمر؟ فقال:

لأنني وكيل الحكومة.

فقلت له: معلوم أنني هنا سجين وكل واحد حتى عساس أسود يمكنه أن يتحكّم في جسمي ولكن لا أنت ولا غيرك يستطيع أن يلزمني ما لا أريد، إنك وكيل على أشغال الحكومة معي، لا على إرادتي.

فقال: ماذا لم أفهم؟

قلت بوضوح وإبانة، إنك إذا أمرت فأنا سأقف ولو إلى الصباح ولكن أخيرًا لن آخذ هذا المال.

- إذن عندك غيره؟

- لا - لا

- وماذا تأكل؟

- أتظنّ أنني في سبيل الأكل سأقبل الإهانة وسأقف بحسب الأمر، ولكن لن أقبض الفرض ولن آكل، وسأبقى جائعًا إلى الموت إذا كان الأمر لازمًا.

- فسكت مفكّرًا، ثم قال، يا عزيزي كيف يمكنهم أن يعطوك راتبك قبل اليوم، بالأمس رأس السنة وقبله الأحد، فقلت:

- أنا لم أتأثّر لهذا وهم دائمًا لا يسلّمونني الراتب إلا بعد مرور خمسة أيام من الشهر أحيانًا، لكن هذا شيء آخر، وأنا مستعد أن أنتظر إلى أن يكونوا فارغين من أشغالهم، ولكن في منزلي لا وراء الباب، وفي اليوم الذي يلزمني أن أنتظر سوف أرفض وأنا لا أعشق الحياة إلا إذا كانت مع الشرف - فسكت ثم دخلنا من بعد إلى محل القباض واستخلصت مبلغي.

- فانظر إلى مبلغ الإنسانية التي يحملها هؤلاء القوم بين جنبيهم يحصرونني في هذا المكان ويقدّرون مبلغًا أرادوه بأنفسهم، ثم يعاملني أحدهم بالإهانة كالمتصدّق عليه كلما حان موعد القبض.

لو كنت أشعر أنني آخذ المال بطريق الصدقة لرفضته من طرفهم، وإذا كان لابدّ من أن ألتمس الصدقة فسأطلبها من كريم شريف لا يتركني واقفًا بالباب، والموت سيكون لي أحلى من انتظار الصدقة بباب أحد، إنني

لأنني وكيل الحكومة.

فقلت له: معلوم أنني هنا سجين وكل واحد حتى عساس أسود يمكنه أن يتحكّم في جسمي ولكن لا أنت ولا غيرك يستطيع أن يلزمني ما لا أريد، إنك وكيل على أشغال الحكومة معي، لا على إرادتي.

فقال: ماذا لم أفهم؟

قلت بوضوح وإبانة، إنك إذا أمرت فأنا سأقف ولو إلى الصباح ولكن أخيرًا لن آخذ هذا المال.

ـ إذن عندك غيره؟

ـ لا ـ لا

ـ وماذا تأكل؟

ـ أتظنّ أنني في سبيل الأكل سأقبل الإهانة وسأقف بحسب الأمر، ولكن لن أقبض الفرض ولن آكل، وسأبقى جائعًا إلى الموت إذا كان الأمر لازمًا.

ـ فسكت مفكّرًا، ثم قال، يا عزيزي كيف يمكنهم أن يعطوك راتبك قبل اليوم، بالأمس رأس السنة وقبله الأحد، فقلت:

ـ أنا لم أتأثّر لهذا وهم دائمًا لا يسلّمونني الراتب إلا بعد مرور خمسة أيام من الشهر أحيانًا، لكن هذا شيء آخر، وأنا مستعد أن أنتظر إلى أن يكونوا فارغين من أشغالهم، ولكن في منزلي لا وراء الباب، وفي اليوم الذي يلزمني أن أنتظر سوف أرفض وأنا لا أعشق الحياة إلا إذا كانت مع الشرف - فسكت ثم دخلنا من بعد إلى محل القباض واستخلصت مبلغي.

ـ فانظر إلى مبلغ الإنسانية التي يحملها هؤلاء القوم بين جنبيهم يحصرونني في هذا المكان ويقدّرون مبلغًا أرادوه بأنفسهم، ثم يعاملني أحدهم بالإهانة كالمتصدّق عليه كلما حان موعد القبض.

لو كنت أشعر أنني آخذ المال بطريق الصدقة لرفضته من طرفهم، وإذا كان لابدّ من أن ألتمس الصدقة فسأطلبها من كريم شريف لا يتركني واقفًا بالباب، والموت سيكون لي أحلى من انتظار الصدقة بباب أحد، إنني

محصور وليس في استطاعتي أن أعمل شيئًا، ولكن في استطاعتي أن أمتنع عن الطعام ولو إلى الموت عاملًا بقول عنترة:

لا تسقني ماء الحياة بذلة ... بل فاسقني بالعز كأس الحنظلِ
ماء الحياة بذلة كجهنم ... وجهنم بالعز أطيب منزلِ

وأرجو الله أن يثبّتني ويسدّد خطاي في هذا الموقف دائمًا حتى يكون حالي مصداق قول القائل:

ولست تراني واقفًا عند باب من ... يقول فتاه: سيدي اليوم راقدُ

هذا، والذي أثّر في نفسي هو كونه لم يكن منشغلًا بشيء، بل كان جالسًا داخل المكتب يتفرّج على سير القضية التي في المحكمة، هو ليس بقاضٍ ولا مستشار، فقد كان يمكنه أن يخرج إليّ كما كان يفعل من قبل، ويبحث عن كرسي مثلًا أو ما أشبه ممّا يسوّغ مرارة الموقف.

6 يناير/كانون الثاني

ذهبت صبيحة اليوم صحبة اليوطنان ماسا للعيادة الشهرية أمام الدكتور فعرّفته بالحال وبالحمّى التي لا تفارقني بعد الزوال فقال إنه يجب تناول 50 غرامًا من الكينا بدل عشرين في هذا الفصل، ثم وزنت فوجدت نفسي قد تقدّمت 500 غرام أي أنني وزنت 60.500 أما ماسا فقد وزن ثلاثة وستين وخمسمائة أي نقص أيضًا عن الشهر السالف.

أخبرني بعضهم أنه اطّلع في بعض الجرائد على تلغراف يقول: إن التلامذة المغاربة في الدار البيضاء قدّموا احتجاجًا للقنصل العام الإيطالي يوم 18 ديسمبر/كانون الأول 1938، على المطالب الإيطالية أمام فرنسا في أفريقيا الشمالية، أما هذه المطالب فلست أدري ما هي؟؟ وأظن أن هؤلاء التلامذة هم فرنسيون أو أنهم مجموعة مثل المختارين أو أن هذه المطالب تضرّ بالمصلحة المغربية، وأيًّا كان فلا شك في أن هذا العمل بتحريك من الحكومة وأذنابها، لا لأنه لا ينبغي الاحتجاج على المطامع الأجنبية في المغرب، بل لأن هذه الصيغة التي تقول: أمام فرنسا، لا أظن أنها صادرة

من يد مغربية والمستقبل كشّاف، ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد، على أنه يعجبني أن تستمر هذه الأساليب والكلمات من الاحتجاج والمطالبة لأن ذلك لا محالة ينعش الحركة المغربية، ويشجّع أصحابها الموجودين، ويضطر الحكومة إلى السماح لبعضها لتبرير ما تصطنعه منها، وإنني دائمًا لا أرى في تصرفات الإدارة المغربية إلا ما يعزز في النفوس روح المطالبة رغم أنهم يريدون وأد العواطف وقتل النفوس.

والمغرب وغيره لا يخلو دائمًا ممّن يخدمون المصلحة الاستعمارية خصوصًا في ظروف تضطهد فيها الوطنية، وكم اصطنع بروتون من مجموعات بشرية تؤيّده وتكتب ضد الدستوريين بعد اعتقالهم ولكنّه ما نزع من تونس حتى كانت الحال مكذّبة لما يدّعيه وحتى قفزت الحركة التونسية قفزة ما كان يحلم بها التونسيون أنفسهم، بل كان منهم من يقول: إن بروتون قضى على الوطنية في البلاد وإن تونس إذا قدّر لها أن تنتعش فستنهض بعد عشر سنوات على الأقل، وهذا ما تحدّث به الأخ توفيق المدني على معرفته بالحركة التونسية وطبيعتها منذ أوائل عهدها، لكنّ الغيب كشف بخلاف ذلك ولهذا أنا أرى دائمًا أن في الاضطهاد والتطرّف ما ينعش الحركات ويُحيِيها، خصوصًا إذا كان صادرًا من قوم يهدمون ولا يبنون كالمستعمرين.

7 يناير/كانون الثاني

اليوم كتبت للوالد الرسالة عدد 54 أجبته فيها عن رسالتيه عدد 37 ـ 38 وقد خرجت هذه الرسالة في شكل مشجّع وتتخلّلها عدّة أبيات لي ولغيري وكلّها في الإعراب عن عواطف الشوق للوطن وتأكيد كون ذلك شيئًا طبيعيًّا في نفوس البشر.

13 يناير/كانون الثاني

اليوم ذهبت عند ماسا فقرأ عليّ فصلًا من رسالة وصلته من المكتب العسكري للمقيم العام يقول فيها ما خلاصته: في رسالة الفاسي لوالده عدد 45 وتاريخ 5 نوفبر/تشرين الثاني أفكار فلسفية تتعلّق بالمحبّة والعطف على المواطنين ممّا من شأنه إذا وصل لوالده أن يكون له انتشار يؤثر في دعاية سيئة

ضد فرنسا، ولهذا فإن هذه الرسالة لن تسلّم لوالده، ولكن بعدما تحذف منها جمل ستُعطى له ليقرأها في الإدارة، وينبغي لك أن تنبّه علالّا الفاسي إلى أنه يجب عليه مستقبلًا ألّا يكتب خلاف ما يتعلّق بإعطاء شيء من خبره أو الحديث عن العائلة وما أشبه، وإلا فإن رسائله سوف تحجز عن والده، فقلت له هذا شيء بسيط - ثم قال: وأنا هنا حين ألاحظ في رسائلك شيئًا غير موافق سوف أرجعه لك وخير لك أن تعيد الكتابة من أن تحجز، فقلت له طيب.

ثم أخبرني أن الوالد بعث بضعة كتب عربية لا يعرف ما هي، وأن الإقامة وجّهت بعض كتب صغيرة تاريخية بالفرنسية.

لم أحبّ أن أطيل في الكلام حول موضوع الرسائل لأنني أعرف ضيق فكر الإدارة المغربية، ولأنني لا أرى غريبًا صدور مثل هذا منهم، ما داموا قد منعوني من جميع الجرائد ولم يجودوا إلا بالقليل المقبول من الكتب، لكنني لا أرى في هذه التصرّفات إلا برهانًا جديدًا على ما أعرف، والرسالة التي كتبت والتي كانت السبب في هذا ليس فيها ما يمكن أن يعتبر سياسيًّا، وأنا ألاحظ وأعتبر في أثناء المكاتبة حتى إنني لأحار والله فيما سأقوله للوالد، ولولا ما يجب له عليّ من حقّ، وما يجب لزوجتي كذلك لقطعت هذه المراسلات واكتفيت بمناجاة مُثُلي العليا وسروري بعذابي في سبيلهما وسبيل الوطن العزيز، لكن الزوجية والبنوّة توجبان عليّ أن أتحمّل المراسلة وأتكلّف المجاملة تخفيفًا لأمل العائلة وربطًا دائمًا للعلاقة معهما، لكنّ هؤلاء القوم ليس في قلوبهم رحمة، ولا في نفوسهم إشفاق، ولست أدري كيف يتصوّرون السياسة ومعناها، ولا كيف يحبّون أن يكون التفكير المغربي، ولا كيف لا يتصوّرون الفرق الذي بين رسائلي بواسطتهم ورسائلي التي أكتب لو كنت حرًّا حتى يريدوا تحميل الإنسان ما لا يطيق، هذا بالإضافة إلى أنني لا أتصل بغير الوالد ولا أكتب لسواه، منذ أبعدت إلى الآن؟

في المراقبة إلى هذا الحدّ عنوان واضح على قيمة الهدوء في البلاد المغربية، وعلى حقيقة ما في نفوس المواطنين حول النظام الإرهابي الحاضر، إذ لو كانت النفوس مطمئنة ما خشي عليها أن تثور ضد فرنسا لمجرّد كلمات في إخلاص الحبّ والعاطفة، فليفهم الفاهم حقيقة الحال.

14 يناير/كانون الثاني

اليوم كتبت الرسالة عدد 55 للوالد وهي مغسولة من كل فكرة غير السؤال عن الأحوال عسى أن يرضى بها ساداتنا الذين يعتبرون أنفسهم آلهة العالم وحفظة الخواطر الإنسانية.

ـ اليوم سمعت أن مبعوثًا من فرنسا وفد إلى أفريقيا الاستوائية بقصد التفتيش وأنه وصل إلى براسافيل وسيمرّ بهذه القرية قبل العشرين من هذا الشهر ولكن ماذا عسى المفتّشون أن يفعلوا في هذه البلاد التي لا يعرف أهاليها طريقًا للدفاع عن حقوقهم، ولو كان هناك منصفون لما تركوا مئات العمّال يقضون اليوم كلّه في الأشغال الشاقّة في سبيل شركة معدن الذهب باثيكا ويخدمون أكثر من اثنتي عشرة ساعة في اليوم مقابل فرنكين على الأكثر، وقد قيل لي إن الكثيرين منهم يموتون بالزحمة وغيرها من الأمراض التي تصيبهم هناك من سوء المورد وسوء المطعم، مع ما هم عليه أنفسهم من سوء التدبير وعدم المعرفة حتى للمبادئ الإنسانية الأولى، وهنا في المركز تستخدم الحكومة بعض البنّائين في بناء المنازل بسبعة فرنكات في اليوم مقابل 10 ساعات، ويعطلون يوم الأحد لكنهم لا يأخذون أجرته، وهذا للمعلّمين، أما العمّال فكلّهم من الأهالي الذين يخدمون أيام السخرة مجانًا هذه السخرة التي توجد هنا وفي المغرب أيضًا رغم قرار جمعية الأمم بإلغائها وإلزام أعضائها بذلك، فواهًا للإنسانية من زبانيتها.

18 يناير/كانون الثاني

اليوم أكملت وضع رسالة شرحت فيها (أبيات الأبيات والكلمات من ديوان أبي القاسم بن هاني) وهي لا تزال في مبيّضتها في دفترين مشتملين على 192 صفحة.

19 يناير/كانون الثاني

وضعت هذا اليوم مقدّمة مشجّعة وقد قصدت أن أضعها كذلك بحسب ما سار عليه علماء اللغة وشرّاح الدواوين الأدبية في كتبهم وإن لم أكن ممّن يتقن السجع أو يحبّه كثيرًا.

21 يناير/كانون الثاني

اليوم كتبت الرسالة عدد 56 للوالد وهي كذلك مغسولة، من رسائل (كيف الأحوال) لنرى مقدار تسامح هؤلاء السادات.

23 يناير/كانون الثاني

علمت أن المفتّش المذكور لن يعرّج على الغابون وأنه بعدما فتّش في مستعمرة تشاد وبانجي والكونغو أخذ الطيارة إلى الكامرون، كما علمت أن مفتّشًا طبيًا وفد أيضًا وذهب هو الآخر للتوّ إلى الكامرون.

27 يناير/كانون الثاني

سمعت أن الحاكم العام لأفريقيا الاستوائية سيرجع إلى هنا في أيام قريبة مصحوبًا بألفين من يهود ألمانيا اللاجئين إلى فرنسا وأن هذين الألفين تقرّرت إقامتهم هنا موزّعين على أربعة أقسام، خمسمائة لكل مستعمرة من المستعمرات الأربع، وليت شعري هل سيأتون إلى هنا مصحوبين بمال، أم أن فرنسا ستقرضهم وتعطيهم الأرض هنا ليستعمروها بدل هؤلاء المساكين السود الذين لا يعرفون للحياة معنى.

كما علمت أنه ورد تلغراف من وزارة المستعمرات إلى الحكومة يقول: إن عديدًا من الرسائل ترد للوزارة تحمل شكاوى الأهالي وإنهم يرفعون شكاواهم للحكومة فلا تعير لها سمعها، ولذلك يجب أن يحدثوا هنا إدارة خاصة لفحص الشكاوى الأهلية واعتبارها.

28 يناير/كانون الثاني

اليوم كتبت الرسالة عدد 57 للوالد وهي عادية عارية أيضًا[1].

وكان إلى جانب هذا المرض رعد كبير قاصف وبرق لامع خاطف وأمطار غزيرة، لكنّني ولله الحمد احتفظت بطمأنينتي وسروري بعذاب في سبيل مُثُلي العليا وذاك من فضل الله عليّ، وأرجوه سبحانه التثبيت عليه.

(1) هنا بتر في المذكرات حيث ضاعت أربع صفحات من الأصل.

فاتح فبراير/شباط

اليوم أصبحت متخفّف الحال، لكنّ الصداع لم يزل مصاحبًا لي، وقد لازمت الحمية ولم أتناول إلا شيئًا من الحليب في الصباح وشيئًا من الأرز في الزوال، ثم في المساء شيئًا من الفاكهة المطبوخة (مرقدة بالطبع).

2 فبراير/شباط

اليوم تحسّنت الحال، ولكن بقي ضعف من أثر الحمّى السابقة، وما زلت مواصلًا للحمية.

3 فبراير/شباط

وقعت في يدي صدفة قصاصة من جريدة فرنسية من شهر أغسطس/آب عام 1938، فإذا بها خبر: إن الكتاب المعنون بالنبوغ المغربي في الأدب العربي المكتوب باللغة العربية والصادر من مطبعة في تطوان ممنوع من الرواج في المنطقة الفرنسية من الإيالة الشريفة.

هذا الكتاب هو لصديقنا الأستاذ عبدالله جنون المقيم في طنجة كتبه قديمًا، وقدّمه للمطبعة المهدية منذ نحو ثلاث سنوات وكان طبعه يسير رويدًا، والكتاب لا يشتمل فيما أعلم على ما يستحقّ المنع، بل هو عبارة عن تراجم أدبية لكثير من مشاهير المغاربة.

فانظر إلى أي حدّ يصل هذا الضغط العظيم الذي يقوم به نوكيس في البلاد المغربية في عهد يقولون إنه عهد الحرية والديموقراطية والجبهة الشعبية، لا شك في أن القوم طغوا وبغوا وغرّتهم قواهم وتحكّماتهم على الضعفاء لكنّ الضغط لا يورّث إلا الانفجار وما وصل لهذا الحدّ لا بد من أن يكون له ردّ فعل يريهم نتيجة سعيهم فواعجبًا لقوم لا يستحيون.

4 فبراير/شباط

وقع هنا امتحان الشهادة الابتدائية وقد كان ماسا في جملة أعضاء اللجنة الممتحنة وكان عدد المتقدّمين للامتحان 7 فاز منهم خمسة وسقط اثنان،

وهذه المرة الأولى التي يجري فيها امتحان الشهادة الابتدائية في هذه المدرسة المويليه أي بعد أزْيَد من مائة عام على دخول فرنسا للغابون.

ـ اليوم كتبت الرسالة عدد 58 للوالد وأخبرته بمرضي يوم العيد.

6 فبراير/شباط

اليوم تسلّمت من الوالد خمس رسائل من عدد 39 ـ 43 من تاريخ 7 ديسمبر/كانون الأول 38م إلى 13 يناير/كانون الثاني 39م، وقد أجاب فيها عمّا وصله أو اطّلع عليه في الإدارة دون أن يسلّم له من رسائلي إلى عدد 47 وقد بشّرني ببرء للا زهراء وسلامة البنية ليلى، كما أخبر بأنه بعث كتابين «يتيمة الدهر» للثعالبي، والكامل للمبرد بشرح السيد المرصفي وكلّ ذلك لم يصل أيضًا.

11 فبراير/شباط

اليوم كتبت الرسالة عدد 59 للوالد أجبته فيها عن رسائله الخمس وقد قلت له أن يبعث ببعض كتب الأدب الأندلسي والمغربي كنفح الطيب مثلًا.

ـ وجد صبيحة الأمس مكتب القبض المالي مفتوح الطاقة الخارجية، وقد دخل منها السارق وأخذ مبلغًا من خزانة خشب هناك ما قيمته 12000 فرنك، وقد زجّ الحارس في السجن، كما زجّ بعض المتّهمين والبحث لا يزال جاريًا.

15 فبراير/شباط

عثر على السارق، وهو سجين محكوم عليه في سرقة وقد اعترف بأنه أخذ مبلغًا من المال، لكنه أعطى فقط 500 فرنك.

17 فبراير/شباط

ما زال السارق يعطي المال شيئًا فشيئًا.

18 فبراير/شباط

أظهر السارق أكثر من ثلاثة آلاف فرنك، وقد علمت أن المال المسروق هو من النفقة السنوية المستودعة هنا من طرف الحكومة المغربية من أجلي.

اليوم كتبت الرسالة عدد 60 للوالد هنّأته فيها بحلول السنة الهجرية وموسم عاشوراء.

21 فبراير/ شباط

اليوم موسم الهجرة النبوية ورأس السنة الإسلامية، وقد تسلّمت فيه كتابًا من الوالد تحت عدد 44 وتاريخ 27 ذي القعدة 1357، 18 يناير/ كانون الثاني 1939م.

ـ لقد عثرت اليوم في خاصرتي اليمنى على حزازة من نوع ما كان قد ظهر إزاء السرة ثم عولج وقد استعملت لها دهنًا كان قد أعطاني إيّاه الطبيب المرة السالفة ريثما أتمكن من عيادته في رأس الشهر، ولست أدري ما هذه الطبعات ولا ما تنذر به، وكان الدكتور قد قال لي لمّا سألته الإشارة بدواء يكون وقاية من خروجها قال لي: لا أظن أنها ستخرج أيضًا وأنكم قد عوفيتم، فالأمر لله من فقدان الاهتمام.

23 فبراير/ شباط

اليوم توجّهت عند ماسا كالمعتاد فلقيني في الطريق طوافه وأخبرني بأنه سافر صبيحة اليوم - ولما سألته قال: إنه ذهب إلى الكنيسة وقد علمت من عدة جهات أنه ذهب في السيارة النقّالة لدار بازيليادیس إلى دوليزي ومنها سيأخذ القطار إلى مدينة براسا (براسافيل) التي هي عاصمة الكونغو وأفريقيا الاستوائية الفرنسية. أما هو فقد فارقته عشية الأمس على موعد اللقاء اليوم، فانظر إلى أخلاق هؤلاء القوم؟ ولست أدري هل أن سفريّته هذه فسحة فقط أم لغرض خاصّ، خصوصًا والحاكم العام لمستعمرات أفريقيا حديث عهد بالرجوع من فرنسا، فسنرى.

25 فبراير/ شباط

اليوم كتبت الرسالة عدد 61 للوالد أجبته فيها عن كتابه عدد 44 وهي عادية من العاديات الجديدة، وبالطبع إنها ستبقى محفوظة إلى رجوع ماسا من سفره، وما كتبتها في هذا اليوم إلا لئلا يظنّ الوالد أنني مريض حين يفقد

تتابع الأسابيع في المراسلة وإن كانت الرسائل تجتمع في الإدارة وتغيب عنه الشهرين والثلاثة، ولكن لعله يلاحظ تواريخها فيعرف تتابعها.

26 فبراير/شباط

اليوم دعاني رئيس العمّال فذهبت إليه فسلّمني رسالة من الوالد رقم 45 بتاريخ 6 ذي الحجة 1357هـ ـ 1939م وقد هنّأني فيها الوالد بالعيد وأخبر بسلامة الأهل والعائلة.

ـ لما سلّمني المدير الرسالة كتب في طرة ترجمتها بالفرنسية وصل الاستلام وأعطانيه فوقّعته،لقد كان في المرة الأخيرة قد طلب إليّ التوقيع في ورقة شهادة كبيرة واستحضر كاتبيه وقال لهما إنني أسلّم الرسالة لفلان من والده فقالا نعم، ووقّعت على تلك الورقة ولا شك في أنهما وقّعا، أي كحالة من ليست عنده ورقة تعريف مدني، وهذه المرة لم يفعل ذلك كما أنه في المرة الأخيرة لم يكن المدير حاضرًا فوقّعت وصل المال، ووقّع ماسا قائلًا، لتعريف التوقيع العربي.

ـ الحقيقة أن هذا النظام الذي أنا فيه هو خيالي أكثر منه عملي، ولا أدلّ على ذلك من كثرة هذه التقلّبات، وما ذلك إلا لأنهم جعلوا فيه ـ على ما يظهر ـ وجهين وجهًا ظاهرًا مصطنعًا، ووجهًا باطنًا، ثم هم يريدون تطبيق الباطن دون أن يحسّنوا صبغة الظاهر، ويريدون منّي مثلًا أن أكون متمشّيًا حسبما في نفوسهم دون أن يصرّحوا به، وهذا منتهى البلادة في الحكم، ومنتهى الدناءة في الجبن أمام الضمير العام، أي مقتضى أثر تغلغل النفاق الاجتماعي في النفس الحاكمة ... وفي كل يوم نأخذ دروسًا عن أعمالهم.

5 مارس/آذار

اليوم كتبت الرسالة عدد 62 للوالد أجبته فيها عن كتابه عدد 45 وستبقى محفوظة مع أختها حتى يرجع ماسا.

ـ ما زال ماسا مسافرًا وقد علمت من بعضهم أنه لن يعود إلّا بعد نيف وعشرين من هذا الشهر، فانظر حتى الآن لم أتسلّم نفقة مارس، ولا وقعت

عيادة الطبيب لأن ذلك يتوقّف على حضوره، ولولا أنني أحتفظ كل شهر بيسير لمثل هذه الحالة التي لطالما تعرض لي لكنت مضطرًا لأول يوم.

وقد ترك خدمه دون أن يؤدّي لهم وجيبة الشهر السالف، وجاؤوني يسترحمون لفقدهم ما يتقوّتون به فأسلفت كل واحد منهم عشرة فرنكات وإن كان غالب ظنّي أنها لن ترجع.

9 مارس/آذار

في هذه الليلة حدث خصام بين السيد ليكي مدير المدرسة الفرنسية هنا، وخطيبته الفرنسية، كان سببه أنه ـ حسبما قال ـ خرج قبل الفجر منزعجًا من الحرارة لينال من الهواء قليلًا، فلمّا دخل اتّهمته بأنه ذهب ليصيد إحدى النساء السّود، ورغم تلطّفه في استعطافها فإنها أبت أن ترجع إلى المنزل وبقيت كذلك حتى طلعت الشمس وذهبت للتوّ إلى مكتب رئيس العمّال حيث طلبت إرسالها إلى فرنسا، وقد استدعي المدير وألحّ في الاستعطاف لكنّ المرأة أبت وأخيرًا قرّروا إرسالها إلى مرسى جنتيل في الطيارة التي وجدت هنا صدفة ثم تأخذ الباخرة من هناك. وقد أدّى المدير الصوائر.

10 مارس/آذار

اليوم سافرت بالفعل السيدة المذكورة وبقي المدير متألّمًا ملازمًا بيته، ثم كتب رسالة للحاكم العام يستعفي فيها من وظيفته هنا في المستعمرة.

ـ أحسّ تلامذة المدير وبعض من أعضاء الجمعية الرياضية التي أسّسها هنا بأن المدير كتب رسالة الاستعفاء، فكتبوا في الوقت نفسه للحاكم يطلبون إليه عدم اعتبار طلبه ويرغبون في بقائه، ولمّا أوصلوا الرسالة إلى حاكم العمّال سألهم: أليس م ليكي الذي طلب إليكم كتابتها، فقالوا لا.

ـ هذا المدير هو رجل مارتينيكي أسود، وله عواطف طيّبة، وقد اجتهد كثيرًا بحسب طاقته في المدرسة التي يديرها، وتخرّج لأول مرة سبعة تلاميذ حاملين للشهادة الابتدائية مع أنه مضى على تأسيسها نحو

11 عامًا، لم يتخرّج فيها تلميذ واحد، كما أقام دروسًا ليلية لتعليم الكبار، وقد رأيته أحيانًا يجمع أولاد المدرسة من مداشرهم بنفسه، كما أنه صنع في الطرق عدة أحواض مكتوب عليها كلمات دعائية للمدرسة، ويجتهد كذلك في التدريب الفلّاحي حسبما يسمح به ميدان العمل الضيّق هنا، وأسّس ملعبًا رياضيًّا يشتمل على كرة القدم والسلّة، وأخيرًا نظّم جمعية رياضية لتلامذة المدرسة وقدمائها، واجتهد في تكوين لجنة رعاية لها من طرف الموظّفين برئاسة رئيس العمّال، لكنّه كان في الوقت نفسه ذا أخلاق شرسة نوعًا ما، ويظهر أنه يبحث عن المرأة كثيرًا، في وقت يحرص ألّا تخرج صديقته البيضاء من المنزل إلا بصحبته، أما السيدة المذكورة فهي أيضًا ذات عواطف طيّبة، وأخلاق قلّ أن رأيت مثلها عند النساء الأوروبيّات، والفرنسيّات منهن بالخصوص، وقد كانت تظهر نحوي عاطفة حسنة، كما كانت صابرة متحمّلة، وهي قليلة الكلام، متحمّلة لقلّة الطعام وسبق أن خاصمته واشتكت منه، لكنّه حسن بعدها عشرته، وهدأت مخاصماتهما مدة طويلة، وكانت تشاركه في أعماله كلّها، وتشجّعه على المزيد، كما كانت تتطوّع لتعليم بنات المدرسة بعضًا من الترقيع والتطريز الأوروبي البسيط.

- نعم يظهر لي أن الأوروبيّين هنا، لم يرضوا بأن تكون امرأة بيضاء متعاشرة مع أسود وإن كان فرنسيًّا أمام الأهالي السّود، وقد سمعت كثيرًا عن أشياء تدلّ على أنهم متألّمون من ذلك، وبمجرّد ما كان الخصام الأول، أظهر كثير منهم تحيّزه نحو المرأة، ورغبته في ذهابها، ولطالما أشاروا عليها بذلك، حتى سمعت من ماسا يومًا: إنها امرأة حمقاء لو أرادت أن تذهب لذهبت توًّا، ولكن لعلّها تخاف منه - وهذا ما سمعته من الآخرين، ففي هذه المرة لما تمرّدت على صديقها أسرعوا بتسفيرها، ولو أحبّوا أن يصلحوا بينهما لما عسر ذلك عليهم، فقد كان يمكن لرئيس العمّال، أن يضيفها في منزله مدة أسبوع مثلًا، يهدّئ خلاله من حدّتها ويجمع بينها وبين صديقها الذي يقال إنه كان راغبًا في العقد عليها، لكنّهم لم يفعلوا، ثم بعد ما ذهبت بقي المدير المذكور كشخص فريد في منزله لم يزره أحدٌ من الفرنسيّين بقصد التسلية على العادة في مثل هذه الأحوال، بل يظهر أنهم

يستغلون هذه القضية حتى لا يواصل عمله المدرسي كما هي عادتهم أيضًا في مثل هذه الأحوال، ومع من يأنسون منه عطفًا على الأهلين، هذه أشياء تتراءى لي من بعيد، وهي خير تعبير عن مقدار الرابطة الموجودة داخل العائلة الفرنسية كما يقولون، وعن مقدار التفاني في الشخصية وحبّ الذات الموجود في هؤلاء الأفراد فإن هذه الحادثة عادية بالنسبة إلى الأوروبيّين والمرأة لم تكن تعاشره بعقد زواج، بل كانت بصفة عاهرة محتكرة بحسب عادتهم، وقد أخذت حقّها بذهابها وأدّى الرجل لوازم ذلك فلم يبق مجال للكلام بعد، وهب أنه يبحث عن نساء أخريات أليس هو فاسق وهي كذلك ثم أليسا معًا متراضين على بقاء متواصل؟ فما هي الغيرة التي ستلحق السادات من هذا العمل؟ أليسوا يقولون دائمًا إن هذه الأشياء طبيعية؟

هنالك نظريتان، إحداهما ما يقتضيه الدّين والخلق، وهي التفرقة بين الزواج والسفاح فكلّ ما ليس زواجًا فهو عهر وفسق، يلحق منه عار وشنار. والنظرية الإباحية وهي التي تعطي الحقّ للرجل والمرأة أن يفعلا ما يشاءان، كما يقول بلوم في كتابه عن (الزواج) وعلى كلتا النظريتين لا حقّ للقوم في أن يأخذوا الرجل بعمله، ولست أدري لماذا يغارون على أن ينكح أسود بيضاء في حين أن البيض كلهم ينكحون السّود في كل أوان.

ـ الذي يدرس الروح الخاصّة في نفسية الفرنسيّين الأصليّين وقضية الدخلاء وخصوصًا السود لا يشكّ في أنه سيقع في فرنسا من التضامن الشعوبي أشدّ ممّا وقع في الأمّة العربية، لأنه حقيقة ليس من الطبيعي الخروج من وطنية إلى أخرى، ومجرّد الدخول القانوني لا يغير من العاطفة شيئًا، وإنك لتجد هؤلاء الدخلاء يعملون كامل مجهودهم في ظلّ الضغط الموجّه من طرف الآخرين على أن يتظاهروا بمظهر المتناسي لأصلهم وفصلهم، فترى هنا مارتينيكيّين آخرين هجينين، لم يعطفا ولو قليلًا على صديقهما، ولو زاراه في منزله، وما ذلك إلا ليظهرا أنهما ليسا أقل مدنية واحترامًا للمرأة من الأصليّين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنهم جميعًا يخافون ويتوقّعون أن المسألة ستمسّ الشخص في وظيفته فيبتعدون بأنفسهم مخافة أن توجد عليهم شبهة اتصال به مثلًا، فيستعملها خصومهم

هنا، وكل منهم مخاصم للآخر ليست بينهم أدنى صداقة أو رابطة من نوع ما يكون بين المغاربة مثلًا في أرض الغربة، وكل منهم يتربّص بصاحبه الدوائر، وهذا من الأمراض الاجتماعية التي أصابتهم كما أصابت المسلمين من قبلهم.

ـ ثم هم جميعًا متزوّجون سيدات فرنسيات، وللمرأة حظّها في تكوين التحيّز العاطفي، لكنّني لا أشعر بمحبّة كبيرة داخل عائلاتهم، رغم نفاقهم، وكم علمت من حوادث ومآسٍ تقع هنا في المستعمرة بسبب هروب السيدات الفرنسيات من أزواجهن الشرعيّين إلى من يريدون من الأخدان وتقصّيت أسباب ذلك فعلمت أن أهمها أن الرجل الجديد يربح في وظيفته أو عمله أكثر من الزوج الشرعي. والحاصل أن هنا مجال لمن شاء أن يدرس الأخلاق والنفسيات الفرنسية، لأن العدد قليل والميدان متسع.

11 مارس/ آذار

اليوم كتبت الرسالة عدد 63 للوالد وهي عادية، وستبقى محفوظة مع أختيها حتى يرجع ليوطنان ماسا.

12 مارس/ آذار

اليوم رجع ماسا من سفرته، وقد زارني في منزلي، وقال إنه كان في براسافيل وحدّثني عن بعض ما فيها، ولم يخبرني بشيء مما ذهب بشأنه غير أنه: قال لي إنه اشتغل كثيرًا داخل المنزل فلم تكن له فرص كبيرة للتجوّل... وقد أعطيته رسائل الوالد الثلاث ليوجهها.

15 مارس/ آذار

اليوم بعث لي ماسا بكتابين من الوالد عدد 47 ـ 48 تاريخ 11 فبراير/شباط و 18 فبراير/شباط عام 39، ولم تصلني الرسالة عدد 46 فلعلّهم حصروها أيضًا، أما الوالد فقد أخبر أنه وصله كتابي عدد 53 ولم يصله كتابان قبله، فلعلهما حصرا أيضًا مع أنني لا أعتقد أن فيهما شيئًا يستوجب الحصر والوالد يستطلع كذلك خبر وصول اليومية والكتابين

الموجّهين منه، والصورتين فأما الأولان فقد وصلا منذ شهرين وأخبرته بذلك، وأما الكتابان فما زالا لم يصلا مع أنه مرّ على توجيههما أربعة[1]...

20 مارس/آذار

في صبيحة اليوم كتبت الرسالة الثانية لماسا، وغرضي منها التلطّف في إثارة انتباه القوم إذا كان يهمّهم أن يساعدوني في العلاج، وحتى لا يقولوا إنني حين يشتدّ المرض لا أشعرهم بذلك.

«حضرة الضابط المحترم موسيو ماسا:

صباحًا سعيدًا، وبعد فإنني قد تألّمت في هذين اليومين كثيرًا، كما يظهر لي أن المرض قد تطوّر بدوره، وأخشى أن يتكشّف عن جرثومة سيّئة، لذلك فإنني أستسمحكم وأرجو من فضلكم أن تشعروا حضرة الطبيب بذلك وتطلبون لي منه موعدًا أزوره فيه لأعرض عليه هذه الحالة.

وإنني أعتمد على لطف عنايتكم، ومساعدة الدكتور كارو وإنسانيته، لمعالجة هذا المرض الذي مع تطوّراته المفاجئة لا يقبل التربّص في المقاومة.

هذا وإنني أؤكد لكم استعدادي لتأدية أثمان كل الأدوية التي ربما رغب حضرة الطبيب في استحضارها ممّا ليس في مستوصف القرية.

أستسمحكم ثانيًا وتقبّلوا احتراماتي».

علال

في 20/ 3/ 39

بعثت هذه الرسالة وفي العشية زارني صحبة الطبيب وبعدما ذكرت له التطوّر الجديد وأخبرته بكلّ ما شعرت به، قال إن هذا كلّه من الداء الذي يكشف عن جرثومته في المكبر حين فحصه للفضلة الطبيعية، وأعطاني ست حبّات لأتناولها في الغد، وسهلة لبعد الغد، فأرجو أن يحقّق الله فهمه، وألّا يكون هناك ما هو أدهى وأمرّ، فيهدأ حينًا ثم ينبعث بأشدّ وأقوى.

(1) هنا بتر في المذكرات حيث ضاعت بعض الصفحات من الأصل.

21 مارس/آذار

اليوم تناولت الدواء الذي أعطانيه الطبيب.

ـ زارني في العشية ماسا وفي أثناء الحديث قال لي: إنه وصله كتاب من الإقامة يعلمونه بأنهم وجّهوا الكتابين المرسلين من طرف الوالد. «الكامل، واليتيمة» بعثوهما بتاريخ 12 مارس/آذار، يعني أنهما مكثا في الإقامة ثلاثة أشهر وخمسة أيام. إذ سلّمهما لهم بتاريخ 7 ديسمبر/كانون الأول 1938 - فانظر لهذه التصرّفات مع أنهم هم الذين اختاروا الكتابين وطلبوا إلى الوالد أن يبعثهما.

22 مارس/آذار

اليوم تناولت المسهل.

23 مارس/آذار

ما زالت الحال على ما هي عليه،لم تتغير.

24 مارس/آذار

شربت اليوم كثيرًا من المياه المعدنية لإدرار البول وكذلك بالأمس، وظهر لي أن هنالك شيئًا في العضو الطبيعي، وقد ذهبت في العشية عند ليوطنان ماسا ثم ذهبنا للتوّ إلى الدكتور الذي أظهر اهتمامًا وأعلنت له خوفي من أن يكون داء السيلان فقال إنه لا يظنّ ذلك، ثم استعلمني عن نقط طبّية أجبته عنها وطلب إليّ أن أوجه له غدًا شيئًا ممّا شعرت به في العضو ليختبره.

25 مارس/آذار

وجهت له ما طلب وأنا أنتظر النتيجة.

اليوم كتبت الرسالة عدد 65 للوالد وهي عادية، ولم أخبره بمرضي بل قلت له: إنني بخير ولله الحمد وله المنّة.

26 مارس/آذار

ما زالت الحالة الصحية كما هي، وحتى الآن لم أعرف نتيجة الفحص.

ـ سمعت أن الحرب الإسبانية انتهت بانتصار الوطنيين على طول الخطّ، وأنه جرى أمس الأمس توقيع معاهدة بين إسبانيا الجديدة والبرتغال، تربطهما ضمن تحالف عسكري واقتصادي.

ـ سمعت أيضًا أن الألمان احتلّوا كامل تشيكوسلافيا وبلاد المجر، فلست أدري ما تأتي به الأيام.

ـ سمعت أيضًا أن هنالك مخابرة بين الفلسطينيين والإنجليز لعقد معاهدة وتنظيم حكمة قومية هناك، كما علمت أن المحمل المصري سافر إلى الحجاز، وعليه فتكون مشكلة الخلاف القائم حوله قد انتهت.

ـ اليوم تسلّمت رسالة الوالد عدد 46 التي كانت قد تأخرت، كما استلمت رسالته عدد 49، سلك فيها مسلك السجع وأعرب عمّا يجده من الشوق والوجد إلى درجة الجنّة، فالأمر لله وقد وصل معهما كتاب اليتيمة للثعالبي في جزأيه، ووصلت أيضًا ثلاثة أرباع من رغبة الآمل في شرح الكامل، ولم يصل الربع الرابع المشتمل على جزأين أيضًا، ولست أدري أين بقيا، وهذان الكتابان وجّههما الوالد بتاريخ 7 ديسمبر/كانون الأول 38، وقال ماسا إن الإقامة أرسلتهما يوم 12 مارس، فمدّة البريد هي اثني عشر يومًا فقط، ومدّة المكث في الإقامة ثلاثة أشهر وستة أيام، مع أنها هي التي عيّنتهما للوالد، ثم يبقى القسم الرابع من الكتاب تحت يدها، وكنت أظنّ أن الحامل أهمله عند ماسا فأرسلت أستفهمه فقال إنهم لم يوجّهوا إلا ما بعثه لي.

28 مارس/آذار

في المساء وجّه لي ماسا البطاقة الآتية:

«اليوطنان ماسا من الأمور العسكرية الإسلامية لمسيو الفاسي، السلام عليك»، وبعد بمقتضى الأوامر التي تقبّلناها من الإقامة العامّة نرجو منكم أن تحضر (كذا) في منزلنا كل يوم في الصباح أو في العشية والسلام».

مويلا مارس/آذار 28 سنة 1939م

ـ هذه نغمة جديدة لست أعرف الباعث له، ومنذ مدّة وأنا أذهب عنده لمناولة ما يسمّيه درسًا، لكنّني لم أذهب هذا الأسبوع كلّه لأنني مريض، فلست أدري هل أن هذا الأمر كان عنده من قبل أم هو أمر جديد؟ وفي المدّة الأولى كان هو الذي يزورني يوميًا، ثم انقلبت الحال، والآن أصبح ذهابي عنده رسميًا، كما كنت مكلّفًا في أنجلي بالذهاب عند المدبّر كل يوم، فانظر هذه الأوامر التي لا تزال تترى دون أن تقف عند حدّ أو تصل إلى غاية وأيًا ما كان فلا شك في أن هذا الباعث جديد. وربما كانت هناك بوادر حرب أو لا أدري.

ثم هنالك نغمة في هذا الكتاب، تعرب عن نية أصحابها، فانظر كيف يتكلّم عن نفسه بالجمع والتعظيم ويوجّه الخطاب لي بالإفراد، ولا يخفى ما في ذلك من الإهانة المقصودة، ومن يقرأ حياة غاندي المكتوبة بقلمه ويرى الأوامر التي كان يقدّمها له حاكم السجن العامّ يرَ مقدار الفرق في الأدب واحترام العواطف، فدائمًا يختم الكتاب وتقبّلوا احترامات خادمكم المطيع حاكم السجن العامّ فلان - ولكن ما العمل، كلٌّ يعمل على شاكلته فربّكم أعلم بمن هو أهدى سبيلًا.

29 مارس/آذار

ذهبت صبيحة هذا اليوم عند ماسا بحسب الأمر الجديد فقابلني كالمعتاد، دون أن يتكلّم حول هذا الموضوع.

ـ أخبرني الطبيب أنه لم يعثر على أية جرثومة فيما فحصه من البول ومن الخارج، لكنني ما زلت أشعر بالألم يشتدّ فلست أدري ما هو هذا الأمر.

ـ في العشية أرسل لي دواء تقليديًا يعرف Entero Pansement للدكتور مرزيزن. وقد استعملته.

31 مارس/آذار

اليوم دعاني ماسا لتسلّم الفرض، وهذه المرة الأولى التي أتسلّمه فيها في مثل هذا اليوم كما يتسلّم جميع الناس أجورهم، ولم يحضر أوكلير ولا طلب توقيعًا!

ـ ما زالت حالتي الصحية كما هي.

فاتح أبريل/ نيسان

لم يفدني الدواء المعطى شيئًا، وقد بتّ هذه الليلة في ألم شديد لا أكاد أستطيع معه المكث بضع دقائق على جانب واحد، وحتى الآن لم أعرف المصير فإلى الله المشتكى.

ـ اليوم كتبت الرسالة عدد 66 للوالد عرّفته فيها بتسلّم رسالتين عددَيْ 46 ـ 49، وبوصول اليتيمة والكامل إلا ربعًا منه، ولم أخبره بالمرض بل على العكس من ذلك وعظته بالصبر نظرًا إلى ما يبدو على رسالته الأخيرة من القلق.

ـ اليوم ذهبت عند ماسا فلم أجده في منزله فانظر، أُؤمَر بزيارته ثم لا أجد له أثرًا في ساعة يعلم أنني سأجيء عنده فيها ...

2 أبريل/ نيسان

اليوم تسلّمت كتابين من الوالد عددَيْ 50/ 51 بتاريخ 5 مارس/آذار و 9 منه أيضًا، وقد أخبرني باستلامه كتابي عدد 52، والذي كان قد حجز وما زال ولم يصله عدد 51، يلاحظ أن هذه هي المرة الأولى تصلني فيها رسالة من الوالد بعد 24 يومًا من تاريخها.

7 أبريل/ نيسان

اليوم ذهبت عند ماسا فلم أجده أيضًا، فانظر هذه الأخلاق وإنني لصابر إلى يوم أتمكّن من فرصة ناجعة.

8 أبريل/ نيسان

اليوم كتبت الرسالة عدد 67 للوالد أجبته فيها عن رسالتَيه الأخيرتين.

ـ علمت أنه سيصل إلى هذه القرية عدد من البيض مكلّفون بأخذ شريط سينمائي لتاريخ براسا الذي كان في هذه الأراضي وقد سمعت أن رئيس العمّال ذهب لاستقبال هؤلاء المكلّفين في قرية فوافو، كما أن مدبّر القسم أصدر أمره لجميع أهالي الناحية نساء ورجالًا وأطفالًا أن يحتشدوا في هذه

القرية مصحوبين بجميع أدوات الرقص المحلّي وما يتعلّق بذلك كلّه وهذا عمل لا يحتاج إلى تعليق..

12 أبريل/ نيسان

اليوم ذهبت لزيارة ماسا بحسب العادة الجديدة، فأخذنا نتحادث في موضوعات شتى، وانجرّ الكلام إلى مسألة الضرائب والموظّفين فقال لي إن المغرب هو القطر السعيد الذي لا يؤدّي من الضرائب إلا قليلًا، فعدّدت له الضرائب التي نؤدّيها ثم قلت له: لكن الموظّفين في المغرب حقيقة هم السعداء. لأنهم لا يؤدّون أية ضريبة بصفتهم الخاصّة، كما يؤدّيها الموظّفون هنا وفي فرنسا نفسها، فتأثّر لهذا الجواب وجعل يدافع بمختلف الأجوبة ويقول إن الفرنسيّين إذا لم تكن لهم الامتيازات الاستعمارية فهم لا يقبلون أن يغادروا الوظائف في فرنسا ليعوّضوها بمستعمرة هنا، فأجبته على أيّ حال هم يجيئون إلى هذه الأرض السوداء على ما فيها من جوّ قاتل، وبُعد عن كل وسائل الحضارة، ويؤدّون الضريبة هنا، ولكن في المغرب يأبون ذلك مع أنهم يأخذون أكثر من ستين في المائة من ميزانية البلاد التي على فقرها لا تجتمع إلا بتعب، ثم ذكرت له عدد التعويضات التي يتمتّع بها الفرنسيّون ومنها تعويض التوقيع الذي يأخذه النائب بالإقامة، والذي يأخذه المهندسون البلديون على أشغالهم، وما يأخذه التراجمة والموظّفون على تعلّمهم العربية والبربرية، مع أن تعلّمهم هو سرّ إعدادهم ليتوظّفوا، فاستشاط غضبًا، وجعل ينكر ذلك، فقابلته بالتأكيد مع عدم الغضب، وقلت له إننا فعلًا كتبنا تقريرًا للمسيو بونسو في مسألة الموظّفين واعتمده وبمقتضاه بدأ يُدخل عدة إصلاحات في المالية ومنها التخفيض من قدر التعويض الاستعجالي وإدماج بعض الإدارات فازداد غضبًا وقال: إذن من يبقى في المغرب تكون ميزانيته أحسن من الآن، فضحكت وقلت ربما .. ثم جعل يقول: إن قضايا المالية ليست من المسائل السهلة، التي يمكن لكلّ الناس أن يتكلّموا عنها، وكم من الناس يكتبون ما لا يفهمونه، ولعلّك لم تفهم ما يتعلّق بهذا الموضوع، إذا كان حقيقة موجودًا في الظهائر الرسمية كما تقول... فأجبته ولكن لعلّ كثيرًا من الناس، لعدم معرفتهم بشيء ما، يستغربون إذا سمعوا غيرهم يتحدّث فيه، وتكلّم كثيرًا

وأجبته قليلًا ثم تفارقنا وهو محمرّ الوجه كامل التأثّر، مع أنه هو الذي أحبّ أن يخوض هذا الموضوع ويبتدئ الكلام فيه، فأحببت أن أخفف قليلًا فقلت له: لكن الواقع أن المدنيين يأخذون أكثر من العسكريين لأن الأخيرين لا يتمتّعون بمثل امتيازات المدنيّين فتهلّل قليلًا وقال: إيه أعرف وإنني جدّ خبير بهذا، والعسكريون هم الذين يقبلون أيضًا أن يذهبوا حيثما أرسلوا ولو إلى الغابون ... ثم توادعنا.

ـ سمعت في العشية أن ماسا اشتكى إلى حاكم الغابون من عدم تلبية إدارة العمّال طلبه المتواصل لإصلاح منزلي، وقال إن الفاسي قد كلّمني في الموضوع مرارًا وكلّمت أنا بدوري هؤلاء الموظّفين فلم يقوموا بالواجب، وقيل لي إن الحاكم كتب إلى رئيس العمّال يستعلمه عن السبب في تباطئه ولا أدري ما جرى.

ـ كما قال لي أحد الأهالي: إن كاتبًا للمديرية، قال له سمعت أن فلانًا لا يجلس هنا أكثر من سنتين أو ثلاث سنوات، لأن والده بدأ يطالب بإرجاعه ... هكذا حكى ولم يستطع أن يعطي تفصيلًا أو بيانًا لأن الكاتب لم يقل له أكثر من هذا ..

14 أبريل/ نيسان

في صبيحة هذا اليوم ذهبت لزيارة ماسا فوجدته قد كتب بطاقة على الباب يعلمني بأنه في مكتب جلواني فذهبت إلى هناك، فوجدته وحده يقوم مقام المدبّر الذي ذهب لغرض ما في الجهة. وقد جلست معه قليلًا، فسألني هل أصلحوا شيئًا في المنزل؟ فقلت له لا، والآن أنت أصبحت مدبّرًا.. فيمكنك أن تفعل ... فقال نعم: إذا بقيت في المكتب أربعة أيام فقط أصلح المنزل...

15 أبريل/ نيسان

اليوم كتبت الرسالة عدد 68 للوالد رجوته أن يسترجع القسم الرابع من الكامل للمكتبة.

18 أبريل/نيسان

اليوم تسلّمت كتاب الوالد عدد 52 وقد أعرب فيه عن تألّمه الشديد لما أخبرته به من مرضي في عيد الأضحى السابق.

19 أبريل/نيسان

ترامى إليّ خبر موت الملك غازي بحادثة سيارة فنظمت في رثائه قصيدة تجدها ضمن الدفتر الشعري[1].

22 أبريل/نيسان

اليوم كتبت الرسالة عدد 69 للوالد أجبته فيها عن كتابه عدد 52.

23 أبريل/نيسان

اليوم تسلّمت كتاب الوالد عدد 53 بتاريخ 28 مارس/آذار 39، أجابني أنه استلم كتابي عدد 59، ويظهر من رسالته أنه قلق جدًّا حتى أنه قال: أما ما أشرتم إليه من الأشواق فلا تسأل يا ولدي عمّا أعانيه من أجل ذلك ولولا عناية الله تعالى وتثبيته إيّاي فضلًا منه وكرمًا لوصلت إلى ما لا يحمد وهو سبحانه الرؤوف الحليم اللطيف الكريم، وإنني أعتقد أن معظم الألم الذي يصيبه ليس من البعاد فحسب، بل من سوء المقابلة التي لا شك في أنه يقابل بها من طرف الضبّاط بإدارة فاس، وسوء الكلام الذي يجاب به كلما حدّثهم في موضوع يتعلّق ببعث الكتب أو الرسائل مثلًا، وكأنني أرى تلك المواقف التي يلذّ لهؤلاء أن يقفوها بجانب كرام البلاد مُهينين لهم بالوسائل الدنيئة التي ليس من شأنها أن تقاوم إلا بالصفع، وأنا هنا آلمني ذلك كثيرًا وأحسّ به وأتألّم له، ولكنّني أجد الصبر العظيم، وكثيرًا ما أردّ بالكلام وأعرّض نفسي لأشدّ الأحوال، لأن الغريق لا يخشى من البلل، أما الوالد فهو في حالة الشيخوخة ومثقل بهموم العائلة هناك فيضطرّ للصبر زيادة

(1) أُنظر ديوان علّال الفاسي، الطبعة 2 جزء 2، صفحة 226 ومطلعها:

أبني العراق تحية وسلاما ... وعزاء من في النائبات أقاما

للفرق بينه وبينهم في التفكير والأسلوب، ومن أعظم الأسباب التي تؤلمه عطلة الرسائل، وفراغها، وقد كنت أحاول أولًا أن أبسط له دائمًا طمأنينتي وحالتي المعنوية وأطنب له القول في هذا الموضوع علاجًا لنفسه وتخفيفًا للوعته، لكنّ القوم رأوا في ذلك شيئًا لم أقصده، فأرسلوا يهدّدون بوقف الرسائل عنه إذا كتبت مثل ذلك وحجزوا منها العديد، وكان ذلك عقب رسالة قال فيها الوالد: إنه يكون مسرورًا جدًّا باستلام رسائلي الممتعة وكم تخفف عنه من ألم ... فالقوم الذين لا يرغبون في أن يخفّف عنه استعجلوا الحكم، فأصبحت المكاتيب عبارة عن كلام فارغ وشكوى خالية، وقد لاحظت أن القوم يسرّهم جدًّا كل كتاب أعلن فيه تألّمي وشكواي وأسفي فلم يحجز من ذلك شيء، وكل كتاب أعلنت فيه صبري واستعدادي للتضحية آخذًا بالمثل العليا، أو حاولت على الأقل التخفيف من الألم الأبوي فيه، يكون حظّه الحجز أو طول المكث.

هذا، وكتاب الوالد اليوم وصل مطبوع الغلاف بطابع العمّال وفوق الطابع تاريخه 22/ 4/ 1939 ونمرة لعلّها نمرة تسجيله 1079 وذلك كلّه لأول مرة.

أوحت إليّ رسالة الوالد فكرة ضمّنتها ضمن قصيدة تشتمل على مائة وتسعة عشر بيتًا، وفيها خطاب للوالد ووعظ وتذكير بما لاقاه الأنبياء والرسل والزعماء في كل أمّة والكل مكرهٌ. وللأسف إنه لم يمكنني أن أبعثها له فتخفّف عنه قليلًا الألم.

29 أبريل/ نيسان

اليوم كتبت الرسالة عدد 70 للوالد أجبته فيها عن رسالته عدد 53 ووعظته بالصبر والتمعّن في قصيدة أبي فراس:

أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبر

- بالأمس نظمت قصيدة في ذكرى المولد النبوي الشريف بعنوان المحمدية وهي من أحسن القصائد العصرية في مدح الرسول ﷺ وتشتمل على مائة وأربعة وخمسين بيتًا وهي ضمن الكناش الأول من مجموعة شِعر المنفى، وقد أمدّتني بسرور عظيم في هذه الأيام المولدية الشريفة.

30 أبريل/ نيسان

اليوم زارني حارس أهلي من رتبة كبران من قبيلة باكو، وهو مسلم يدعى باسم عبدالله، وتظهر عليه الأخلاق الطيّبة وقد قطع مراحل جنديّته قبل أن يتمّ ثلاث سنوات فهو مرشّح الآن لرتبة سرجان، وهذا الشيء غير متيسّر للحرّاس الآخرين الذين يقطعون العشرين سنة فأكثر وقد يصلون إلى ذلك المكان وقد يتقاعدون قبله ووظيفتهم ليست شيئًا كبيرًا، لكن هذا عنوان لأثر الإسلام في نفس المؤمن الجديد الإيمان ونتيجة الابتعاد عن شرب الخمر التي تردي زملاءه الآخرين فيرسبون دائمًا.

2 مايو/ أيار

اليوم عيد المولد النبوي الشريف وقد احتفلت به وحدي كالمعتاد، وخرجت في العشية مرتديًا بذلتي المغربية كإشهار ليوم العيد.

6 مايو/ أيار

اليوم كتبت الرسالة عدد 71 للوالد وقد أخبرته بنظمي القصيدة (المحمّدية).

8 مايو/ أيار

اليوم تسلّمت من الوالد كتابه عدد 54 أخبر فيه بتسلّمه كتاب عدد 60 وبتاريخ كتابه 3 أبريل/نيسان وقال في هذه الرسالة: ومن الله أستمدّ لي ولك العون وكفاية المهمّات. فيبدو لي أن أزمة مالية أصابت الوالد فساءني هذا الخاطر وتألّمت له جدًّا خصوصًا أنني لا وسيلة عندي لمعرفة الحال ولا لمساعدته بقدر الإمكان، وكل ما يسوؤني هو شماتة الأعداء ونكاية الخصوم، والوالد منذ عزل من وظيفته أصبح حليف الاضطرار لأن كل دخله هو ما يأتي من المستفتين وهؤلاء لا يؤدّون المطلوب، ولكن بحسب الظروف، فلما كنت هناك كنت أساعده بقدر ما أستطيع الحصول عليه من عمل علمي فكانت الحال تسير بحسب الإمكان، فلعلّ بعدي، وفَقْدَ معونتي من جهة، إلى شغل خاطره وقلّة اهتمامه بالاكتساب، مع الأزمة الخاصّة،

كوّن شيئًا سيّئًا من جهة أخرى وأرجو أن يكون هذا مجرد خاطر لا أصل له، والله سبحانه الكافي بمنّه.

- لم يعودوا لطبع الرسالة هذه المرة ولا رقمها كسابقتها - فلهم في كل يوم شأن.

9 مايو/ أيار

اليوم زرنا الطبيب بقصد الفحص الشهري، فأخبرته بالحال، بأن العضو الطبيعي دائمًا ممتلئ بشبه المني، فقال إن الأمر لا يهمّ كثيرًا، لأنه إنما ناشئ عن عدم النكاح منذ وقت طويل، وأن هذا الأثر كثيرًا ما يقع لرجال الرهبانية المسيحيين فقلت له: إنني أخشى أن يتولّد منه شبه مرض (للأنابيب) فقال: لا تفكّر في ذلك فالأمر بسيط - ثم سأله ماسا عن نسخة الشهادة من الشهر الماضي وأنها لم تصله فأعطى الممرض أمره بانتساخها له.

- من عجيب الأمر أنني في هذا الأسبوع نظمت قصيدة بعنوان (حديث محموم) تمثّلت فيها بقول أبي الطيب المتنبّي وقد كان مريضًا بالحمّى في مصر وأعيا الطبيب علاجه ففكّر أن مرضه من طول الجمام:

أما في طبه، إني جواد   أضر بجسمه طول الجمامِ

ففحص الطبيب اليوم دلّ على صدق هذا التخمين.

- كما أنني كنت قد قلت في قصيدة (إلى والدي) معتذرًا له:

أنت لي الوالد الذي لم يخن   عهدي ولا غرّه عليّ النضارُ

كم أب باع بالوظيف بنيه   فدهاهم من مكره إعسارُ

وأبت منك رقّة القلب والهمّة   حتى أصابك الإقتارُ

«فجاءت رسالة الوالد بعدها تقول: ومن الله أستمد لي ولكم العون وكفاية المهمّات ...».

12 مايو/ أيار

أخبرني ماسا بترقية عدّة ضباط عسكريين في المغرب في مراتبهم، من

بينهم ميلي الذي أصبح اليوم جنرالًا، وربما عيّن حاكمًا لناحية فاس، وقال لي: إنه صدر أمر بإدماج النواحي العسكرية والمدنية، بمعنى أنه لم يبق للعسكريين الاستقلال في المناطق التي كانت لهم، وأنا أعتبر أن هذا تطوّر مهمّ في إدارة الحماية المغربية وأعتبر أن العسكريين خسروا فيه، لأن معناه أن النواحي ستحكم بمقتضى السياسة التي ستكون دستورًا عامًّا والموظّفون جميعًا لا يبقى لهم حقّ الاستثناء بصفة كون المنطقة عسكرية يلزمها الحالة الخاصّة التي يفرضونها لها، وأرى أن هذا بمنزلة تصيير المغرب مدنيًّا بعد هذه المدّة العسكرية التي استمرّت نيّفًا وعشرين سنة لغير موجب، وأن إطلاق الدمج إنمّا هو تسويغ أمام العسكريين الذين يصعب عليهم قبول الأمر، وكذلك هذه الترقيات السريعة وحركتها هي بمنزلة الجائزة التي تعطى عند انتهاء المراحل، وقد جرى أيضًا دمج إدارات الأمن العامّ والمراقبات المدنية والأمور الأهلية تحت عنوان إدارة الشؤون السياسية وهو عمل من عهد مسيو بونسو طبقًا للمطالب المغربية بإدماج بعض الإدارات ببعضها، وأهم ما فيه بالنسبة إلينا التقليل والقيمة التي كانت للأمور الأهلية التي كانت تسيطر على الجميع، فقد أصبحت فرعًا تحت رئيسين من غيرها، وشذّب لها النفوذ الخاصّ الذي كان للنواحي العسكرية بمشاركة المدنيين، فهو على أيّ حال إصلاح إداري قريب من روح البرنامج الوطني، لكنّه ينقصه إحداث وزارة الداخلية إلى جانب هذه الإدارة السياسية، حتى لا تبقى السلطة خاصّة بيد الحماية دون الحكومة المخزنية، وهم يعتبرون أن المكلّف بهذه الوزارة هو الصدر الأعظم، أما ما يرمي إليه القوم من توحيد العمل الإداري ودفع الخصومات التي كانت تقع بينهم، فهذا ما لا أظنّه سيندفع، لأن في الإدارة الشريفية ما يبعث على الخصام، خصوصًا في اختصاصات الصدارة التي يرجع إليها أمر القوّاد والباشوات والمحتسبين وإلى مراقبتها أمر المندوبيّات والمراقبات المدنية بالنسبة للبوادي، وأيضًا فإنه ما دامت الأمور الأهلية مكلّفة بالاستعلامات أي ما دام الأمر مسندًا إلى الإدارة الثانية كما يقولون، فإن تلك الخصومات لا تنتهي، والفوضى الإدارية لا تزول نهائيًّا، ولكنّ الأمر على أيّ حال يشتمل على التخفيف من ضرر هذه الإدارة فلذلك

قلت: إن التقليل من قيمتها أهمّ ما في هذا الإصلاح وأنا لا يمكنني أن أعلّق كثيرًا لأنني لا أعرف ماذا جرى تمامًا، ولا أعرف هل وقع تغيير مثل هذا في المحاكم المخزنية ومندوبياتها أم لا وسنرى...

13 مايو/أيار

اليوم كتبت الرسالة عدد 72 أجبت فيها الوالد عن كتابه عدد 54.

16 مايو/أيار

اليوم تسلّمت كتابين من الوالد عددَيْ 56 ـ 55 وبتاريخ 12 ـ 20 أبريل/نيسان وقد قال في الأول إنه لم يصله منّي كتاب من لدن عدد 60 المؤرّخ بـ 18 فبراير/شباط أي مضى شهر وأربعة وعشرون يومًا وهو لم يتسلّم منّي كتابًا، مع أنه يلزم أن تصله كتبي كل أسبوع لأنني أكتب له كذلك.

ومهما طالت فترة الطريق فإنها تتلاحق بالنسبة إلى التسليم، ويظهر أثر البعد في تواريخها فقط، بدون شك إنهم يرمون إلى إقلاق النفس الحزينة وتعذيبها، لأن هذه الرسائل ذات المعاني المكرّرة والتي لا تتجاوز العشرين سطرًا، لا تحتاج إلى أكثر من بضع دقائق للترجمة والمراقبة، فالأمر لله وهو المسؤول سبحانه أن يجازيهم بمثل صنيعهم فإنه لو وكل لي أن أفعل بهم مثل هذا ما وجدت الإرادة الكافية لذلك لأن هذا صنيع النفس الإسرائيلية وحدها.

16 مايو/أيار

اليوم موعد الذكرى التاسعة لصدور الظهير البربري الذي هو أكبر مثال للسياسة التبشيرية والعنصرية في المغرب العزيز، ولست أدري ماذا جرى في العالم الإسلامي والمغربي، ولكن لا أشكّ في أنه يمرّ على الجميع بحزن وقلق واضطراب نفسي عظيم، ولا أشكّ في أن الشرق سيعلن احتجاجه أيضًا بواسطة الجمعيات الإسلامية وما إليها من الهيئات. أما المغاربة فلن يقدروا في ظلّ هذا الكابوس الظالم الخانق أن يعلنوا صوتهم، ولكنهم مع ذلك يعلنون بهيئاتهم ومناظرهم الحزينة وصيامهم وابتهالهم، وربما كان في

ذلك ممّا لا ينتظر في هذه السنة، أما أنا فقد صمت لله اليوم لأشعر بالألم وأنا أسجّل في هذه الوريقات احتجاجي واستنكاري الدائم المستمر بأقوى صوت وأشدّ بيان لهذه المواظبة في موقف السياسة العنصرية والتنصيرية للمغاربة، وأوصي من يقف عليه يومًا ما، أن يذيع هذا الاحتجاج ويعلنه ويشهد بثباتي في موقفي ضد السياسة البربرية، كما أعهد إليه وإلى جميع المغاربة ألّا يألوا جهدًا في مقاومة هذه السياسة التي هي أصل كل بلاء حلّ بالمغرب، وأصرّح للفرنسيين تصريح نصوح مخلص، بأنه ما دامت سياستهم مرتكزة على المبادئ التي يمثّلها الظهير البربري، فلا يمكن أي تفاهم أو تعاون مع المغاربة ومع المسلمين، وأن ما رأوه من صور للمقاومة هو شيء بسيط بالنسبة إلى ما سيرونه، وإلى ما سيكون من أثر للسياسة البربرية ومظاهرها في المغرب، وأن العالم الإسلامي الذي أخذ يشعر بحقائق النوايا الفرنسية ويعرف ما يقصد منها، لا بدّ من أن يحتشد يومًا من الأيام طال الزمان أو قرب للاستماتة في محاربة المتهجّمين على دينه وعقيدته وخصوصًا في المغرب وفلسطين.

أكتب هذا وأنا لا أدري هل سأعيش لعام مقبل أم لا، لأن الأعمار بيد الله، ولكنني أدري متيقّنًا ومؤمنًا بأن ما قلته سيكون، وأن الخسران لخصومنا والفوز والنصر لنا إن شاء الله.

16 مايو/ أيار أيضًا

اليوم استقدم مدبّر ميمونكو الفلّاحين الأهالي ومعهم محصولهم من البطاطس، وقد وزّعه على البيض الموجودين هنا دون أن يرسل إليّ كالمعتاد في السنة الماضية، وقد ظهرت لي في هذه الأيام مظاهر الاحتكار الدنيء ما لم أكن أتصوّره يصدر من هؤلاء القوم، فأنا في هذه القرية فيما يرجع للماديات أنفق كالآخرين وأشتري من السوق، ولكن ما ظنّك إذا كان المحصول الفلاحي يجمع بشكل خاص ويقتسمه الحاكم بنفسه دون أن يرسله إلى السوق، ولا أن يوزّعه على الجميع؟ وليس هذا في البطاطس فقط، بل في كل شيء، فاللحم هنا لا يوجد إلا من الصيد،

والصيادون يحصلون غالبًا على خنازير الغابة، وبما أنني مسلم فقد يمرّ الأسبوع والأسبوعان لا آكل اللحم فيهما إلا مرّة، إذا امتنعت عن المرقدات التي تضر بالجسم، فإذا بحثت عن الخضر فحظّي منها حظّ البطاطس، وفي الوقت نفسه يجلب للسوق السمك وطباخي واقف يشتري من الصياد، ويدفع للمكلّف بالوزن وهو كاتب رسمي بإدارة العمّال فيقول له: لا حتى أبعث إلى الحكّام الكبار وما يفضل بعد ذلك يمكن أن يؤخذ، فالحكّام الكبار يسبقون بالبطاطس والسمك ولحم الخنزير. ثم إذا جاء لحم البقر الوحشي أو ما شابه ففي تقسيمه درجات، فالفايل والنبو لرئيس العمّال وخلفائه من بعده، والأذنان دائمًا لمدبّر القسم، والأرجل دائمًا لمعين رئيس العمّال. وهكذا لكلّ واحد من كبار الموظّفين شيء يخصّه دون سواه، فما فضل فللبيض الآخرين أولًا ثم للسّود وهكذا أيضًا في عملية التنظيف حول القرية، فقد حصدت حشائش الربيع في كل الجهات، حتى وصلوا إلى مقربة ثلاثة أمتار من منزلي ومنزل مدير المدرسة، وتركنا نحن وباقي من بعدنا، إلى المداشر التي يكلّف سكانها حصدها بأنفسهم، وإصلاح المنزل المكترى منهم لم يفعلوا فيه شيئًا رغم المطالبات الصارخة، والحقيقة أنه ليس للقوم ضمير يستحي، بل هم عبّاد عصا، وقد لاحظت أن سائر المرات التي كانوا يقتطعون فيها حشائش الربيع قرب منزلي، كان ذلك بسبب أن حاكمًا كبيرًا يأتي للقرية وربما زارني، كتبت هذا كلّه بقصد التسجيل، مع أنني لا أهتمّ بهذه المسائل المادية، ولكن لنعلم مقدار الاحتكار الدنيء وأثره في نفوس أصحابه، وقد نظمت قصيدة في هذا الأمر بعنوان: حِكَم تجدها في مجموعة روض الملك.

17 مايو/أيار

منذ ما يقرب من الشهر وهم يتحدّثون عن قدوم وفد سينمائي يأخذ الممرّ الذي اجتاز منه براسا فاتح الغابون، وهذا الشريط تاريخي ينظم برعاية الحكومة، ومنذ تلك المدّة والقوم لا شغل لهم هنا إلا التحضير لمقابلة هؤلاء الأفراد وكل يوم يقولون إنهم سيصلون، وقد ذهب رئيس العمّال ثلاث مرات لمقابلتهم، ويرجع، وفي المرة الرابعة بقي مقيمًا هناك،

وكل يوم يرسل برقيات خاصّة، أما مدبّر القسم، فشغله استقدام الأهالي من كل جهة لتنظيف القرية على غير عادة، واستقدام الأهالي من كل المداشر للاحتفاء برقصاتهم وشطحاتهم، وقد وصلوا منذ الأمس وهم مقيمون هنا ينتظرون، دون أن يقدّم لهم حتى شيء من المطاعم للضيافة، وجاء مديرو فروع العمّال وهم مقيمون هنا تاركين أشغالهم، فهكذا يكون التدبير والقيام بالشؤون، ولكن ما ظنّك ببلاد ليست فيها صحافة ولا صحافيون ولا شعب ولا من يعينهم.

18 مايو/ أيار

اليوم علمت أن الاحتكار أخذ يصيب حتى الموظّفين الآخرين، وأن السرجان رئيس الممرّضين احتجّ على عدم إرسال اللحم إليه، وأجرى المدبّر البحث في ذلك،وأن ماسا أعطى لطبّاخه ورقة جواز يقول فيها: دعوه يدخل إلى السوق - وهذا ما يدلّك على أن الخطب يعمّ على تفاوت فيه، وأقبحه يصل إلى مغربي مبعد.

20 مايو/ أيار

اليوم استعدّ القوم لاستقبال وفد السينما، لكنهم لم يصلوا، وما زال رئيس العمّال غائبًا لاستقبالهم، وما زال من جاء إلى هنا من البيض والسود في انتظارهم.

اليوم كتبت رسالة للوالد عدد 73 أجبته فيها عن رسالتَيه عدد 55 ـ 56 وقد كتبتها على أسلوب البلغاء الأقدمين كالصاحب وابن العميد، وأعربت فيها عن الشوق والأمل في اللقاء.

21 مايو/ أيار

اليوم سمعت من الأهالي الذين وردوا مع المركبة بانكانيا، أن وفد السينما لما كان في ناحية نهر الكوي، وبدأ يلتقط صور المناظر جعل يلزم النسوة بإزالة مآزرهن ورقصهن أمام الشاشة عراة كما خلقهن الله، وألزمهن بذلك، فثارت حمية بعض الأزواج على نسائهن وخصوصًا من قبيلة باموا،

وندونبي وناكوطي، فتشاجروا مع القوم وربما تشابكوا احتجاجًا على هذا العمل، وأن الأمر اضطر مسيو أوكلير، رئيس عمّالنا أن يذهب إلى أنجلي صحبة رئيس عمّال لوكو، بقصد التهدئة، هذا ما سمعت ولا أدري تفاصيل الخبر، ولا شك في أن هؤلاء القادمين لا يستطيعون اختلاق مثل هذا أو الحديث به دون أن يسمعوه، وإذا كان صحيحًا فهو من العار الكبير الذي لا معنى له، فإن ذكرى فتح ينبغي أن تقرن بيسير من المفرحات، التي تجعل المفتوحين على الأقل يشعرون بغبطة وانتقال من حالة قبيحة إلى حسنة، كالإنعام ببعض الحقوق أو بعض الدراهم على الأقلّ.

لكنّ الفكرة الاستعمارية دائمًا تتّجه إلى الإغراب في الدعاية، وقصد القوم فيما يظهر، أن يأخذوا صورة القوم عراة، ثم بالمآزر، ثم بالفساتين العصرية، ليظهروا المراحل التي تطوّر فيها الإنسان الأسود في ظل الاحتلال الأبيض. وهذا وإن كان معه شيء من الحقيقة، يعترف بها أهالي هذه الأرض أنفسهم، فإن التذكير بالحالة السيئة لمن خرج منها خصوصًا إذا كان حديث العهد يجرح العواطف ويؤلم النفس، هذا بالكلام فكيف بالتبذّل إلى هذا الحدّ، خصوصًا أن الأمر برعاية الحكومة، وبمساعدة البعثات المسيحية، وحتى لو كان لا بد من هذه المناظر، فكان يمكن للقوم أن يكتروا بعض النسوة ممّن لا أزواج لهن، ويعرضوهن وحدهنّ في خلاء فإنهم لا يعدمون وجودهن، هنا كما في كلّ العالم، غير أن الاحتكار للأهلين وعواطفهم يصل إلى درجة خداع القوم أنفسهم، فيعتقدون دائمًا أن ليس هنالك من يحسّ ولا من يتألّم، مع أن مثل هذه الأمور يتألّم منها البسطاء أكثر من غيرهم، فواهًا للضعفاء من الأقوياء.

22 مايو/أيار

قال لي ماسا إن وفد السينما وصل إلى فوامو. والسبب في تأخّره هو مرض زوجة رئيسه، ولعلّ موجب إخباره بهذا، الاحتراز في كتمان الخبر الذي سمعته، أما أنا فقد تجاهلت الأمر، وإنه ليسرّني أن تكون في هؤلاء السّود نفس تتحرك سواء عرفتها أم لم أعرفها.

26 مايو/ أيار

صباح اليوم وصل الوفد السينمائي، وهو يشتمل على أحد عشر فردًا، ثم ثاني عشر آخر، هو ولد براسا، الذي تقام له الذكرى، وقد احتشد جميع البيض والسود لاستقبالهم، ثم نزلوا بدار شركة لاشاشو، التي - حسبما قيل لي - تكلفت بتموينهم مدة إقامتهم في أفريقيا الاستوائية، وإنها تعهدت بإعطائهم مبلغ 20.000 فرنك على حساب الحكومة. واليوم احتشد السود كلّ مع قبيلته، يرقصون ويمرحون حلقًا حلقًا، أمام إدارة مدبّر القسم، وقد ذهبت لرؤية هذه المناظر، فإذا أغربها رقص السنيغاليين على (بولتي) والمسانكو على (موكوني) وهما كغيرهما يقومان على أساس ديانة وثنية سوداء والأولون يرقصون على ضربات (الكبر وصفي) يتّخذونه في قرن المهاة ويلطّخون أجسامهم بعقاقير حمراء ويحملون عدة أذناب لحيوانات مختلفة وريش طيور وما أشبه ذلك، ويدورون في الحلقة وهم يسيرون متخالفين راقصين رجالًا ونساء على تقاسيم حماسية بأرجلهم تدور معها أستاههم وأجسادهم وينطقون بكلمات معناها التقديس لبويبتي، أما الآخرون فلهم حلقة مستديرة من رجال ونساء يرقصون على تقاسيم معتادة ووسطهم شخص قد تزيا بالملابس المسخرة، وهو (موكوبي) ويأخذ بيديه سكّينين كبيرين يرقص بهما رقصات رياضية ثم يسقط كأنه قد مات ثم لا يزال الرؤساء يباركون عليه ويترجّونه، حتى يقوم من جديد، فيرقص ثانيًا وهكذا دواليك.

وهناك رقصات أخرى ليست لها قيمة كبيرة، وسأبحث عن معنى الرموز لتسجيلها في كناش الأوراق كفائدة لمعرفة هذه العقيدة الوثنية السوداء.

27 مايو/ أيار

اليوم كتبت الرسالة عدد 74 للوالد، وهي عادية غير أنها بأسلوب الرسالة السابقة ذاته.

29 مايو/ أيار

اليوم كالأمس ذهب جميع البيض والسود إلى محلّات تبعد عن القرية بضعة كيلومترات في الخلاء ليأخذ السينمائيون مناظر الراقصين والراقصات،

وقد اقتصروا على تسجيل الحالة القديمة ولم يسجّلوا السود بملابسهم الجديدة التي اقتبسوها من الأوروبيين، بدعوى أن الشريط تاريخي، نعم سجّلوا منظر تلامذة المدرسة وهم عراة أيضًا، فكأن المدرسة ليست حديثة.

30 مايو/ أيار

اليوم أقام رئيس الوفد السينمائي مأدبة دعا إليها الموظّفين، أما المدبّرية فلم تقم ولا أفرادها ضيافة للقادمين بحسب المعتاد، وعلى الرغم من أن الموضوع حفل ذكرى براسا وفتح الغابون، كما يقولون، فإنه لم يحصل لقاء أدبي ولا خطب، وإنما يفعلون مثل هذا في المغرب الذي يأبون إلّا جرح عواطف أبنائه، بتذكيرهم بالغلبة والفتح، واختلاق الدعايات الكاذبة المغرضة...

3 يونيو/ حزيران

اليوم كتبت الرسالة عدد 75 للوالد وليس فيها شيء جديد، وأسلوبها عصري عادي.

4 يونيو/ حزيران

اليوم تسلّمت من الوالد ثلاثة مكاتيب من عدد 57 ـ 59 وبتواريخ 1 مايو/أيار 11 ـ 12 هنأ في الأولى بعيد المولد وأجاب عن كتاب عدد 62 وأخبر بسلامة الجميع، وفي الثاني باستلامه كتابَي عدد 64 ـ 65 وترقّبه غيرهما، ولم يتحدّث عن كتاب عدد 63 فلعلّه لم يصل وفي الثالث يخبر عن قلقه في انتظار المكاتيب ويبدو على هذه الرسائل الثلاث وخصوصًا الأخيرتين أثر الانزعاج الكبير الحاصل للوالد، حتى إن حروفهما مرتعشة، وهما مختصران إلى درجة كبيرة ...

أخبرني بعضهم أنه اطّلع على مقال يخبر بحدوث أزمة سياسية بين فرنسا وسوريا، سببها أن الأولى انتهزت فرصة المخاوف الدولية القائمة وجعلت تحدث عدة صعوبات في تنفيذ العقد السوري الفرنسي لسنة 1930م ونشأ[1].

(1) هنا بتر في المذكرات حيث ضاعت الصفحة الأخيرة.

القسم الثالث

من نقط مذكرة المنفى

ابتداء من 6 يونيو/ حزيران 1939م

الحمد لله والصلاة على رسول الله والمجد للمغرب

6 يونيو/ حزيران

ينتظرون وصول مفتش استعماري إلى هذه القرية، وقد ذهب لاستقباله في سيندارا، رئيس العمّال، والقوم مهتمون لأمره، وتبدو عليهم مخاوف يحسبون لها حسابات.

8 يونيو/ حزيران

في العشية وصل المفتّش المذكور صحبة رئيس العمّال.

9 يونيو/ حزيران

بالأمس علمت أنه ورد تلغراف من وكيل الدولة يستعجلهم في إخراج الحارس نكوما الذي كان قد سجن في قضية سرقة صندوق القبض المالي وحكم عليه هنا بسنة، أمضى منها أربعة أشهر، وقالوا إنه كان قد ورد تلغراف بمثل هذا الأمر ولكنه أهمل، فهذا الأخير يستعجلهم في ذلك، لأن القضية لم تكن جرت على عادتها ولا بمقتضى قواعدها، وقد أطلق الحارس فعلًا.

في العشية لقيني م. بونيفو رئيس الممرّضين في المستشفى، فقال لي إنه مرّ بإزاء داري فإذا به يعثر على حنش عديم النظير في غلظ يديه مجتمعتين، وكاد يلسعه لولا أنه عجّل بالفرار وقال: إنني لا أستطيع أن أعود للمرور إزاء

داركم، فأوضحت له حالة المنزل وما فيه من أحناش فاستغرب كثيرًا، وقال إن هؤلاء القوم ليس لهم من الإنسانية شيء.. وهذا الحنش الكبير لطالما مر إزاء منزلي والتهم الدجاج وصغارها ولكنّه يستتر في الأجمة الربيعية التي تحيط بالمنزل وتكون شبه غابة عمياء، والقوم أعمى منها، لأن الذي يؤذى بها مغربي.. فليشهد التاريخ وليسجّل أعمال فرنسا المتمدّنة ذات الإنسانية.

ـ علمت أن حضرة المفتّش ذهب مرارًا هو الآخر للصيد في الناحية.

10 يونيو/ حزيران

قدم إلى هنا جميع رؤساء المداشر وبعض من الحكام الجهويين، لمقابلة المفتّش .

ـ اليوم كتبت الرسالة عدد 76 للوالد أجبته فيها عن رسائله الثلاث عدد 57 ـ 59 وقد استفهمته عن حالته الصحية، وعن رسالتي عدد 63.

ـ بعثت الرسالة إلى ماسا مع خادمي فسأله: ألم يزركم البيض اليوم؟

فلعلّهم يخشون زيارة هذا المفتّش لي، وكان ماسا بالأمس قال لي: إنه سيذهب للسلام عليه وإن لم يكن موظّفًا معه، طبقًا للأدب اللازم.

ـ في العشية خرجت للتفسّح المعتاد. ولما وصلت إلى الشاطئ، وجدت ماسا يستقبل شخصًا فرنسيًا شابًّا جاء من براسافيل ومعه عدة حوائج. وصحبته حارس، ومكحلتان للصيد، وقد نقلوا حوائجه إلى دار المسافر.

ـ مررت على دار المفتّش فإذا به جالس قرب الباب على كرسي، وبجانبه رئيس القسم على كرسي آخر وعدد من رؤساء الأهالي وأعيانهم جالسون أمامهم على الأرض، يقدّمون شكاواهم أو طلباتهم.

ـ وقد سرّني هذا المظهر من جهة استماع ما يقولون، وساءني من إهانتهم حتى في مثل هذا الموقف.

ـ علمت من بعض من حضر هناك، أن الموقف كان هزليًا للغاية، وعبارة عن لا شيء وأن المطالب كانت ما يأتي:

ـ طلب الرئيس أن يمنع الناس من الذهاب من هنا إلى لامبارني وما بعدها وأن يلزم الذاهبون بالرجوع.

أجابه المفتّش بأنّهم يذهبون للبحث عن الشغل، وإذا تمّت الطريق فستوضع بالطبع عدة مداشر متدرّجة فتكون المسافة كشيء واحد كأنهم بجانبهم ..

ـ طلب آخر، منع سكان داندي من القدوم إلى هنا، لأنهم يضيّقون على أهالي القرية.

ـ أجابه بأنهم يأتون لالتماس المعاش ..

ـ اشتكى واحد من أن البضائع غالية..

ـ أجابه بأن السلعة اليوم غالية في أوروبا...

ـ سأل صياد رفع ثمن اللحم لأنه بفرنكين ونصف للكيلو.

ـ أجابه بالقبول برفع ثمن اللحم لأربع فرنكات...

وكان الحديث كلّه من هذا القبيل.

ـ لا شك في أن هذه المطالب حضرت بواسطة المديرية، واتّهم المطلب الأول بأن المقصود منه حصر أهالي الناحية حتى لا يجدوا منزحًا عن الذهاب للخدمة في إيتيكا لفائدة الرأسمالية البلجيكية التي تستغل المعدن هناك، وفعلًا كان المدبّر سابقًا يمنع السكان ما أمكنه من الذهاب إلى أسفل الداخلية، في حين يسمح لهم بالذهاب إلى موطن إيتيكا من غير حاجة إلى رخصة... ولو أرادوا خيرًا لأزالوا ورقة (ليسي باسّي) في الداخلية فيمكن للسكان أن يندمجوا، لكنهم ينشطون الروح القبلية أو الجنسية كما يقولون هنا .. حتى وصلت الحال إلى طلب منع سكان داندي الذين هم قبيلة واحدة مع البابونوا أهل هذا المركز.

ـ أما مسألة غلاء السعر فما طلبوه عبثًا، لكن الأمر أن التجّار يضاعفون الربح أكثر من مائة في المائة، ولو أراد البحث حقيقة، لاعتبر مسألة الصادر

والوارد وفكر أولًا فيما يرفع حالة المستهلك ومقدرته على الشراء، كما يجب أن ينظر إلى مقدار ثمن السلعة في الديوان، ويضع حدًّا عاديًّا كخمسين أو ستين في المائة للربح يعطي للتجار الحرية ضمنًا، مع اعتبار حساباتهم طبقًا لدفاتر الحساب الرسمية... مع الاهتمام بأمر المحصول الفلّاحي الأهلي وثمن الزيت إلى غير ذلك مما يلزم في هذا الموضوع.

ـ أما مسألة اللحم فقد أصاب فيها، ولكن يجب وضع سعر مختلف لأنواع اللحم الذي يستبد بأطيبه المدبّرون في حين أنهم يؤدّون ثمنه مساويًا لغيره، كما يجب السماح ببيع أجزاء الكيلو لمن طلبها فليس كل الناس وبالأخص الأهالي يرغبون في شراء الكيلو دائمًا ويقدرون عليه.

ـ علمت أن من جملة المطالب: جلب النساء للجهة لأن عدد السكان من الرجال يبلغ أربعة آلاف في حين أن عدد النساء لا يتجاوز الألف فكان جواب المفتّش تبسُّمًا ووعدًا بالنظر.

ـ ومنها: أن المدبّرية لا تسمح برخص المكاحل لكلّ الناس، بل تعطيها للبعض دون بعض ـ فأجاب بأن هٰذه قضية تمكّنهم المخابرة فيها مع المدبّرية نفسها.

ـ تعليق: أما مسألة المكاحل، فهي مسألة بسيطة، ولكن لا معنى للإحالة فيها على المدبّرية، وهم يشتكون من صنعها، فالواجب الفصل بتأييدها أو تعقّب عملها، أو على الأقل التوصية بالتسامح في الرخص ما أمكن، ولو أمامهم ..

ـ مسألة النساء هي وإن وضعت في شكل يستوجب الضحك، وبحسب ما تسمح به قريحة شخص من درجة رؤساء الأهالي السود، فهي مسألة اجتماعية لها قيمتها، إذ هي تضع هنا عكس المشكلة الاجتماعية القائمة في أوروبا، وخصوصًا في فرنسا، فإن عدد النساء هناك أضعاف عدد الرجال، وقد بحث الاجتماعيون الأوروبيون المسألة، ورأوا من أسبابها كثرة الحروب التي يفنى فيها الرجال، والشغل في المحلّة والأمراض التناسلية التي يتعرّض لها العزاب وقرروا لكلّ ما يعالجه.

وأرى أن أسباب قلّة النساء هنا، راجع للأمراض التي يصبن بها من بغائهن المتواصل والتي لا يعالجنها، وأيضًا أن النساء هنا يكلّفن دائمًا بأشدّ الأشغال الفلاحية في حين أن الرجال يربّون الأطفال في الدشرة، وثالثًا أن التقاليد الوثنية تمنعهن من أكل كثير من الأشياء التي يستبدّ بها الرجل دونهن، كاللحوم الإنسية كلّها، ورابعًا، أنهن كثيرًا ما يمتن من النفاس بسبب عدم الحماية وعدم ثقتهن بالطبيب العصري.

وبصفة عامّة فليس للطفولة ما يحميها، وخصوصًا البنات، فقد كانت العادة أن البنت تبقى عريانة على أصل خلقتها ما دامت لم تتزوج، وأيضًا فإن البنت كثيرًا ما تفترع وهي غير مطيقة لوحشية القوم.

- وهنالك نقطة أخرى أسجّلها وإن لم أكن على يقين من رأي الطبّ العصري فيها: ذلك أن نبيّنا ﷺ قال: إذا سبق مني المرأة مني الرجل (بنت) وإذا سبق مني الرجل مني المرأة (ذكر) ومن المعلوم أن النبي ﷺ لم يتكلّم في هذا الأمر عن ربّه، لأن المسألة ليست من جنس ما بعث له وكلّف بتبليغه فهي من شؤون الدنيا والعلم التي قال فيها: (أنتم أعلم بأمور دنياكم) فكلامه عليه الصلاة والسلام فيها بناء على ملاحظته وعلى الرأي العامّ الذي كان شائعًا عند العرب، ولكن لا شك في أن لملاحظته، وهو ذو الرأي الصائب، قيمتها، فإذا صحّ ذلك من الوجهة العلمية الحديثة فإنني ألاحظ هنا: أن النساء السود ذوات قوة في الجماع عديمة النظير في الغالب، وقد سمعت أنهن تطول مدة جماعهن لأربعين دقيقة فأكثر، وأن المرأة بصفة عامّة هي المكلّفة بمباشرة الرجل، فلا شك في أنه يتأخّر إنزالها في الغالب عن الرجل، فلذلك تكثر ولادتها للذكور فيما أرى وقد لاحظت هذا خصوصًا في الهجناء الذين يتولّدون من سفاح البيض والسود فرأيت أكثرهم ذكورًا، وسمعت أن النساء اشتكين من ضعف أغلب البيض وسرعة إنزالهم، ويمدحن بعض البيض بقوّتهم ورأيت صدفة أن هذا الأبيض ولد بنتًا هجينة وهو: م. دسياني الذي كان متصرّفًا ماليًّا هنا، وذهب وتركها وهي الآن في المدرسة مع إخوانها السود.

ـ أنا أعرف أن إنزال المرأة لا يحتاج إليه في تكوين الولد، لكنّ هذه نقطة معترف بها في الشِّعر العربي وخصوصًا الجاهلي كثيرًا، فلذلك سجّلتها للبحث عن قيمتها.

وأيًّا كان، فهي إذا كانت طبيعية في القوم، ليس للمفتش دور في علاجها، ولكنّ النقط الأولى وخصوصًا حماية المرأة من أمراض البغاء والنفاس، وحماية الطفولة بصفة عامّة يجب الاهتمام بها وهي مسائل جدّية في حفظ هذا النوع البشري المتكوّن في هذه الأرض، والمحكوم بالإنسان المتمدن اليوم.

ـ وأيضًا يظهر لي أن المرأة السوداء اليوم لا تلد كثيرًا، بسبب إصابتها دائمًا بداء السيلان. واضطرارها أمام الطبيب من جهة، وأمام البيض الذين يباغونها، إلى الغسل المستمر بعقاقير (بيرماكان) ونحوها، وهذه كثيرًا ما تسدّ فم رحم المرأة إذا أكثرت استعمالها، أو تضيّقه إلى درجة يصعب على البويضات اختطاف جرثومة الرجل، فأول ما يجب الاهتمام به، تقليل البغاء المتواصل الموجود هنا إلخ ...

ـ علمت أن بعض الشبّان السود قدّموا مطالب عامّة مكتوبة، منها رسالة قدّمها م. سيمون بائع بضائع بدكان شركة لاشاشو - وقد تضمّن تقريره نقطًا علمت منها:

مسألة التعليم، اشتكى من ضعفه وقلّة الاهتمام به، وقال إنه لأول مرة قدم تلاميذ للشهادة الابتدائية هنا في مويلا هذه السنة بسبب م. بيكي مدير المدرسة، وطلب فتح عدة مدارس وفروع تعليم ثانوي وعالٍ.

ـ اشتكى من معاملة البيض للسود وسبّهم وضربهم، وخصوصًا من كلمة (نيغر) التي يغدقونها على الأهالي بكلّ مناسبة.

ـ طلب الاهتمام بمسألة العملة وحمايتهم وتطبيق ما أمكن من النُّظم الاجتماعية عليهم.

اشتكى من حالة موظّفي الشركات والدور التجارية، وعدم إعطائهم ضمانة البقاء في العمل وتعريضهم للطرد بمختلف المناسبات.

وكتب أيضًا م جان غارو وهو عمّ سيمون المذكور وتويجر صغير رسالة اشتكى فيها من كبار التجّار الذين لا يكتفون بالاتجار بالجملة ويزاحمون الصغار في التفصيل، وخصوصًا بعض الحمّالين للقبائل لبيع ما يقوم ببيعه صغار التجّار وطلب توقيفهم عن ذلك.

- وعلمت أيضًا أن م. جوزيف ماسانيو كتب أيضًا رسالة أخرى لا أدري ما طلبه فيها.

- هذه مطالب جديرة بالاعتبار والإنصاف، وهي تدلّ على ابتداء تطوُّر في عقلية الشبّان السود فأنجح الله مسعاهم.

- من جملة ما اشتكى منه سيمون في تقريره عدم اهتمام المدبّرية بحالة مويلا وتحضيرها مع أنه مضى عليها ربع قرن، وقال: إن قرية دوليزي التي لم تخلق إلا منذ عام 1932 هي أحسن وأتقن نظامًا ونظافة من هذه القرية التي هي مركز عمّال لانكوني.

- علمت أن م. بيكي مدير المدرسة قدم تقريرًا خاصًا هو الآخر فيما يرجع لوظيفته ولست أدري مضمونه.

12 يونيو/ حزيران

اليوم سافر المفتّش صحبة الطبيب الكولونيل بصفته كاتبًا له،ومدبّر سيمونكو ماريا، إلى الطواف في إيتيكا وميمونكو وغيرها من العمّال وسيرجعون إلى هنا بعد انتهاء مهمّتهم.

- اليوم ذهبت لزيارة ماسا فإذا بي أجد المنزل مقفلًا وقد ترك البطاقة الآتية: الحمد لله

للمسيو علّال الفاسي السلام عليك، وبعد، يجب علينا أن نذهب اليوم إلى قرية قريبة، وسنستقبلك غدًا إن شاء الله والسلام.

أ. ماسا 12 يونيو/ حزيران 1939

وترجمة الكلام: فقد لزم علينا أن نذهب إلى دشرة قريبة، وسنقابلك غدًا..

ـ وقد عمّم خبر، على خدّامه، وأنت ترى كيف يخاطب دائمًا بالإفراد ويجمع نفسه بصفته متفرّسًا.

13 يونيو/ حزيران

علمت أن القوم عثروا على معدن آخر للذهب في أنجلي بمحل الكنيسة الكاثوليكية وسيستغله شخص فرنسي لشركة فرنسية تلافيًا لغلطة إيتيكا. وقال لي ماسا إن جميع الذهب يحفظ الآن في بنك فرنسا، وينتظرون اكتشاف معادن أخرى، وسيأخذون في البحث حتى في مويلا نفسها.

ـ علمت أن المفتّش لما كان في المدينة الحرّة قدِّمت له عدة شكاوى، لكنّ جميعها من العمّال الذين يشتغلون في الطريق، وقال لي خادمه إنه يحمل معه خرجين حديديين كبيرين ملؤهما رسائل الشكاوى التي اتصل بها مدة إقامته في نواحي أفريقيا الاستوائية الفرنسية.

ـ كتب المفتّش نسخًا من الرسائل المقدّمة له هنا مع إعدادها، وتلخيص ما تشتمل عليه وإسقاط أسماء الدافعين لها، وقد بعث ذلك لرئيس العمّال م. أوكلير وعدد هذه الرسائل سبع. لم أدر أسماء مقدّميها ولا ما تتضمّنه إلا ما سجّلت منه أولًا مما تلقّيته من أفواه مختلفة لا تعرف كيف تروى، وما أظنّها ذات قيمة.

14 يونيو/ حزيران

اليوم علمت من ماسا أنهم توصّلوا في المغرب للاتفاق مع أكثر دول عقد الخزيرات على إقفال الباب المفتوح، وأنه لم يبق متمسّكًا بذلك إلا بعض الدول، وقال: إنه سيقفل الباب في وجه السلع اليابانية. والتشيكوسلوفاكية كما أقفل هنا، ومع سؤالي له فقد أبى أن يعطيني تفصيلًا، فقلت له: مهما يكن هذا حسن، إذا وقع تطوير للصناعة المغربية وإلا فيكون ضررًا على ضعفاء المستهلكين ليس إلّا. فقال: إنهم بدأوا في تكوين عدة أنظمة لتطوير الصناعة وتدريب الصنّاع، كما أنهم أحدثوا عدة معارض متسلسلة في فاس ومكناس وغيرهما.

ـ لست متفائلًا جدًّا من هذا العمل، بل إنني لأخشى أن يكون الأمر إحلال البضائع الفرنسية محل البضائع اليابانية فقط، دون أي اهتمام بما يحفظ الإنتاج الوطني، لأنه إذا لم يكن للمغاربة من صنائعهم ما يصلح لهم في هذا العصر، وفرض عليهم أن يشتروا السلعة الأجنبية لإضعاف ما كانت عليه عند المرجعة، فالنتيجة أنهم سيخرجون من جيوبهم للأجانب حتى القسم الذي كانوا يحتفظون به، أي أن اليابان كان يأخذ شطرًا ويبقي شطرًا في حين أن الآخرين والحال هذه سيأخذون الشطرين معًا، فلا تتمّ المصلحة المغربية إلا بإيجاد صناعة قومية ومعامل وطنية وإنتاج مغربي، وحينئذٍ يكون هذا العمل حماية لها، ودفعًا لمزاحمتها، ويكون فيه رفع لقيمة المستهلك وقدرته على الشراء فلا يضرّه حينئذٍ غلاء السلع الداخلة، أمّا أن الأمر فيه مصلحة فرنسية ولرؤوس الأموال الاستعمارية فهذا ما لا شك فيه (وانظر ما كتبنا في دفتر المطالب المغربية، وفي تقرير الكتلة الخاصّ في المسألة المرفوع للمسيو يونسو).

ـ أما هنا فقد قرّروا منع البضائع اليابانية والتشيكوسلوفاكية أولًا عن الدخول، ولا يباح منها إلا بعض المسائل الثانوية، وبعد المخابرة مع الملحق السياسي الفرنسي في طوكيو.

ـ الشيء المهمّ، هو الموقف والظروف التي جعلت فيهما، فقد أصبحت لا أدري ما يتجدّد في البلاد المغربية ولا ما يرتكب بحقّ المواطنين أو ينزل بهم من خير فأسرّ له أو شرّ فأستاء منه اللهم اشهد واللهم رحماك.

17 يونيو/ حزيران

من النقط التي ترجع لأخلاق الفرنسيين أنهم أصدقاء فيما بينهم، ما دامت المصالح المادية لم تحضر، فإذا حضرت ولو قليلة فهم أعداء. ولهذا كثيرًا ما تقع هنا خصومات عظيمة، على الرغم من قلة العدد، وليلة الأمس جرى خلاف بين م. كانطو، المتصرّف المالي وم. كانْ موظّف الغاب. ذلك أن هذين الشخصين يسكنان منزلًا واحدًا، ومنذ اليوم الأول وكانطو وزوجه يحدثان مصاعب لجارهما حتى منعاه من الدخول للمغاسل المشتركة، وهو

أيضًا يعاكسهما في أمور أخرى، وبالأمس حاولا منع خدمه من النوم في المطبخ مع خدمهما، فتدخّل هو في الأمر، واشتدّ الجدال حتى همّ بالاعتداء عليهما لولا أنهما فرّا من المنزل، وذهبا ينامان في مركز القبض المالي، ومع ذلك بات هو الليل كلّه، ينقر عليهما الباب يطالب كانطو بالمبارزة، وفي ذلك اليوم لم يفتح المركز حيث تمارض موظّفها وزوجه من هلع الليل، وقد أمر رئيس العمّال ورئيس القسم م. كانْ بمغادرة المنزل إلى دار المسافر، ريثما يجهز منزله الذي يبنيه.

هذه حادثة من الحوادث العادية التي تقع كل يوم هنا، وهي كغيرها تدلّ على شدّة التنافر الموجود بين الفرنسيين ومحبّة كل منهم لنفسه وسوء الأدب في المعاشرة وعدم اعتبار فضل الجوار، حتى في الأرض النائية التي من عادة غيرهم أن يعيش متضامنًا فيها، فكانطو قد أساء إلى كانْ، وهو الآخر فيما يقال لم يرعَ حرمة المرأة، وربما تطلّع إليها كغيره، ثم بعد أن خرج ليس في الجالية الموجودة من دعاه للإقامة في منزله مدة انتظاره لكمال البناء، مع أن كلًّا منهم يملك بيوتًا زائدة على ما هو يحتاج إليه، وزيادة على أن هنالك بعض المنازل فارغة، لو شاء رئيس العمّال لكان له الحقّ في أن يعطي واحدة منها، وقضية المنازل هنا لها شأن كبير فيما بينهم، وليس منهم إلا من يحسد صاحبه على منزله، ويظنّ أنه مهضوم، وكذلك قضية المرأة، وهذه نقطة إذا أضيفت إلى أختها وأخواتها برهنت على مقدار الخلق الشخصي والقومي للفرنسيين والأوروبيين عمومًا.

اليوم كتبت الرسالة عدد 77 للوالد وقد استفهمته عن الحالة الصحية، كما أخبرته بدخول الفصل اليابس وتحية الشمال إلى الجنوب بهواء طيّب.

ـ علمت أن المفتّش حين كان هنا لقي في الطريق لاجودان وهو رئيس الحرس الأهلي والمكلّف من طرف المدبّرية بإرسالهم للسخرات الخاصّة وأنه سأله هل أن المدبّر كلّفه ببعث الحرس لجمع الناس لخدمة الطريق هنا أم ما زال، فقال له إنه ما زال، وسأله عن أشياء أخرى فخاف أن يجيبه ويقال إن المال لخدمة هذه الطريق كان قد خرج منذ زمن يفوق السنة وإن مهندس الطريق وصل إلى هنا منذ أمد، لكنّهم يتأخّرون في العمل ليلًا

ويضيّقون على شركة معدن الذهب في إيتيكا في العملة، أو يقلّوا سعرهم... والطريق هذه كان قد وقّع عقدها المفتّش نيكول حين زيارته للناحية في السنة الماضية، على أن تؤدّي الشركة النصف والحكومة النصف، والحاصل أنه منذ عُثر على معادن الذهب في الغابون والرأسمالية تعمل عملها، ولم يجد نصيبًا من الحرية أن يبحث فيجد الكثير من المؤامرات الستافيسكية، وقد قال لي ماسا: إن الحاكم العام ريست خرج من هذه الأرض السوداء وهو يملك أكثر من ثلاثة ملايين فرنك..

- اليوم لقيت بستانيًّا موظّفًا بإيتيكا: فسألته عن العمّال كم يخدمون في اليوم فقال إنهم يبتدئون من السادسة صباحًا إلى السادسة عشية وأنهم يأخذون أربعين فرنكًا في الشهر من المؤونة التي هي كمية من الأرز وكمية من الحوت المملح، وكان ماسا قد قال لي إن م. بول ريناب أراد أن يخصّص أرضًا زراعية للخضر ليقدّمها للعمّال، فسألت هذا البستاني فقال: نعم هناك أرض واسعة مملوءة بأحسن أنواع الخضر ولكنّها خاصّة بالبيض الموظّفين هناك، أما العمّال فليس لهم فيها نصيب.

وقال لي: إن عمّال المعدن يخدمون طبق العقد لمدة سنتين، وهناك أشغال أخرى يحتاج إليها كبناء بعض المنازل وما أشبه، وهذه يكلّم ريناب فيها مدبّر الناحية الذي يحشد له من شاء من الأهالي ليقوموا بها، مقابل خمسين فرنكًا في الشهر، وهم يسمّون ذلك إيسطاطور من أجل ريناب أي السخرة الرينانية.

19 يونيو/حزيران

اليوم ذهبت عند ماسا كالمعتاد فلم أجده وقيل لي: إنه ذهب صحبة طبّاخه إلى داندي.

- قيل لي إنه سيذهب قريبًا إلى المغرب، وقيل لي إنه ينتظر مجيء ضابط برتبة ليوطنان ليحلّ محلّه، وإن هذا الضابط الجديد ربما جاء بنظام أشد...

علمت أن م. ماسا سأل طبّاخي الجديد: هل يرى في منزلي من أحد

يأتي ليحكي له الأخبار من البيض أو السود، فأجابه بالحقيقة بأنه لم يرَ أحدًا، ووعده بإعطائه أجرة إذا بلّغ له ما يرى ...

ـ منذ أزيد من ستة أشهر والبوطنان يقيم من المراقبة الشديدة الشيء الكثير، ولكن لا يعثر على شيء، وأظنّ أن هذا جعلهم يستغربون الواقع ويظنّون أن هناك أشياء لم تصلهم، مع أن الحقيقة هي أن ليس هنالك أدنى شيء يبعثهم على البحث، لأن ليس هنا ميدان يمكن للإنسان معه عمل شيء ما، نعم إذا كان الضابط يلتزم بيته وقيل له إن فلانًا وقف مع فلان أو ذهب إلى الدكان الفلاني، فبالطبع إنه ولو كان هذا لمجرّد شراء أو بيع فستبقى النفوس قلقة، لأن الثقة غير موجودة مع أنه لا يدخل عندي من البشر أحد إلا إذا جاء لعرض بضاعة أهلية من البيض أو الدجاج أو أناناس أو ما أشبه، لكن هذا جزاء من يلزم الهدوء ولا يحدث المشاكل، فليفعلوا ما شاؤوا ففي سبيل المغرب يلذّ كل شيء.

24 يونيو/ حزيران

اليوم كتبت الرسالة عدد 78 للوالد وهي عادية.

25 يونيو/ حزيران

اليوم سافر مدبّر قسم مويلا جلواني لرخصته، وصحبه إلى داندي ماسا وبعض البيض الآخرين.

ـ في العشية رجع المفتّش من جولته ورجع ماسا صحبته في العربة.

26 يونيو/ حزيران

اليوم ذهبت كالعادة عند ماسا فوجدته ينظّم الملف المتعلّق بي، وقال لي اسمح لي قليلًا، فإنني أهيىء بعض الأمور للمفتّش ثم لما فرغ وخرجنا قال لي: إن المفتّش طلبه فودّعته عند باب داره وتركته يدخل عند المفتّش، ولا أدري ما جرى بينهما، كما أنني رأيته أثناء نظره في الملف يبحث بالخصوص حوالي منتهى الثلث الأول، فيظهر الاهتمام باطّلاعه على الرسائل التي وصلت في أبريل ومايو/نيسان وأيار من سنة 38 وهي بدء تغيير معاملتهم معي، وسنرى...

27 يونيو/ حزيران

في الصباح سافر المفتّش دون أن يعرّج على زيارتي أو طلبي، وأنا أيضًا لم أفكّر في زيارته لأن ليس لي كبير أمل في القوم في هذه الظروف وخصوصًا أن مرجعه لوزارة المستعمرات.

ذهبت لزيارة ماسا كالمعتاد فوجدته يكتب تقريرًا للإقامة في مقابلته للمفتّش ولا أدري ما فيه (طبعًا) نعم لما خرجت قال لي: إنه كان بالأمس عند المفتّش، وأثنى على كاتبه الكولونيل الطبيب بأنه يبتسم ويتكلّم بنشاط، بخلاف المفتّش فإنه لا يضحك بل دائم العبوسة، فقلت له: ربما كانت وظيفته تقضي عليه بالجد، فقال لي كم رأيت من جنرالات يجدّون وهم يضحكون وإنما المسألة ترجع للخلق... وبينما هو يتكلّم إذا بالطبيب كارو يقف فسلّم علينا وقال له بالفرنسية: «إنه رأى أن التقرير الموجّه له غير تامّ» والضمير طبعًا يعود على المفتّش والتقرير الطبّي متعلّق بي قطعًا، فقال ماسا: إنه أحمق، ثم استدار بكلّيته وتكلّم جملة خفية أجابه الطبيب عنها بأنه (يظهر) وقد فهمت أنه شكّ في كوني زرت المفتّش وأنه مظهره معه (الذي يظهر أنه لم يكن مرضيًّا) ناشئ عن تأثير المقابلة أو الشكوى، وبلا شك في أنه يبني على هذا الفهم تقريره الذي يكتب وهكذا يرون ظل الإنسان في كل شيء.

أما عمّا جرى بينهما فلم يقل لي شيئًا ..

27 يونيو/ حزيران

في هذا الأسبوع كان مواطن أهلي حمل لي بيضتين للبيع كالمعتاد، واليوم أخبرني هذا الحامل أن معلمه الأهلي المتفرنس المسمّى م. فولو وبّخه كثيرًا وقال له: إن لك قضية مع الفاسي، ولم يدر المسكين ماذا أصابه فكأنه يستفهمني عن مقدار جنايته معي، فقلت له أما من جهتي فليس هنالك شيء يا عزيزي وتجاهلت الأمر، مع علمي بأن المسألة بلا شك آتية من اليوطنان. ثم بعد ذهابه فكّرت في أن أحتجّ على هذا العمل الذي يرمي إلى منعي من البقية الباقية من الحقّ الذي أعطوه لي في اليوم الأول، لأنني منذ نقصوا من حقي وأعلموني بمنع دخول البيض إلى هنا وأنا لا أسمح لأحد من البيض ولا

السود بالدخول عندي إلا لمن يحمل شيئًا من البضائع الأهلية بقصد الشراء على العادة الموجودة في هذه الأرض، إذ ليس هنالك سوق يباع فيها كل ما يحتاج إليه، والمرء لا بدّ له من أن يشتري ما يتعيّش به، وبينما أنا أفكّر في هل من اللائق أن أكتب رسالة للإقامة العامّة تتضمّن مع الاحتجاج تقريرًا كافيًا عن كل ما جرى لي في الواحد والعشرين شهرًا التي أقمتها في الغابون، إذا باليوطنان ماسا يطرق المنزل. وبعد كلمات أولية عادية قال لي:

إنني أتيت لأسألك عن قضية سمعتها .. فقطعت قوله وقلت له: وجدتني أستعد لزيارتك أو كتابة رسالة للإقامة في أشياء أحسستها في هذه الأيام.

فقال ما هي:

قلت قبل كل شيء اليوم زارني المواطن مارسيل وكان يحمل إليّ بيضتين في هذا الأسبوع وأخبرني بأنكم آذيتموه لهذا العمل، ومعنى هذا أنكم تحاولون منعي ممّا بقي لي من الحقّ ولهذا فأنا أحتج. فقال: إن الحارس بلّغني أن هذا الشخص يأتي عندك في كل مساء ويجلس طويلًا وأنك حمّلته كتابًا والآن أتسمح لي بتفتيش الأوراق... قلت له تفضّل: فأخذ يفتّش كل شيء ولما وصل إلى دفيترات النقط أخذ يقرأ ما فيها ... فقلت له أن ليس لك الحقّ في الاطّلاع على ما أكتبه من نقط... فقال.. إيه إنّ لي الحقّ حتى في قتلك... فقلت له ولم تتأخّر؟ فقال ومن يدري؟ ربما في هذه النقط سأجد الرسالة. قلت: على أيّ حال افعلوا ما شئتم، وبعدما قرأ الجميع، جعل يعلّق فقال: إن عندك من الأخبار ما ليس عند إدارة مدبّرية القسم (يريد ما يرجع لمعرفة ما قدّم من المطالب للمفتّش وبعض أصحابها وأرجو ألّا يؤذيهم بتبليغ أسمائهم للقوم) وقال: إنك أيضًا تعترف أنه سيحلّ محلّي ضابط وإنني سأذهب، قلت له: وهل في هذا غرابة؟ وهل تظنّون أن كتمانكم كل شيء وإقفالكم أبواب الأخبار عنّي ستحجبني حتى عن معرفة مثل هذا؟ ثم دخل إلى بيت النوم وفتّشه، وقرأ بعض الفصول كتبتها عن المغرب قائلًا: إنما هذا بقصد الاطمئنان، وقد اطلع قطعًا على نقط فيها أفكار ضدّ على تصرّفاتهم، ثم بعد فراغه جلس فقال: هكذا حسن فليس

هنالك ما يدعو إلى القلق، قلت له: ولكن الآن بعد معرفتك واطمئنانك من بحثك أؤكّد لك أنني منذ قضية فيليكس وأنا ملتزم بكامل الهدوء متّبع لأكثر ممّا يلزم النظام المفروض عليّ، ومتنازل عن كثير من حقّي فيه. فمثلًا منذ شهر يناير لم أتجوّل في الشاطئ الشمالي للانكوتي (وادي القرية) ومنذ الفصل اليابس الماضي لم أتجوّل في حومة مويلا اليمني، وكل هذا رغبة في الطمأنينة ولأنه ليس هنالك ما يرى. وأنا أسألك هل عثرت على شيء رغم شدّة المراقبة التي جعلتها منذ شهر يوليو/تموز إلى الآن، فقال لي لا، وهذا خير لك، قلت نعم ولكن تظنّون (لعلّه) أنني أفعل هذا ضعفًا منّي أو خوفًا، فقال لي لا، قلت: إذا كنت أتّبع أوامركم فلأن ظروفي تفرض عليّ ذلك ورجاء في أن أحصل على نظام أوسع ممّا أنا فيه، ولكنّكم دائمًا تتّخذون الهدوء كوسيلة لزيادة الضغط في المغرب كما هنا، ولهذا أنا فكّرت في الاحتجاج على عملكم - قال لي: أنا شخصيًا لم أغيّر شيئًا، وربما لا تجدون من بعدي ضابطًا مثلي في أخلاقه، قلت معناه أن من سيأتي سيمكنه التغيير أيضًا، فقال لي لا النظام واحد. «يمكنكم أن تكتبوا ما شئتم دون أن يخرج من مويلا، وأن تتجوّلوا في القرية بحسب رغبتكم، وأن تتحدّثوا إلى من شئتم، وإنما الممنوع أن يزوركم أحد بقصد الجلوس ساعتين فأكثر، أما بقصد القيام بشغل مادي فلا يمنع» قلت له هكذا تقولون كل مرة لكنكم في نظامكم ذوو وجهين وإذا كان من يدخل عندي للقيام بما قلتم، أو يقف معي للحديث في الطريق قليلًا، تبعثون وراءه وتوبّخونه وتحاولون أذيّته في معاشه، فسوف لا يمكنني أن أجد محادثًا، لأنه لا ضميري يسمح لي بأذيّة الناس ولا هم يقبلون أن يحادثوا من يعرّضهم للأذيّة، وإذن سيعسر عليّ حتى إيجاد وسائل الحياة الضرورية وإذا كنتم ستسلكون هذا المسلك فخير أن تعلموني به لأجري على مقتضاه، أو أشحذ إرادتي في مقاومته، وأما عن الضابط الذي سيأتي يحتمل أن يكون كما قلتم شرس الأخلاق، ولكن معنى هذا أن توجيهه كذلك مقصود، لأنه إذا قال لي كلمة سوء فأنا يمكن أن أتحمّل مرة أو مرتين، ولكن أنا أولًا إنسان، وثانيًا ذو شرف، وعليه فسأجيبه بأشدّ ما يقتضيه المقام، وحينئذٍ يبني عليه وسيلة لإذايتي مرة أخرى،

ولهذا فواجب على الحكومة أن تحتاط لهذه النقطة من قبل وإلا فأنا سأضطر للدفاع عن شرفي، فأنا هنا أرغب في الطمأنينة والهدوء لمناجاة المُثُل العليا ولكن إذا كنت سأؤذى من غير سبب، فأنا سأضطر لارتكاب السبب فقال وهو يبتسم: ولكن يمكنهم أن يسجنوك في الغابون، فقلت ولا حتى القتل، الذي قلت إنه من حقّك يحملني على قبول الإهانات أو تنفيذ ما لا أرغب في تنفيذه، إن لي الإرادة الكافية والقوة المعنوية التي كانت لي في المغرب، ومستعدّ لتحمّل الألم أكثر مما أنا فيه، إذا كان واجب شرف الفكرة التي أمثلها يقضي بذلك، فقال: لا لا موجب من الآن حتى يستقيل ليس إلا الخير، ثم إنني فهمت أن موجب تفتيشه هو ظنّه كوني كتبت للمفتّش ورغبة بعدم زيارتي للمفتّش كوسيلة يمتنّ بها عليهم، قلت له: إنك ترى أن هذا المفتّش الذي جاء إلى مويلا لم أفكر في زيارتي له، مع أنه لا يمكنني أن أجد بسهولة فرصة مثل هذه تصل فيها شخصية كبيرة من باريز لسماع شكاوى الأهلين إلى محل حصاري فقال نعم: ولكن أنت مرجعك إلى حكومة المغرب، قلت: أنا أعرف ذلك، ولكن أقلّ ما يمكنني أن أحصل عليه هو أعمال دعاية ضدًّا على إدارة المغرب مع شخصية كبيرة، وتظنّ أن فرنسيًّا يسمح كون رئيس حزب يجلس في منفاه بغير كتاب ولا جريدة ولا يتأثّر. فقال لي: بلى، ويمكن للمفتّش أن يكتب للمقيم ملاحظة، ولكن ليست هنالك فائدة محسوسة، قلت له: الدعاية: قال هذه نعم، وعندي ما اعرض، قال لي: أعرض عليّ، فأنا لست هنا لمجرّد أخذ المال، بل للمراقبة وسماع ما تريد قلت له:

ـ طيب إنكم لا تلتزمون بالنضام والحقوق الممنوحة لي وتنقصون منها، وتضيّقون عليّ وقد غصبتموني حقوقًا كثيرة، قال ما هي؟ قلت له: إن النظام الذي بلّغني إيّاه القبطان روكس والحاكم بارسيو في ليبرفيل، وكذلك روكس والمدبّر في أنجلي، يجعل لي الحقّ في تبادل الزيارات مع الأبيض والأسود، وفي الحديث الحرّ مع كل الناس، ولا يمنعني من الجريدة والكتاب، وأنت نفسك أعطيتني لاديش ألجيريان وأعدادًا من اللوستراسيون، ومن يناير/كانون الثاني إلى مايو/أيار، فهل كان روكس أو كنت أنت،

تعطيني ذلك رغمًا عن أوامر المنع. قال: لا، ولكن في مايو/حزيران تلقّيت المنع، قلت له: أنا أعرف أن إعطاءك لي الجرائد كان تفضّلًا منك لأنها ملك لك، ولكن لو أمرت بعدم الإعطاء فستخرق الأمر؟ قال لي أبدًا ... وكذلك قولهم في الزيارة، أليس هذا تغيير، فقال: يمكن، هذا من المقيم، قلت له دائمًا أنا أعتبر كل ما يجري من المقيم، ومعه أتكلّم، ولا بدّ من وضع حدّ لهذه الأوامر التي لا نهاية لها، ثم قلت له لو كنتم تجيدون السياسة لكان في مثل سلوكي هنا ما يدفعكم إلى تغيير المعاملة السيئة، لأنه يجب التنشيط على متابعة ذلك السلوك، وخصوصًا في تغيير موقفكم إزاء الكتب والجرائد، أتستطيعون أن تذكروا لي في التاريخ حكومة استعملت منعهما كعقاب لشخص سياسي؟ أنا أتحدّاك لتذكر لي واحدًا عوقب بذلك سواء في المدنيّة العصرية أو المدنيات القديمة؟ إلا ما كان من عبد الكريم. إنكم إذا ذكرتم لي شخصًا تاريخيًا ولو في العصور الوسطى أقبل أن أكون ثانيًا، فقال: أما في التاريخ العامّ فلا أدري، ولكن عبد الكريم، فقلت له وهذا من إدارة واحدة بل من شخص واحد، هو الجنرال نوكيس ومدرسته، فهل تقبلون أن تكون فرنسا، أول من استعملت هذا النوع من العقاب، وبدون محاكمة قال: وعلى كل حال ينبغي الصبر، فربما أرسلوا الكتب والجرائد لاحقًا، وكنت قد قلت لك إنهم يسمحون لك إذا شئت بالاشتراك في بعض الجرائد العلمية بالفرنسية (في الطبيعة والنبات مثلًا) فقلت: هذه أول مرة أسمع منك هذا، ومع ذلك فمعناه المنع، لأن صحيفة عن (الطبيعة) بالفرنسية لا تفيدني شيئًا. وكنت قد قلت لي: إنك ستسلّم لي قائمة كتب إذا شئت شراءها، لكنك لم تفعل رغم إخبارك بصدور الأمر لك بذلك ورغم تذكيري لك منذ أزيد من ثمانية أشهر، فسكت ولم يجب، ثم قال: الآن حين أحاول الذهاب قريبًا أعطني قليلًا من المال وأنا أطلب من الديوان العسكري توجيه ما يراه مناسبًا، قلت: لقد انتظرت طويلًا وطلبت بمختلف الوسائل وبواسطة كبار الشخصيّات التي هنا، فقال، وفي هذا قد أخطأت لأن الحاكم العام هنا ومفتّش الغابون، ليس لهم عليك أمر .. فكتاب أبعثه أنا يكون له من الاعتبار ما لا يكون لرسائلهم، فقلت إنك

شخص لا تستطيع في طلبك أن تخرج عن الاتّجاه الحكومي ولا عن التعاليم الأساسية المعطاة لك، ولذلك فالأمر يحتاج إلى شخصية ثانية، فقال، لكن هؤلاء لا يعرفون ما ينبغي أن يكون مع المغاربة، ولذلك فربما كان منع الكتب أوفق في السياسة المغربية، فقلت هذا خطأ منكم وسوء تقدير وفقدان ثقة بالمعرفة، وتشاؤم منها. ثم قال: وأنا في اليوم الذي وجّهني المقيم قال لي: إنك تعرف ما يلزم لمغربي مبعد، خصوصًا في أخبار المغرب والعالم الإسلامي والعربي... إلخ. ولذلك أنا أسير على مقتضى هذه الإشارة ولما كنت أعطيكم لاديش ألجيريان كتبوا إليّ يقولون: إن هذه الجريدة تشتمل على أخبار أفريقيا الشمالية والشرق، فقلت له لكنّكم لِمَ تبيحون حتى جريدة تصدر في الكونغو الفرنسي، إنكم ستندمون على هذا الاضطهاد الفكري الذي ليس له مثيل، ثم هذه الصحافة فأين الكتب التي قلتم بإباحتها، وما معنى حبس جزء يتعلّق بتاريخ الخوارج من كتاب الكامل الذي كتب منذ مئات السنين، وما معنى منع الجرائد الأدبية، فسكت، فقلت: إن الحقّ لا يخوّلكم منع أية صحيفة أو كتاب كيفما كان لونها، فقال، وهذا المفتّش الاستعماري الذي كان هنا، دعاني فيمكنكم إذا شئتم أن تكتبوا للمقيم وهو يجيبكم بما يراه، وأطلعته على الرسائل الرسمية المتعلّقة بذلك، فقلت هذا لا يعنيني إنما أنتم ذوو وجهين، حتى مع إخوانكم من الرسميين، ولماذا تمثّلون معي أدوارًا فيأتي واحد منهم ويقول لي: هل تطلبون شيئًا، إنه إذا زارني أحد وسألني فأنا لا يمكن أن أشهد ضدًّا على نفسي، ولا بد من أن أعلن كل ما يلحقني من ضيم، لكنّني مع ذلك سكتّ في زيارة حاكم الغابون، وقلت سأجرّب مع القوم هذا الأسلوب لعلّهم يرون من ضميرهم رادعًا فكان جزاؤكم أن زدتم في تغيير المعاملة، وأن يصلني أمر بوجوب زيارتك كل يوم، فما موجب ذلك، ولقد نفذت الأمر، وأنا بكل سرور كنت أزورك من قبل، والذهاب كل يوم إلى محل خاصّ لا يزيدني ولا ينقصني شيئًا فقال: إن هذا الأمر عندي منذ القدم من أول يوم، وهو لمدبّر القسم فهل تريد أن تذهب عنده ويتركك تنتظر مع السود طويلًا، فقلت: ولماذا سيتركني أنتظر، إن فعل فسيعرضني للهياج،

وقد كنت مكلّفًا بذلك في أنجلي، فكان المدبّر يقابلني باحترام لا أجد منه هنا ولو فتيلًا، ومع هذا فأنا إنما ذكرت ذلك كمثال لهذه الأوامر التي لا تقف عند حدّ. فقال في أيّ حال أنا مضطر لرؤيتك يوميًا ومعرفة اتجاهاتك في الحديث والفكر (تصريح يدلّ على بلاده) ولست أنا الذي ينبغي أن آتي عندك فلم أجبه على هذه النقطة، لأنها تشتمل على كلمتين تقضي المصلحة بإغفالهما الأولى - تصريحه ولو أجبته عنه لتنبّه إلى غلطه، والثانية كذلك ابتلعتها لأنها تعيد حقيقة نفسيته التي لطالما شعرت بها، وأنه هو الذي استنكف من زيارته لي كل يوم وتجوّله معي، كما كان في السابق، لأنه فهم كوني اعتبره خادمًا لي أو ما أشبه مما يدل على قلة ذكاء، وهو في كل مناسبة يحاول إشعاري بأنه ضابط وكيل المقيم إلخ... ما هو مفهوم للمطّلع، ثم خرجنا من المنزل فدعوته لزيارة البستان الذي غرسته إزاء المسكن، مع حائط الموز وتأكيدًا في إفهامه عظيم إرادتي وعدم تأثّري لكل أعمالهم، طلبت منه أن يكلّم م. كيما وهو مهندس فلّاحي مكلّف بتدريب الأهلين على تكوين المزارع، ليسلّمني بعض النقل مما عنده من الأشجار مع استعلامات فلاحية، فوعد بذلك ثم خرج.

1 يوليو/تموز

اليوم كتبت الرسالة عدد 79 للوالد وهي عادية.

3 يوليو/تموز

اليوم زارني ماسا مع م. كيما. وقد فتش البستان، وأعطاني بعض إرشادات ليست كبيرة الأهمية، وقال إنه موجود إذا أردت سؤاله عن بعضها، كما أنه وعد بإعطائي نقلًا من القهوة والماندرين لغرسها.

4 يوليو/تموز

اليوم كتبت الرسالة عدد 80 للوالد أجبته فيها عن رسالته رقم 60.

اليوم وصل اليوطنان شيالنجر صحبة ماسا الذي كان ذهب لاستقباله في دوليري، وقد زارني اليوم عند الزوال.

9 يوليو/ تموز

اليوم بعث لي ماسا البطاقة الآتية:

الحمد الله

إلى مسيو علّال الفاسي السلام عليك وبعد: فنرجو منك أن تأتي (كذا) غدًا في الصباح في تمام الساعة التاسعة والسلام.

مويلا 9 يوليو/ تموز 1939

ماسا

- هذا إلحاق بأمر الزيارة يرفع ما كانوا أعطوه من حقّ الاختيار في الصباح أو في العشي ويعيّن الساعة. لكنّ فيه قليلًا من الأدب المتكلّف.

10 يوليو/ تموز

ذهبت صبيحة اليوم لزيارة القوم في الساعة المعنية فكانت الحال كالمعتاد.

- في العشية وجّه لي اليوطنان شيالنجر أربع رسائل من الوالد ذوات أعداد 61- 64 وتواريخ 29 مايو/أيار - 12 يونيو/حزيران، وقد وجّه التوصيل كالمعتاد على أن التسليم منه.

- علمت أن ماسا سيسافر من هنا يوم 16 يوليو /تموز وسيرجع مع باخرة 4 أغسطس/آب أما هو فلم يخبرني شيئًا. . .

11 يوليو/ تموز

وصل إلى هنا م. لالاند الذي سيحلّ محلّ مدبّر قسم مويلا.

13 يوليو/ تموز

اليوم يستعدون للاحتفال غدًا بيوم 14 يوليو/تموز.

- في العشية جاء إلى هنا ماسا وشيالنجر وقالا إنهما جاءا ليعلماني بأنه يمكنني ألّا أزورهما غدا لأنهما سيكونان منشغلين بالعيد ..

ـ طاف الليلة بعض من الأهالي بمشاعل كالمعتاد في هذا اليوم، ولم يكن ذلك هنا في العام الماضي.

14 يوليو/ تموز

احتفل القوم اليوم بذكرى الثورة الفرنسية وكان الاحتفال أكبر من السابق.

ـ أما أنا فلم أخرج من المنزل هذا اليوم إلا قليلًا عكس المرة السالفة، لأن الكرامة تقضي بذلك.

15 يوليو/ تموز

اليوم كتبت الرسالة عدد 81 للوالد.

ـ بعدما فرغت من هذه الرسالة بعثتها لليوطنان كالمعتاد، وكنت لا أزال بملابس النوم، وخادمي الموجّه لم يرجع بعد، وبينما أنا أتمشّى في داخل المنزل إذا بماسا يقبل وعلى وجهه علامة انفعال غريب فتقدمت للسلام عليه فردّ ببرودة ومدّ يده كذلك بتكلف ثم سألني بشدّة: ماذا فعلت حتى وصلت إلى هنا، فأجبته بديهة: بالواقع إنني حتى الآن لم أغادر المنزل، بل منذ صبيحة الأمس لم أخرج فقال يستهزئ بي: كيف وأنا رأيتك ولم أدر كيف رجعت، ثم تقدمنا للمباح، فأعاد السؤال، فقلت له إنني لم أخرج، أما تراني لا أزال بلباسي البيتي؟ قال: هذا شيء سهل أن تبدل اللباس سريعًا، فقلت وماذا جرى أولًا؟ ما عدا مما بدا؟ فقال: لقد رأيتك واقفًا بدشيرة الأهلي بادينكا ثم إن امرأة رأتني وقالت لك إن ماسا مقبل، فانسللت وتابعتك فإذا بك هنا، فقلت له: أنت رأيتني؟ قال نعم؟ قلت: هل توجد طريق للمنزل غير التي سلكتها؟ قال: لا. قلت :أنا لم أخرج وحسبت أنه يستغرب فقط فأقسمت له بالله إنني لم أخرج - لكنه انطلق معلنًا خبثه قائلًا: المسلمون كلهم كذبة، فلم أردّ عليه شيئًا، وجاد في توبيخه قائلًا: إنك أبيت يا علال أن ترجع عن هذه الأفعال، وأبيت أن تلتزم الهدوء في مكانك فتريد أشياء أكثر من هذه، فقلت له: الآن ليس هنالك خير ولا شر فقال:لقد رأيتك بنفسي، فقلت إنك لم ترني، قال إذن أنا أكذب، قلت: لا، قال: إذن أنا مهبول قلت

لا ، قال: وماذا؟ قلت أنت لم ترني وأنا لم أخرج اليوم من المنزل، وليس هنالك شيء آخر، ثم اعتبارًا لكونه سيذهب بعد يومين أو ثلاثة أيام إلى المغرب ورغبة في عدم إحداث هرج من لا شيء قلت له: إني أؤكد لك بشرفي أنني لم أخرج، فسكت ثم قال: إذا تأكدت من أنك لم تخرج اليوم فأنا أقبل أن يقطعوا رأسي قلت: وإذا وجدت أنني خرجت فأنا أقبل أيضًا أن يقطعوا رأسي، فقال إن من يقطع رأسك لا يفعل كثيرًا من الشر، ستقع الحرب مدة ثم ينتهي الأمر، فلم أجبه، لأن الرجل يريد إيجاد فرصة تسمح له بإفراغ ما في قلبه من حنق، ثم عاد يتكلّم لقد رأيتك، فقلت له: لقد أكدت لك بشرفي، ولكن خبثه أبى إلا أن يجيب: لو تحدثت عن شرفك لبدأت تبكي فقلت له: إيه أمسك خبثك عندك وافعل ما بدا لك، أنا المذنب الذي أكّدت لك بشرفي لا أنت، سأل بشدة طباخي قائلًا: هل خرج معلّمك اليوم أم لم يخرج؟ فأجابه الطباخ بأنه لم يخرج، فهدده فأجابه بذلك فقال: لقد اشتريت حتى خدمك، فلم أجبه، ثم جعل يقول: لقد وعدتك بأن أطلب عدة أشياء من المقيم لفائدتك فيما يرجع للكتب والجرائد والآن لن أطلب شيئًا الكل مرمي ورمى بيده في الأرض مصفرًا (وسيط) فتبسمت فقال: إذن أنا أحمق فتبسّمت، فقال: قل لي، قلت يا م. ماسا أنت ظلمتني اليوم كثيرًا فأمسك عن خبثك، فإن ظروفي وأخلاقي يمنعانني من إجابتك، قال: لكنك لا تريد أن تفعل الخير، ولو كان يمشي معك حارسان لهدأت، قلت: ليتهما كانا اليوم فتستحيي؟ ثم قلت له: أنا أسألك هل هذا النظام المفروض علي يمنعني من الخروج؟ قال: لا؟ من التجوّل؟ قال: لا. من الوقوف في دشيرة بادينكا، قال لا؟ قلت: وما الذي سيحملني على الكذب ونكران هذا لو فعلته؟ فسكت، فقلت له: ثم ما الذي منعك أن تضع يدك عليّ وتقف فترى هل هناك ما يبعث على الريبة، قال: هذه غلطتي، قلت: إن الضابط الذي يغلط في تنفيذ أمره العسكري ينبغي أن يكتم غلطه ولا يتكلّم، فسكت، ثم عاد للسؤال وقال: إن هذه مسائل لا تليق بضابط فرنسي، وليس هو الذي ينبغي أن يكلف بها، إن هذا شأن البوليس، فلم أجبه، ثم سأل، فقلت له: لقد أخبرتك وإذا شئت فاسأل لاجودان. لقد مر من هنا آنفًا، واسأل الحارس

ليكيندو إنه حمل إليّ البيض آنفًا أيضًا فخرج وهو يقول: طيب انتهى. وإلى الغد، فلم أردّ عليه فقال: لقد عرفت كذبك منذ القديم فتبسّمت، فقال: إلى الغد فلم أتحرك فقال: إلى الغد، فلم أجب وذهب.

ـ منذ مدة طويلة وماسا يبحث عن وسيلة يتوصّل بها لأذيّتي مرة أخرى. وذلك منذ اليوم الذي احتججت فيه بانسحابي على تركي أنتظر وراء باب الإدارة ساعة قبض المونة مدة أربعين دقيقة وحين كلمني أجبته بما يقتضيه شرف الموقف، وقد استعمل بعد ذلك مختلف الأساليب للتضييق عليّ، والتشويش عليّ في التمتع بهذا البصيص من الحرية الشخصية بل الجسمية على ما فيه من عرج، فكان كلما رآني تحدثت في الطريق إلى أحد وبايعته أو دعوته لخياطة لباس أو لأصنع ما يتوقّف عليه المنزل انتهز الفرصة وبعث إليه يوبخّه ويهدّده، بل كان يعمد أيضًا إلى دكاكين التجار فيفتش حتى (البونات) ويسأل هل أؤدي الدين دائمًا في وقته إلخ... وقد شعرت بذلك كلّه في حينه، وعرفت المقصود منه فاحتطت كثيرًا وتنازلت حتى عن التجوّل في عدّة جهات مباحة من القرية. فلما انتهت مدته هنا ولم يجد وسيلة انتهز فرصة زيارة المفتّش العام، وجاء هو الآخر يفتّش منزلي، ولمّا لم يعثر على شيء، ابتكر كونه رآني اليوم، لكن رصاصته هذه كانت فارغة، وقد عرفت أنه يريد بها هجومًا أخيرًا فتنازلت في الجواب إلى درجة ربما تعتبر ضعفًا، ولكن السياسة لا تعرف هذه الاعتبارات غير أنني بعد خروجه فكرت في أن الأولى كان هو عدم تأكيد الخبر بالله ولا بالشرف الوطني إزاء من لا يحترمهما، واعتبرت نفسي أسأت بذلك، ولمعاقبتي، قررت عدم الخروج من المنزل مدة ثلاثة أشهر إلا في الأوقات المفروضة عليّ، حتى لا أعود مرة أخرى للتأكيد بالله والشرف أمام واحد من الفرنسيين مهما كانت قيمته، ومهما كان خطر موضوع الحديث معه إلا إذا دعاني لذلك داعي مصلحة البلاد الحقيقي أي لا المصلحة الخاصة، وإنني أسجل هنا أن هذه الكلمات التي سمعتها من ماسا لم أسمعها قط من أحد من الفرنسيين حتى في أحرج مواقفي لا في المغرب ولا هنا، ولذلك لا بد من أن يكون لها جواب عملي يومًا ما بحول الله وقوّته، فإن الرجل من يجيب بفعله لا بقوله، أما الآن فليس إلا الصبر والانتظار.

16 يوليو/ تموز

علمت أن ماسا سافر صبيحة اليوم، دون وداع، في وقت يرميني فيه بالكذب فيا لله ممن لا يفهم ولا يستحيي، وليت شعري أيظن أنه سيؤثّر فيّ عدم وداعه، وقد فارقت أحبّائي ومن أهواهم دون وداع. . .

17 يوليو/ تموز

ذهبت اليوم عند اليوطنان شيالنجر في التاسعة بحسب البطاقة التي كان وجّهها ماسا فاستقبلني كالمعتاد.

اليوم فكرت في كتابة رسالة شكوى للمقيم العام الجنرال نوكيس، أتحدّث إليه فيها عن هذه الإساءة المقصودة من ماسا، وأحتجّ بالخصوص على شتمه لي وإهانته لشرفي، كما أحتج على تشويشه عليّ فيما خوّله النظام الذي على الأقل ليس لي حقّ في اختياره، وقد كتبت هذه الرسالة فعلًا، وتركتها للملاحظة ...

22 يوليو/ تموز

جاء اليوم شيالنجر صحبة م. ودولايد الذي ما زال قائمًا مقام المدبّر، للبحث عمّا يحتاج إليه المنزل من إصلاح، فأطلعتهما على ما فيه من عيوب لا تحصى وبالأخصّ على السقف الذي يسيل من كل جهة، فأظهرا استياءهما من ذلك، وقال: سأبعث غدًا عشرة رجال مع بعض العسف لتغطية هذه الأماكن الشديدة السيلان أولًا، ثم نرى.

ـ اليوم كتبت الرسالة عدد 82 للوالد وأعلمته فيها عن عدد 65 ـ 66 ـ 67.

23 يوليو/ تموز

جاء اليوم الأفراد الموجّهون من المدبّر واشتغلوا قليلًا ثم ذهبوا لأن اليوم يوم أحد.

24 يوليو/ تموز

بعدما سألني شيالنجر هل اشتغل العمّال قال لي: إن المدبّر وعده بأنه إذا تم بناء منزل مدبّر المدرسة فسيأذن بإكرائي منزله السابق. فقلت له: إنهم

لا ينصفونني منذ سنتين وأنا أؤدّي مائتي فرنك في الشهر في هذا المأوى ثم لا يجودون حتى ببضع فرنكات للترميم والإصلاح فأجاب: بأنه لما كلّم رئيس العمّال قال له: إن الكرام يوجّهون للتوّ إلى براسافيل، وهم لا يرسلون للإصلاح شيئًا. فقلت هذا غير بيّن لأن الدار لا تتطلّب شيئًا، أو إذنًا، فلا شك في أن هناك نظامًا لهذه القضية، وإذا كانت إدارة المالية لا توجّه شيئًا فلها الحقّ، لأن هذا مدخول عام، وهناك مصروف عام إلخ.. فسكت وقال: إن رئيس العمّال كلما كلّمته يعدني لكنه لا يفعل شيئًا، وقد تعب ماسا في المطالبة بإصلاح منزلك، ثم التفت وقال: حتى منزلي هذا مملوء بعدة عيوب إلخ ... ويمكن إذا وصل يناير/كانون الثاني المقبل نستطيع الحصول على إصلاح حقيقي من رئيس العمّال الجديد، فانظر إلى هذا الكلام، فليت شعري حين يريدون تنفيذ مظلمة عليّ هنا، أينتظرون قدوم فلان أو خروج فلان؟ وما قيمة هذه العسف التي يصلح بها السقف؟ ولقد صرفت مرارًا مبالغ تتجاوز 500 فرنك من مالي.

25 يوليو/ تموز

جاء اليوم أيضًا فردان من العشرة، واشتغلوا قليلًا بوضع بعض العسف وزار المنزل صحبة لالاند مدبّر القسم، وأمر بقطع أعشاب الربيع الذي يسد الطريق إلى المنزل.

26 يوليو/ تموز

سمعت أنه سيزور هذه القرية م. لوبو الحاكم العام للمستعمرة وسيلاقيه هنا حاكم ناحية الغابون، فلا غرابة إذا كان القوم يقطعون الربيع من الطريق، كعادتهم، كلما قيل إنه سيقدم أحد ...

29 يوليو /تموز

اليوم كتبت الرسالة عدد 83 للوالد أجبته عن كتبه عدد 65/ 67.

5 أغسطس/ آب

وجه إليّ اليوطنان شيالنجر البطاقة الآتية:

علّال الفاسي

إنني أخبرك بوصول السيد الوالي ديال الغابون اليوم، وأما سيد الوالي العام فهو آتٍ غدًا والسلام.

مويلا 5 أغسطس/ آب 1939

شيالنجر

فما المقصود؟

وقد وصل حاكم الغابون عشية اليوم فعلًا.

ـ اليوم كتبت الرسالة عدد 84 للوالد.

6 أغسطس/ آب

اليوم وصل الحاكم العام ومعاونه وآخر من مجلس الشيوخ.

7 أغسطس/ آب

ـ سافر صبيحة اليوم الحاكم العام ومعاونه، وذهب حاكم الغابون والشيخ لصيد البقر.

ـ ذهب الحاكم والشيخ إلى الداخلية، فكان مجيء الحاكم العام لإيصال الشيخ ومجيء الآخر لمصاحبته في ناحية (موصى عليها).

ـ قال لي اليوطنان: إنه زار بالأمس حاكم الغابون وتكلّم معه عن منزلي فقال: إنه سيعطيني منزل المدبّر ليكي، وكلّمه أيضًا في إصلاح منزله.

ـ أما الرجال الذين أخذوا في وضع العسف على السقف فقد ذهبوا. وتركوا سلّمهم منتصبًا.

12 أغسطس/ آب

ـ اليوم كتبت الرسالة عدد 85 للوالد.

ـ تسلّمت من الوالد كتابين عددي 68/ 69 وقد أفاض القول فيهما رجاء وتطمينًا.

ـ بالأمس أعطاني اليوطنان عددًا من مجلّة (أفريقيا الشمالية المصوّرة)

التي تصدر في الجزائر بقصد المطالعة، فإذا به وصف لزيارة والي الجزائر لتلمسان ووهران ووجدة .. وحديث عن مؤتمر الموسيقى المغربية المنعقد في فاس... وعن أسبوع الاستعمار المقام بوجدة ...

19 أغسطس/ آب

- اليوم كتبت الرسالة عدد 86 للوالد أجبته فيها عن كتابيه عددَي 68/ 69.

26 أغسطس /آب

- اليوم كتبت الرسالة عدد 87 للوالد وهي عادية.

27 أغسطس/ آب

- منذ ثلاثة أيام ضاع لي كبش، وقد بحثت عنه في جميع نواحي القرية فلم أجده، وكان عندي خادم فحدث أن ارتكب عدة خطايا آخرها أنه أدخل إلى المنزل امرأة بغيًا وصديقًا له، فاضطررت إلى إقصائه، ومنذ ذهابه لم أجد هذا الكبش وقد أرسلت إليه ليحضره حسب الأصول فأبى فوعدته بمجازاته إذا فعل فامتنع.

28 أغسطس /آب

- عاودت الإرسال وراء الخادم المذكور فجاء وامتنع من التفتيش.

29 أغسطس /آب

- عشية هذا اليوم ضاعت لي معزة زيادة على الكبش المذكور.

30 أغسطس /آب

- اضطررت صبيحة اليوم إلى إشعار اليوطنان بما ضاع لي، فذهب معي إلى المدبّر حيث أعلمنا أنه أرسل حارسًا يلازم الخادم السابق حتى يبحثا عنهما.

1 سبتمبر/ أيلول

- ذهبنا اليوم عند الدكتور كالمعتاد وهو طبيب جديد حلّ محلّ الدكتور كارو برتبة كمندار، وبعدما اطّلع على الملف سألني هل هنالك شيء جديد،

فقلت له الحالة كما هي كالمعتاد هنا، فقال: ابعث لي غدًا من فضلتك، وائتِ أيضًا صباحًا للوزن، فقال له اليوطنان: أرجو الحصول على الشهادة غدًا لتوجيهها في البريد الأسبوعي.

2 سبتمبر/ أيلول

- بعثت اليوم الفضلة.

- كتبت اليوم للوالد الرسالة عدد 88 وهي فارغة.

- ذهبت عند الطبيب فقال: إن الفحص أنتج له كون الدود المسمى (تريكوسيفال) موجودًا وأنه سيبعث الشهادة مع الدواء، ثم وزنت فكان 65,064 وقال إنه سيبعث الدواء اللازم.

5 سبتمبر/ أيلول

- بالأمس أصبحت عيني اليسرى منتفخة ويبدو في جفنها حبة صغرى، وقد ذهبت أيضًا إلى الطبيب الذي حتى الآن لم يبعث الدواء الذي وعد به، وبعدما فحص الجفن قال إنه ليس هنالك شيء يدعو للقلق وجعل فيها مكمدًا وقال: إنه سيبعث به مع دواء الدود.

- اليوم تسلّمت ثلاث رسائل من الوالد عدد 70/ 72 بتاريخ 22 يونيو/ حزيران - 4 أغسطس/ آب وقد أخبر في الأولى أنه كان مريضًا بخراج الشهدة الذي اضطره لعملية جراحية مكث بسببها في المنزل ثلاثة أشهر كاملة وأنه عوفي أخيرًا. ومع مرضه، فإن رسائلي إليه كانت تتأخّر عنه لخمسين يومًا فأكثر فلله من إنسانية القوم..

7 سبتمبر/ أيلول

إلى الآن لم يبعث الطبيب بما وعد به وقد ذكره اليوطنان ببطاقة ولكنه لم يجب...

9 سبتمبر/ أيلول

- اليوم كتبت الرسالة عدد 89 للوالد أجبته فيها عن رسائله الثلاث، وهي مختصرة نظرًا إلى ما تقتضيه الظروف.

ـ الطبيب لم يبعث الدواء حتى الآن.

ـ اليوم كتبت الرسالة عدد 90 للوالد.

ـ تكوّنت لي أيضًا حبيبات كثيرة عداد الكسكس في ثنية فخذي الأيسر ولست أدري أيضًا ما هي.

18 سبتمبر/ أيلول

ـ اليوم ذهبت أيضًا إلى الطبيب وعرضت عليه الحبيبات فأعطاني دهنًا وقال إنه ليس هنالك ما يدعو للقلق، وإن ذلك ليس جربًا ولا غيره، وقد أعطاني أيضًا سهلة للدود التي كان وعدني بها.

إني أسجّل هنا شدّة قلقي من هذه الخراجات الصغيرة التي لا تفتر وأخشى أن يصل منها شيء كبير، وقد بذلت جهدي وأطلعت الطبيب على كل واحدة تخرج منها، لكن الطبيب لا يبدي الاهتمام التام في الفحص وليس هنالك صيدلة مهمّة، وأخوف ما أخاف أن يصل من هذا حبّ الزهري أو غيره، لأنه ليست هنالك حصانة في هذه الأرض، وكل الخدم الذين يشتغلون في المنزل، عندي وعند غيري هم من الأهالي المملوئين بالحبوب الصعبة مثل الشانكي والزهري وحتى بعض الجذام، وقد وقع أن أربعة متعاقبين ما بين طبّاخ وطواف كانوا عندي، وخرجوا وإلى الآن لا يزالون غير مستخدمين، لظهور المرض الشانكي عليهم، فهم لا يزالون يعانونه.

وهكذا قلّما تجد أحدًا من السود نظيف الجسم، وحتى البيض وخصوصًا الذين في إيتيكا ترى أجسامهم ممتلئة ببثور حمراء لا أدري ما هي، لكنهم يجدون الفرصة للرجوع إلى أرضهم متى أحسّوا ببداية الأمراض الشديدة، والمنفي الغريب يبقى رهن الأدوية التقليدية التي لا تقطع جرثومة أي داء وإذا استمرّت الحال هكذا فإن جسمي يتحطم ويصبح مرقشًا بمختلف الطبائع، بعد أن كان أصفى من المرآة، وبعد أن لم يعرف قط في المغرب لونًا من ألوان الحبوب ما خلا الجدري في صغره، وقد سبق أن رأى عندي الطبيب مرة طبعات حمراء فقلق منها، ولكنّها تقشّرت بسهولة وبمجرّد دهن الألكول

اليودي، ولما سألته عن دواء يقي من مثلها قال لا محوج إليه وأبى أن يخبرني حتى عمّا هي؟ فليس إلا الرجاء في الله سبحانه وهو حسبي ونعم الوكيل.

30 سبتمبر/ أيلول

ـ اليوم كتبت الرسالة عدد 92 للوالد وهي عادية.

7 أكتوبر/تشرين الأول

ـ اليوم كتبت الرسالة عدد 93 للوالد تحدّثت فيها عن أيام شعبان.

14 أكتوبر/ تشرين الأول

ـ اليوم كتبت الرسالة عدد 94 للوالد تحدثت فيها عن رمضان.

ـ اليوم كتبت الرسالة عدد 95 للوالد أعربت له فيها عن الشوق لرسائله.

16 أكتوبر/ تشرين الأول

ـ اليوم تسلّمت رسالة من الوالد عدد 73 وتاريخ 19 أغسطس/ آب 1939م أجاب عن كتابي عدد 79/ 80

19 أكتوبر/ تشرين الأول

ـ اليوم أخبرني اليوطنان بأن مبلغ 13 شهرًا من نفقتي قد وصل، كما وصلت رسالتان من الوالد.

ـ وصل إلى هنا م. تاستفان المدبّر العام الجديد.

20 أكتوبر/ تشرين الأول

ـ اليوم ذهبنا لتسلّم المبلغ عن شهر أكتوبر/ تشرين الأول الذي كان قد تأخر.

ـ اليوم تسلّمت كتابَي الوالد عددَي 75/ 76 وتاريخ 3/ 12 سبتمبر/ أيلول، يعلن فيهما قلقه وشدة شوقه وشوق العائلة لأنه لم يصله كتاب مني منذ الرسالة المؤرخة بـ 8 يونيو/ حزيران.

وحتى الآن لم تصلني رسالة الوالد عدد 74 فلست أدري أحصرت أم ستصل فيما بعد؟

من شريط المنفى

فصل من ديوان علّال الفاسي فيه قصائد
تشتمل على صور طبق الأصل
للحالة التي كان عليها بمنفاه

سكناي بمنفاي
(1)

هذه القصيدة تشتمل على صور طبق الأصل للحالة التي أنا فيها بمنفاي (مويلا) في مستعمرة الغابون لم أقصد فيها إلى كبير تعمد، ولا عظيم تصنع.

لـي سـريـر أنـامُ فـيـه وحـيـدًا مثلُ جسمي في الضعفِ والانحلالِ

وعـلـيـه مـن الـفـراش لـحـافٌ مثلُ أرضِ الغابون في الأوحالِ

هـو خالٍ كالبوّ[1] حينًا وحينًا هـو قاسٍ كالصخرِ أو كالرمالِ

حَشْوُهُ الليفُ والربيع أو التبن ومـا لا يـعـدّ مـن أمـثـالِ

حدرٌ، منحنٍ، صعود كما قد نحتَ الجغرافي في تمثالِ

أنا فيه كما تمدُّ في التابوتِ ميتٌ قد لفَّ في أسمالِ[2]

ولـه كـلّـة أرقّ وأضـنـى من يقينِ الخؤونِ في الأعمالِ

ومتى أسدلتْ عليّ أراني كَوَلِيّ مرابطٍ في انعزالِ

فوقَ أيكٍ أقامَ فوقَ كثيبٍ ما له غيرُ مطعمٍ من موالِ

عندَ كهفٍ بناه عادُ وعبت[3] له أرواحه ثري الرمالِ[4]

حاملاتٌ إليه من حشراتِ اللهِ ما لا يعدّ من أشكالِ

---

(1) البو هو ما اتّخذ من جلد في صورة عجل لإيهام الناقة أنه ولدها لتدر اللبن.

(2) الثياب البالية.

(3) الظرف يعود على جملة: لي سرير، وما بعدها.

(4) الأرواح جمع روح. والرمال الثريّة: الرطبة. وفي الغابون رطوبة كبيرة تلتصق بها الغبار فلا يكاد ينقلع.

من عناكيبَ نسجُها متوالٍ
تتدلّى من سقفِهِ بحبالِ
ذات وجهٍ كأنّه مكاء
ذو إطارٍ كأنه من نمالِ
ناسجاتٌ على الكوات ستارات
بسوقِ الترويجِ[1] جدّ غوالِ
وصُنوف من بنت وردان[2]
ما شئن يطيّرنَ في الفضاءِ العالِ
كصغار الغربانِ يمرحنَ في
البيتِ يمزّقن كلَّ أنفسٍ غالِ
برؤوسٍ كأنّها الجرادُ
وعيونٍ برّاقةٍ وسبالِ
يتسابقنَ. خلفَهنّ العناكيبُ
يهددنهُنّ بالاغتيالِ
ولكم تنسجُ الشِّباكَ العناكيبُ
فتصطادهُنّ دونَ احتيالِ

* * *

حولَها من ذبابةِ الأرضِ ركبٌ
يتغنّى بأرصدٍ[3] وليالِ
تبتني في الجدران شتّى الخلايا
ضمنَ أنفاقِها الدقاقِ الطوالِ
تخزنُ النسلَ والعناكبُ فيها
صنعُ ذي عيلةٍ وذي أطفالِ
تقتني بالطري عن محفوظٍ[4]
نحنُ منه في نقمةٍ ونكالِ
وإذا ما سمعتَها تتغنّى
في الخلايا بصوتِها العوالِ
خلتَ فيها خليةً تتغنّى
من خلايا المذياعِ[5] بالأزجالِ
وأزيزُ البعوضِ ينقرُ في الأذنِ
أزيزَ الأسماكِ في الآصالِ
ذو خراطيم لسعُها كالبراغيثِ
وفي شكلهنّ كالأفيالِ
شاربات الدماءِ ملقحة الجسمِ
بداءٍ إذا تأتّى عضالِ

---

(1) سوق الترويج: ما يسمّى بالمعرض (البرادري).
(2) بنات وردان: هن اللائي يسمين في المغرب ببودراع.
(3) الأرصد والليالي من إيقاع الموسيقى المغربية.
(4) المحفوظ: أي المرقدات التي هي أنواع الأطعمة التي تحفظ في العلب وفي هذه الأرض نضطر لتناولها في الكثير من الأوقات.
(5) المذياع: الراديو. وخلاياه ما تقبض فيه مراكز إذاعته.

تغرزُ المصلَ حينما تتغنّى ... في الجسمِ وهو في النارِ صالِ

وتراهُ في رعشةٍ وكأنْ قد ... لمسَ الكهرباءَ دون احتفالِ

واللواتي ينقزن طولًا وعرضًا ... كنقازِ اليربوعِ بين الجبالِ

أتراهنّ قد تكلفنَ أن يذرعن ... بيتي طولَ الليالي الطوالِ؟

فإذا أصبحَ الصباحُ تسترن ... وراءَ الأعوادِ والأنوالِ

❊ ❊ ❊

والجرادينُ السودُ تسرعُ كالبرقِ ... كأن قد كلفنّ بالأرقالِ

وأراها كأنّها نزقُ النساجِ ... يمشي في ميمنٍ لشمالِ

ولها تأتآتُها وهي تسري ... كنغيرٍ يدوي لدى الآصالِ

لو رآها العجاج[1] رؤبة يومًا ... لتبدّى لعابُه في انسيالِ

❊ ❊ ❊

وجراثيمُ[2] تشبُه السوسَ سوداءُ ... ولكن شرّها ذو اكتمالِ

قرمات اللحومِ لا تبتغي غيرَ ... جسومِ الورَى مكانَ احتلالِ

خافياتٌ كالجنّ لستَ تراها ... خارقات للجلدِ مثل النبالِ

تتركُ الرجلَ بعد طولِ عناءِ ... وهي مثلُ المصفاةِ والغربالِ

مَن يرِدْ معرضًا من الحشراتِ ... السودِ يقصِدْ لمحبسي ومآلي

منزلٌ ما رأيتُه غيرَ دارٍ ... عندنا للأبقارِ أو للجمالِ

قبوُه مثلما بنَى عشَّهُ اللقلاقُ ... باللبفِ والعسيفِ البالِ

وجدارٌ كهيكلِ الجسمِ إما ... صار مرمَى السهامِ عند اقتتالِ

أثخنَتْهُ الأيامُ جرحًا فأضحَى ... كثيابِ المريدِ قبلَ الوصالِ

---

(1) رؤبة بن العجاج، الرجاز المشهور وكان يعرف بآكل (الفويسقة) ويقول إنها ألذ من السكر.

(2) هذه جراثيم لم أعرفها إلا في الغابون: تخترق الجسم فتقيم في داخله وكرًا حيث تبيض ويبقى المكان بعد إخراجها بنحو إبرة ثقبًا صغيرًا يندمل بعد حين، وقد سمّاها الفرنسيون (الشيك).

وسوار ملس تسلّقها القرد لدى الغاب في الزمان الخالِ
أكلتها ذبابة الأرض دهرًا فغدا شكلها كمثل الخيالِ
قد حكين المنسأة[1] حين أقامت بسليمان وهو مثل الآلِ[2]

* * *

وثرى أسندته خشب قد ارتدت كمثل القشور أو كالذبالِ
أتراها جزءًا لتابوت[3] إسرائيل في شكله القديم الحالِ
أو تراها كدار قارون[4] تهوى بك إن تمشي فوقها باعتدالِ
قد غدا بينها وبين الثرى خلو كمثل الأنفاق والأغيالِ
تخذتها سكنى لها الحشرات السود تلقي بها عصا الترحالِ
ومتى ما قاومتها حين تبدو تنزوي تحتها بأي مجالِ
وكأن قد أصبحت لهن خناديق يهيئنها لوقت القتالِ
في بلاد كأنما هي تنور نحاس بموقد متعالِ
أنت فيها كما تقيم بحمام شديد وقوده متوالِ
فترى الجسم مثل ما ترسل الماء عيون سيالة وعوالِ
وترى الجِسْم مثلَ ما تُفرغُ الماءَ على الجِيرِ في عظمِ انحلالِ
وكأن الشموس فيها لهيب لافح غير منته لزوالِ
تجعل الجو ذا غبار كأن سابق فيه كل امرئ خيالِ

---

(1) المنسأة: العصا، وقد بقي سليمان متكئًا عليها بعد موته حتى أفنتها الأرضة فانكسرت فسقط ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ كما وصف الله في القرآن.
(2) حمرة في الأفق تشبه السراب وليس هو.
(3) التابوت الذي كانوا يقدمونه بين أيديهم فيقاتلون به.
(4) قال تعالى في قارون ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾.

ودخـان كـأنـه قـسـطـلٌ[1] ثـار بـحـرب كـثـيـرة الأهـوالِ
هـكـذا والأنـواء تـهـمـي لـديـهـا بـسـيـول كـهـاطـل الـشـلالِ
ورعـود كـمـا تـصـادم فـي الجوّ ضراب المدافع المتتالي
وبروق تكاد تخطف بالأبصار في شكلها البعيد المنالِ
فهي حينًا كأنها قضب النار رمتها يد امرئ نبالِ
وهي حينًا كأنها قزح من لعب النار قد بدا في احتفالِ
وهي حينًا كالشهب تتبع الشيطان أنى يخب في الإيقالِ
وتراها حينًا كما تظهر الأنوار[2] ذات الألوان لوح خيالِ
وإذا الأرض بعد طوفان نوح غائصات مياهها في الحالِ
وإذا عندها رواكد جماعات لكل القذى وللأزبالِ
مرسلات طيرًا أبابيل[3] ترمي بحصى من سجيلها الصلصالِ
فترى الجسم مثل مأكول عصف ليس ينفكّ ذا أذى واعتلالِ

❊ ❊ ❊

أتراها من أرض لوط أقيمت ليس فيها غير الردى والنكالِ
وربيع يطول حتى تراه أيكة ليس عندها من جمالِ
ليس فيها نور ولا في عواليها ثمار للقاطفين دوالي
ورجال من نسل (حام) أراهم حلقة بين قردها والرجالِ
بعقول كأنها للعصافير على جثة كمثل البغالِ

---

(1) القسطل أو القسطال: غبار الحرب وعثيرها.

(2) لوح الخيال رداء (السينما).

(3) الأبابيل الجماعات، والمقصود هنا بالطير الناموس وشبهه. وفي اللغة كل ما له جناحان فهو طير. والمقصود بالحصى ما تحدثه لسعادتها من تآكل ينشأ عنه ثآليل صغيرة تشبه صغار الحصى، والسجيل: الطين النقع والصلصال: الحما المسنون، وظاهر أن المعنى مقتبس من سورة الفيل.

ونساء كأنما هن للنيران حور[1] نـــصـــبـــن لـــلإذلالِ
رب حسناء عندهم مثلما جن بليلى المجنون[2] ذو الأحوالِ
أنا لو عشت ها هنا ألف عام لم تصادف مني سوى الإهمالِ
ذات رأس كأنه طلع زقوم[3] تدلّى من غصن سدر بالِ
إن أثارت شعورها خلتها ريش ديوك (النجليز) عند النزالِ
وهو طاقية إذا زججته غزلها ليس من يدي غزالِ
وجبين علا كمثل عقاب بتجاعيد لم تزل في انعزالِ
فوق أنف كأنه غار (ثور) عنده العنكبوت ذات انفتالِ
وشفاه كمثل ما تتدلّى مشفر النوق أثقلت برحالِ
ذات جيد كما ثنى رأسه اللقلاق إن جاء عشه باهتبالِ
ويد مثلما تصوّر من خشب يدا غير ماهر في المثالِ
عند صدر يزينه قعس[4] فيه كقبو مقطّع الأوصالِ
ذو ثديين مثلما طاش في الميزان كفاه دون ما مثقالِ
أشبها ساعة السواري[5] أقيمت ولديها زوجان من (ثقالِ)

---

(1) للجنّة حور يناسبن ما يليق لهنّ من نعيم في حسنهن وجمالهن. أفلا يكون للنيران حور يماثلن ما فيها من هول وعذاب؟ إذن فهؤلاء الحسناوات اللائي هنا يصلحن أن يكنّ نموذجًا لحور النار.

(2) المجنون قيس بن عامر الشهير في غرامه بليلى العامرية.

(3) زقوم: الشجرة التي في أصل الجحيم. وطلعها كأنه رؤوس الشياطين كما وصفها اللّه في القرآن.

(4) القعس: نقيض الحدب. وهو خروج الصدر ودخول الظهر.

(5) ساعة السواري هي ساعة كبيرة توضع معتمدة على سارية في المنزل وهي من الزينة القديمة في بلادنا ويتدلى منها ثقالان من حديد أحدهما أكثر نزولًا، والتسمية للساعة وللثقال اصطلاح مغربي وهو عربي صحيح كما ترى (وزوجان من ثقال) استعمال قرآني فصيح على حد قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ أي أننا اعتبرنا (الثقال) اسم جنس جمعي.
لقد ترجم هذه القصيدة للغة الفرنسية الترجمان المعاون م. ماسا، من إدارة الشؤون =

لو تراها تمشي فتحتضن الثديين تحت الإبطين كالأطفالِ
خلت من خلفها كمثل (الباذنجان) تدلّى من غصنه الميالِ
لو ترى صدرها إلى كرة البطن على صخر ردفها الهطالِ
خلت زاوية من الأكر السود أقيمت علامة الترحالِ
أو كسود من الأثافي تبدّت هشّة من قديم الاستعمالِ

❋ ❋ ❋

ما أرى هؤلاء إلا ككافور وفي شكله الغريب المثالِ
إذ رماه بمعجز المسخ (لما لم يصدق به) نبي المقالِ

❋ ❋ ❋

ذاك ما عوض الزمان به أطيب ما لي بموطني من حالِ
رب إني احتسبته لك فاقبله عساه يكون ذخري ومالي
رب، واجعله للبلاد فداء واحبنا في الدارين حسن مآلِ

= العسكرية الإسلامية، وهو المكلف من طرف الإقامة العامة في المغرب، بالمكث هنا، من أجل تصرفاتها معي. وقد نظمها شعرًا فرنسيًا في مائتي بيت وبيتين وأهداني نسخة منها.
وقد انتهيت من نظم هذه القصيدة بمتم ذي الحجة 1356هـ موافق فاتح مارس/آذار 1938م في مويلا، ثم بعد سنة نقلتها إلى هذا الكناش.

سكناي بمنفاي أيضًا
(2)

أمر المدبّر بتبييض منزل سكناي، وملء بعض خروقه، فلم يغنِ ذلك عما به من مرض، فأوحى لي بهذا القصيد:

لو تجمّلتِ لي بكل جميل — وتزينت لي بكل حفيلِ
وتبرّجت لي بكل صباغ — وغبار في الخدّ أو تكحيلِ
وتحلّيت بالبديء[1] من الأثواب — أو بالحلي البديع المثيلِ
وتطيّبت بالعطور الغوالي — رائحات مع النسيم العليلِ
لم تكوني إلا عجوزًا تمنّت — صغر السن بعد عمر طويلِ
لست تحظين بالجمال ولو — أنفقت كل الأموال في التجميلِ!
ما جمال الوجوه خالة يشري — لا ولا السحر للصبا بمنيلِ
أنا أقلاك، لست أهواك يومًا — لو تمثّلت لي بكل سبيلِ
إن أكن ساكنًا بقلبك يا مغبون — ما لي يد بذاك المقيلِ
ففؤادي محصّن منك دومًا — لست تحظين عنده بحلولِ
بادليني البغضاء، ذلك خير — لك، إني لا بد لي من رحيلِ

16محرم 1357هـ 20 مارس/ آذار 1938م

(1) البديء: ما يسمونه بالموضة.

أوامر المنفى

كنت مريضًا في هذه الأيام فزارني أحد الجيران من الفرنسيين صحبة زوجه، كما كنت قد توجهت عند بعض النزلاء اليونان لتناول القهوة بناءً على دعوته. وكل هذا بناء على أن هذا الحصر لا يمنع من ذاك، بل بحسب تصريح رسمي صدر لي لأول يوم من لدن المكلّف الأول القبطان روكس. لكن هذا حمل الرفيق الثاني على أن يكلم معاتبًا أولئك الأفراد، ثم على إشعاري بأن ذلك لا يتفق مع الحالة الخاصة. فأوحى لي ذلك مضافًا إلى الانقطاع عن الكتاب والجريدة القصيدة الآتية:

أيا جارتي ردّي سلامك إنني ... هنا راغب أن لا أردّ سلامًا
ويا ربّة الآداب لا تتكلّمي ... فربتما جرّ الكلام كلامًا
ويا زائري لا تدخل اليوم منزلي ... فإنك تأتي بالدخول حرامًا
ويا كتب العرفان لا تقربي فقد ... تصيرين في عيني قذى وغيامًا
ويا صحف الأخبار ويحك أبعدي ... فإنك تولينني أذى وسقامًا
ويا أيها الريح العليل اجتنب فقد ... أبى القلب إلا شعلة وضرامًا
ويا حشرات الله أنت عشيرتي ... تعالي نشاطر مأكلًا ومقامًا
ويا موحش الأحناش أنت مؤنسي ... حنانيك قد أوليت فيك غرامًا
ويا حميات الله، زوري فربّما ... بلمسك أحيا، لا أذوق حمامًا

* * *

كذلك شاء الحاكمون بأمرهم | وكان عذاب الحاكمين غرامًا
نعم حكموا هاتي الجسوم وآلموا | وكانت جسوم العالمين حطامًا
فهل قدروا أن يحكموا الفكر والهوى | ولا يتركوا الإيمان حيث أقامًا؟
إذن فليمدّوا كل ما شاء غيهم | فإني أرى النصر المبين ختامًا

ربيع الأول 1357هـ مايو/ أيار 1938م

جياع الخبز وجياع الكتب

ليس الجوع جوع الخبز والطعام فحسب، بل المعنويات ووسائلها وخصوصًا الكتب والصحافة جوع كبير لم أتعوّد عليه، ولتاريخ هذه القصيدة لم يصلني كتاب ولا ملكت صحيفة. وقد أصبحت كالجائع يتطلّب قصاصات... تتساقط في الشوارع علّي أجد فيها ما يكون ألهية عن الجوع. أما الأغنياء الحاكمون فهم لا يلتفتون للجائعين ولا يرحمون البائسين، ذلك ما أوحى بهذا القصيد:

رثيت بموطني حال الجياع ... وجدت لهم بقدر المستطاعِ
وكنتُ لسدّ حاجتهم دوامًا ... لدى أهل المكارم خير داعِ
وقمت لهم بما يرجون مني ... من الإبداع في وقت الدفاعِ
وعشت محاربًا من أفقروهم ... وردوهم إلى سقط المتاعِ
وقفت عليهم شعري ونثري ... وواصلت الجهاد بلا انقطاعِ
وها أنذا لأجلهم غريب ... بقوم أرضهم شرّ البقاعِ
ألاقي ها هنا ما قد لقوه ... من الجوع المعرض للضياعِ
وليس الجوع من خبز ولكن ... أشد الجوع فقد الاطلاعِ
هم طلبوا الطعام وبعد لأي ... أصابوا منه جهد الاقتناعِ
ولكنّي أعوذ أشدّ حالًا ... من الغرثان في صحراء قاعِ
بكيت لهم وقد طلبوا فتاتًا ... وعظمًا في المزابل والمراعي
فمن يرثي لحالي حين بحثي ... كناسات لدى وادٍ يزاعِ

أفتّش عن قصاصات رمتها | يد السادات في حال المراعِ
لعلّ بها فتاتًا من كتاب | وجزء صحيفة فيه انتفاعي
عساني أن أرى خبرًا لقومي | وأقرأ فكرة ذات ابتداعِ
وأرقب هل يساعدني رحيم | ولكن ما وجدت سوى امتناعِ
وطالبت الألى منعوا بحقّي | فما ألفيت منهم ذا سماعِ
لقد جعلوا اضطهاد الفكر زجرًا | لعمرك إنهم أهل اختراعِ
أولئك معشر ألفوا اضطهادًا | فليس لديهم قلب يراعي
سواء عندهم من مات جوعًا | إذا عاشوا ومن في الخير راعِ
ولو وجدوا فتى بالليل يسعى | لما جادوا عليه بالشعاعِ
أطاعوا أمر ذي كيد وعدّوا | أوامره اعتذارًا للجياعِ
ليمضوا في طريقهم فإني | شجاع لا ينهنه بالقراعِ
وها أنذا أعيش على اجترار | وأقرأ صفحة الكون المشاعِ
وفي هذا غذاء لي ولكن | على رغم الألى قصدوا انتزاعي
ولو وجدوا السبيل لكي أنسى | وتغدو فكرتي تحت القناعِ
لما بخلوا لذاك بكل كنز | وكان لديهم خير اصطناعِ
ليمضوا فاضطهادهم دروس | تعرّفنا الحقيقة في انصياعِ
وسوف يريهم العدل الإلهي | مغبّة سيرهم في كل ساعِ

جمادى الآخرة 1357هـ أغسطس/ آب 1938م

الفصل اليابس ببلاد الغابون

تغيرت الحالة الجوية في هذه الأشهر الثلاثة التي هي مدة الفصل اليابس ببلاد الغابون وخصوصًا في هذه الأيام الأخيرة، وهب يسير من ريح الشمال، فأوحى ذلك بهذا القصيد:

لله أيام تنفس عندها ... روح الزمان وريحه المتستّرُ
هب النسيم بها وخفّ لهيبها ... وانجاب عنهن السحاب الممطرُ
وتباعدت شمس الضحى في أفقها ... وبدا بليلتها الهلال المقمرُ
وتنفّس الصعداء كل منزل ... في هذه الدنيا التي لا تعمرُ
فكأنما انجاب الخناق وفتحت ... عنا خنادق أقفلت أو مقبرُ
وغدا لنا بين الفضاء تفسح ... فكأننا بعد المنية نحشرُ
لله من يبس الزمان فإنه ... في هذه الدنيا ربيع مزهرُ
من كان ينكر في الشمال مصيفه ... فلدى الجنوب هو الخريف المثمرُ
من كان يرغبُ في الشتاء لأنها ... تحيي الثرى في أرضنا وتنورُ
وتعيد للجسم النشاط ببردها ... وتعين في شغل الحياة وتظهرُ
فهنا الشتاء جهنّم موقودة ... وكأن زيت الغار منه يسعرُ
وكأنما شمس النهار لهيبها ... والبرق عقار بها يتبخترُ
وكأنما فصل اليبوسة بعدها ... ضحضاح نبرد عنده إذ ننظرُ[1]

(1) في الحديث الشريف أنه يخفف عن أبي لهب لسروره حين بشّر بولادة النبي ﷺ فيخرج من النار كل يوم اثنين حيث يوضع في ضحضاح منها فيكون ذلك نعيمًا نسبيًا له. وكذلك الحال مع جو هذه البلاد في فصل المطر وفصل الجفاف.

فيه ثلاثة أشهر معدودة　　من بعدها صُوَر الحياة تنكرُ
وألذّها الشهر الأخير فإنه　　فيه من الجوّ الشمالي مظهرُ
هبّت علينا فيها نفحة موطني　　فلموطني طول المدى أتشكّرُ
حتى وددت لو أن خط الاستوا　　فيه الزمان جميعه (سبتمبرُ)

20 رجب 1357هـ 15 سبتمبر/ أيلول 1938م

أنا في منفاي
(3)

غدوت كورقاء نأت عن فراخها / وأبعدها صرف الزمان عن الربعِ
وقامت على دوح ببيداء بلقع / ترجع من وجدٍ بها فائق السجعِ
ومرّ عليها كلُّ بوم وجيألٍ / فردوا عليها بالعواء وبالقرعِ
وما فزعت منهم ولكن ذكا بها / حنين إلى إلف به رقّة الطبعِ
وأذكى بها ذاك الحنين صبابة / فعادت إلى التخفيف بالسجع والرجعِ

25 رجب 1357هـ 20 سبتمبر/ أيلول 1938م

أنّة مريض

عرتني في هذا الشهر عدة أمراض مختلفة، تؤلم جسمي كله، وتكاد تهد قواي، ورغم تردّدي على الطبيب الذي في مستشفى القرية، فإنه حتى الآن لم يلمس المرض، وإنما يبشّر دائمًا بالسلامة ويعطي أدوية تقليدية، أما الألم فهو يشتد في كل جوانبه وليست عندي حتى الحرية للبحث عن طبيب آخر، أو الذهاب لناحية بقصد الاستشفاء، ولا يوجد حتى صيدلية لشراء الدواء، فالله وحده الشافي وفي سبيله ما ألقاه:

أزهرا على بعد المزار سلام ... فإنّي بأرض الأسودين مقامُ
وقد جدّ بي شوق الرحيل إليكم ... وأقعدني حبس هنا وسقامُ
فلو تعلمين اليوم حالي رثيت لي ... وعادك وجدٌ للقا وهيامُ
ألا في سبيل الله ما قد لقيته ... أذى وأسى يشتدّ منه أوامُ
فكم ليلة قد بتّ فيها مسهدًا ... أئن من الآلام وهي ضرامُ
ألاقي من الأمراض كل شديدة ... ويلحقني طعن لهن توامُ
مرضت وحيدًا لا أنيس بجانبي ... ولا لي في قلب هوى وذمامُ
وما عادني بين البرية عائد ... ولا قيل هذا المستهام مضامُ
وخلفي من الأحباب لو يعلمون بي ... أساة لأدواء الزمان كرامُ
وقد زارني هذا الطبيب فبشّرت ... يداه بأن لا داء ثم يرامُ
وما غرّه إلا وقوف منظّم ... وفهم لما يدلي به وكلامُ
ولو لمست كفّاه ما بي من أذى ... أصابته منه رعشة وكلامُ
فوالله لولا أن روحي هنيئة ... بمبدئها السامي عرتني حمامُ

ولو أن ما بي من سقام مضاعف … علـى جـبـل لانـدكّ مـنـه سـنـامُ
ولو كنت عندي حين تشتدّ لوعتي … لـكـان لـهـا مـن راحـتـيـك سـلامُ
فكم من مريض قد جفاه أساته … وقـيـل لـه إن الـحـمـام لـزامُ
فكان له في قرب من هو عاشق … شـفـاء وعـيـش طـيـب ومـدامُ
ولـكـن وأنّـى بـالـتـواصـل بـيـنـنـا … ولـيـس بـأيـدنـا هـوى وزمـامُ؟!
فـيـا أم لـيـلـى لا تـراعـي فـإنـنـي … صـبـور عـلـى الأيـام لـسـت ألامُ
ويـا أم لـيـلـى لا تـظـنّـي عـزيـمـتـي … تـضـعـضـعـهـا الأيـام وهـي عـظـامُ
ويـا أم لـيـلـى فـاكـلـئـيـهـا فـإنـهـا … وشـيـظـة[1] قـلـبـنـا عـلـيـك سـلامُ

2صفر 1358هـ 24 مارس/آذار 1939م

(1) الوشيظة: ما يُرأب به الصدع.

على طبلة الأكل

قدم لي اليوم نوع من السمك يشبه الحوت الشابل بفاس. وقد طبخ في الفرن، فاحمرّ أدناه دون أعلاه، فبعث في نفسي ذكرى وخاطرًا جادا بهذا القصيد ارتجالًا :

نعمت به سمكًا شائقًا ... قد احمرّ من ذنب دون راسْ
فشبّهته حين قدّم لي ... بسؤر من الخمر في قعر كاسْ
وزاد الخيال فشبهه ... بسوسنة أنبتت فوق آسْ
وأبدع فيه مصوّره ... بقطعة نضر[1] تحلّت بماسْ
تناولته في اشتياق إليه وذكّرني ... (شابلا)[2] عند فاسْ
ولست هنا دائمًا ظافرًا ... بحوت ولو كنت أكبر راسْ
وفينا هنا المثل المغربي ... يصدقه الفكر دون احتراسْ
(يبل سراويله[3] من يريد حوتًا) ... ولا يجتزي بالنعاسْ
ومن عاش في الوطن المغربي ... فما للذائذ عنه انحباسْ
فإن عاش في غيره بعده ... تجلّى له الفرق عند القياسْ
فليس يرى مثل أنعمه ... ولا مثل أبنائه أي ناسْ
فإن كان مثلي حبيسًا عليه ... سيلقى من الوجد أعظم باسْ

---

(1) النضر: الذهب.

(2) نوع من السمك يوجد كثيرًا في وديان فاس وهو قليل الحسك متزرد الظهر مبيضه متوسط الحجم.

(3) صيغة المثل: (اللي بغى الحوت يفرك عليه سروالو).

وهــبــه رأى مــا يــنــشــطــه فــلــيــس لــلــوعــتــه أي آسْ
فيا ليت شعري متى سأعود إلى وطني في هنا وائتناسْ
يذكرني وطني كل شيء ويلهب وجدي كل الحواسْ
ولكنّني دائمًا صابر وما إن يحلّ بنفسي ياسْ
وإني على حبّه دائم وعهدي في ذاته لا يخاسْ
وعندي في الله كل اليقين بأن حقوقي ليست تداسْ
سيجمع شملي في وطني بروض أريض بديع اغتراسْ
أحفّ بزهرا وبالأطيبين ونأكل (شابل) وديان فاسْ

(إن شاء الله)

25 صفر 1358 هـ 16 أبريل/ نيسان 1939م

سكناي بمنفاي أيضًا
(4)

ليلته أمطرت السماء مطرًا غزيرًا كالمعتاد. وقطر سقف هذا المنزل فسال بالركن الذي أنام فيه، ورغم أنني طالبت مرارًا بإصلاح السقف فإنهم لم يفعلوا مع أنهم يأخذون الكراء في مقابلة منزل تام على علّاته. فلما انتبهت صبيحة ورأيت هذه الحالة التي يرقّ لها من في قلبه رحمة، واستحضرت قساوة القوم وسوء عملهم، أوحى لي ذلك بهذا القصيد ارتجالًا :

عجبت لسجن يقوم على ... دعائم ترعش من حينهِ
وسقف من التبن تجتازه ... شعاع الشموس على عهنهِ
وتقطر منه مياه الشتاء ... فيمزجها الريح من تبنهِ
فيكمل إذ ذاك وصف المكان ... وتسقط منه على لونهِ
كأروى يبول الحمار بها ... على علفه وعلى أتنهِ
فيجذب في الحين ركب الذباب ... وجيش الخشاش إلى نتنهِ
ومن عجب أن بينهم ... أساة الحمار لدى وكنهِ
عادة إلى الرفق يرعونه ... ويسعون دومًا إلى أمنهِ
وما فيهم بالفتى من شفيق ... يؤدّي له البعض من عونهِ
وأعجب من ذاك أنهم ... يرون التمدين في غبنهِ
وقد حرموه لذيذ المتاع ... فما نال منه سوى شينهِ
وأما الكتاب ومعنى الكتاب ... فشيء يؤكد في بينهِ
وأما الصحافة فهي حرام ... عليه كما القتل في دينهِ

وليس له أي ذنب سوى عقيدته وسوى كونهِ
بذاك قضى الغرب في حكمه فكان شعار تمدينهِ
وكان دليلًا على أنه من الآدميين في هونهِ
عظيم الجنان بقوّته جميل الفعال على لينهِ
وأعجب من ذلكم كله سجين يؤدّي كرا سجنهِ

26 صفر 1358هـ 17 أبريل/ نيسان 1939م

حديث محموم
أو
منفى وأمراض وعلاج

تصوّر أيها القارئ، شخصًا غريبًا اعترته عدة أمراض ولم يجد الوسائل الكافية لعلاجها، وأصبحت الحمى تمخضه في كل يوم، فيتحدث بما يختلج في نفسه، من صُوَر وما يعرض له من معانٍ تستدعي حرف الامتناع للامتناع، والامتناع للوجود، كما يقول البيانيون والنحويون أو قصائد موزونة. ذلك الشاعر هو أنا، وذلك الشِّعر هو هذا القصيد الذي وإن لم يكن من المنزلة الأدبية بالمكان الرفيع، فهو صورة أصلية (لا مأخوذة) لحالة واقعة، وذلك ما يعطيه قيمة لا بأس بها. وهل البلاغة إلا مطابقة الكلام لمقتضى الحال؟ كما يقولون أيضًا.

بليت على التغرّب بالسقام ... فكان الرمي مزدوج السهامِ
وعادتني من الحمّى رعود ... تحممني بثجَّاج الغمامِ
وآذاني بخاصرتي ائتلام ... يسهدني بأوقات المنامِ
وما لي من هوا وطني نسيم ... يسلّيني وينعش لي عظامي
وما ألفيت مزدارًا يواسي ... ولا خلًّا يساعد بابتسامِ
ولا لي مسكن آوي إليه ... سوى بيت كأعشاش الحمامِ
ومضجعه من الأحجار أُنسي ... يزيدك في الأذى والائتلامِ
ضجيعي فوقه ظرف لماء ... حرور عند كشحي ذو التزامِ
كأن حرارة في الجسم منّي ... أبت إلا الزيادة في الضرامِ
وصرت لدى الشباب الغضّ أبدو ... كشيخ مصطلٍ من نسل حامِ

وقيل : هنا الطبيب فجئت أشكو ... ولكن لم أجد أدنى اهتمامِ
وأول كل شهر لي اختبار ... لديه فما يفيد سوى الكلامِ
سؤال واحد: هل زاد شيء ... على ما عاد عندك من سقامِ
أدكتوري العزيز: ألا علاج ... لأمراض تبدّت منذ عامِ
وقلت أحسّ آلامًا كثارًا ... لدى بولي وهضمي للطعامِ
فجسّ وقال ذا شيء بسيط ... فليس سوى الهناءة والسلامِ
يريد فلن يغيب هنا ائتلام ... ولكن لا يوصل للحمامِ؟
وإن يعط الدواء فليس إلا ... من المعتاد[1] في كل الأنامِ
يجود بحبّتين لكل فرد ... ومسهلة لها أثر الفدامِ[2]
فما أدري مراد الدهر منّي ... إذا ما الداء زاد في الاحتكامِ
إذا يئس المريض من المداوي ... ومطلبه سواه من الحرامِ
ولم يك في المقامة صيدلي ... ولا حق الطلاب والاستلامِ
فكيف يسير عنه الداء يومًا ... وكيف يعوده طيب المقامِ[3]
لعلّ الأمر أمر أبي فراس[4] ... أسير الروم مطعون الحسامِ

---

(1) كل ما يعطى هو علاج تقليدي يصلح لكل أحد. أي ليس هناك الخصوصيات. فهناك (الكينا) والملح الصودا، إلخ..

(2) الفدام هو ما يُقدم به الإبريق أي شيء يجعل في فمه لإقفاله فهو سداد له يحول بين ما فيه وبين الخروج، ذلك أثره، وهذه المسهلة التي يعطيها الطبيب هنا استعملها مرارًا، فلا يكون لها إلا أثر إمساك، فهي بمنزلة هذا الفدام الذي يسد الإنسان.

(3) اعتذر لي بأن المستشفى ليس فيه الأدوية اللازمة فطلبت مرارًا الإذن في استقدامها وشرائها من مالي... ولكنهم يتغافلون..

(4) أبو فراس الشاعر الأمير الحمداني المشهور ابن عم سيف الدولة وتربه وصاحب النفس الشريفة الأبية، أسر من طرف (الدمستق) هو وجماعة معه بعدما جرح، ولما أثقله الجرح بعث بقصيدة لوالدته يقول من جملة أبياتها:

جراح تحاماها الأساة مخافة ... وسقمان باد منهما ودخيل

ولعله يريد أنهم يخافون الأخذ في علاجه فيحصل من ذلك ما يريده تمامًا فيصعب على =

تحامته الأساة (يظنّ) خوفًا — وظنّي أنه عدم احترامِ
ولو أن الطبيب اهتمّ يومًا — لكان علاجنا قيد التمامِ
وكان أضرّ بي وبه إسار — وضيق في الإقامة والنظامِ
وتوقيف عن العمل المفدّى — وجمع بالأحبّة والتئامِ
وأعظم ما يمض الجسم منّي — لعمر الله وجدي بل هيامي
وتركي للحليلة وهي روح — وبعد أبي ومعشري الكرامِ
فهل يدري الطبيب الداء يومًا — وهبه، فما له أيّ احتكامِ[1]
(أما في طبّه أني جواد — أضرّ بجسمه طول الجمامِ)
وهل يقوى الطبيب على علاجي — بمن أهوى وتبليغي مرامي
أصاب ابن الحسين فإن دائي — تولّد من جمامي وانضيامي
فصبرًا في طريق الموت صبرًا — فما في الموت من عارٍ وذامِ
وإن ألقَ المنية تلقَ مني — حليفًا للثبات والاعتزامِ
ومن فدى العقيدة والمبادي — ووحّد ربّه عند الختامِ

على فراش المرض ببلاد الحمى

9 الربيع النبوي 1358هـ 29 أبريل/ نيسان 1939م

= الروم قتله وتحمل مسؤوليته أمام المسلمين. أو أن الأطباء يريدون علاجه، لكنهم يخافون من رجال السلطة الذين يرغبون في طول ألمه، وهذا الاحتمال الثاني أقرب إلى نفسيّة القوم، مع قلة اهتمام الأطباء أنفسهم إلا قليلًا منهم وأنا رأيت من بعضهم اهتمامًا ومن جلّهم عدمه.

(1) البيت تضمين من المتنبي، وكان هو الآخر حمَّ بمصر أثناء إقامته عند كافور فقال شعرًا كثيرًا يتعلق بمرضه.

سكناي بمنفاي أيضًا
(5)

أصبحت عهدة منزل لا ينثني ... يضفي عليّ من الفكاهة أبردَا

فكأنني فيه ابن حرب ماثل ... وكأنما هو طيلساني قد غدَا

صابت عليه من السماء سحابة ... فغدا يشجّجني بقطر أسودَا

وسرت إليه الريح حتى خلته ... من صكه شيخًا عجوزًا مبردَا

وتطايرت من رأسه لفاته ... ويكاد يجري خلفها مستنجدَا

وأتوا إليه ليسعفوه فضاعفوا ... في هامه حمل اللفائف كالكدَى

فكأنه المزكوم غطوا رأسه ... جهلًا وأبقوا جسمه متجرّدَا

وحنت دعائمه ركوعًا فابتدت ... حيطانه تنوي الهوي ليسجدَا

وتناهضت خشباته من أرضه ... وكأنها نمس يصارع (أسودَا)[1]

وإذا مشيت بها تقفز طرفها ... كدوائر[2] من لولب قد سددَا

وتكاثرت فيه الثقوب كأنه ... مجروب ليل حكّ حتى خددَا

وتجاوبت حشراته وكأنها ... ترجو لها قوتًا جديدًا جيّدَا

أكلت جميع الزاد من عيدانه ... وتخوّفت فيه انتظارًا مجهدَا

---

(1) المراد به أسود سابخ الذي هو من أخبث الحيات والنمس يصارعها ويواقفها حتى يلتهمها.

(2) المراد الدوائر اللولبية التي تنزوي ثم تقفز، ويسمونها بالفرنسية (راسور).

ومـن الـعـجـائـب أنـنـي مـتـطـامـن فـيـه وأنـي مـنـه فـي جـفـن الـرّدَى

مـرّت بـه سـنـتـان مـا فـارقـتـه يـومًـا ولـمـا ألـف مـنـه مـنـقـذًا

فـكـأنـه عـكـاشـة[1] وكـأنـنـي فـيـه بـعـوض لـلـعـنـاكـب قـيـذًا

7 شوال 1358هـ نوفمبر/ تشرين الثاني 1939م

(1) العكاشة بيت العنكبوت.

ومطبختي هنا!

وحديث مطبختي هنا ... من أمر داري أكبرُ

صابت عليها مطرة ... وأنساب سيل يغمرُ

فزكا بها زادي وصار ... من المياه يكثرُ

من فاته لحم يجد ... مرقًا بها يتخثرُ

وقدروها ما إن تزال ... على الأثافي تهدرُ

ولو لم تداركها يدي ... لغدت سفينًا تمخرُ

7 شوال 1358هـ 20 نوفمبر/ تشرين الثاني 1939م

سكناي بمنفاي أيضًا
(6)

أيـا خـادمـي أنـا آسـى عـلـيـك فـلا تـتـعـبـن كـفـيـت الـصـعـابَـا
فـمـا أنـت تـلـزم لـي نـقـل مـاء ولا أطـلـب الـثـلـج مـنـك مـذابَـا
وحــســبــي مــن فــيــض هــذا الـمـكـان مـغـتـسـلًا بـاردًا وشـرابَـا

9 شوال 1358هـ 22 نوفمبر/ تشرين الثاني 1939م

سكناي بمنفاي أيضًا
(7)

لكل داء دواء ... إلا ارتفاع السنينَا
فلا تلحّوا عليها ... فتعجلوها المنونَا
فقد حبتكم خراجًا ... على الدوام ثمينَا
أعيَت قواها ولكن ... قناتها لن تلينَا
عجوزة زوّجوها ... من الشباب قرينَا
وأشبعوها مديحًا ... يغري بها السامعينَا
قالوا: برود ظليل ... فقلت أهوى السخونَا
قالوا فسيح وإني ... بالضِّيق كنت قمينَا!
محسة كل شيء ... حتى الهواء والطنينَا
إذا يهب عليها ... تصيح منها رنينَا
جذابة كل شيء ... إلا الهنا والسكونَا
وقطرة في سماها ... تسري وتسرح حينَا
كخمرة حين تسري ... بأعظم الشاربينَا
وتغتدي وهي سكرى ... تمايل المنتشينَا
فإن صحت نال منها ... خمارها الساكنينَا
إخال في كل ركن ... منها مريضًا بطينَا
فليس يمسك شيئًا ... وليس يبقى مصونَا
فما تعالج منها ... وإن فيها فنونَا

وكـم قـرأت عـلـيـهـا أرجـو الـوداع يـاسـينَـا
لـكـنّـهـا قـد أبـت أن تـمـوت مـوتًـا مـبـينَـا
وكـم حـريـق تـبـدّى فـقـلـت: هـيـا اقـبـسـونَـا
لـكـنّـه كـان بـردًا عـلـى أذاهـا ضـنـينَـا

❋ ❋ ❋

قـالـوا: تـعـوض عـنـهـا أخـرى تـرابًـا وطـنـينَـا
أيـغـسـل الـدم قـيـحًـا والـشـكّ يـجـلـو الـظـنـونَـا؟
أهـكـذا قـد أردتـم فـي الـغـيـس أبـقـى رهـينَـا؟
كـعـلـقـة لـيـسّ تـأوي إلا الـثـرى الـمـسـنـونَـا
شـكـرًا عـلـى مـا اعـتـبـرتـم فـفـعـلـكـم لـن يـشـينَـا
وبـعـد فـالأمـر أدهـى فـالـكـل مـا لـن يـكـونَـا
فـاصـبـر عـلـيـهـا عـجـوزًا وكـن عـلـيـهـا أمـيـنَـا
أو لا سـتـصـبـح يـومًـا لـدى الـعـراء قـطـينَـا
ولـيـس ذاك غـريـبًـا إن يـبـتـغ الـحـاكـمـونَـا

9 شوال 1358هـ 22 نوفمبر/ تشرين الثاني 1939م

سكناي بمنفاي أيضًا
(8)

يا مدّعي الإصلاح قد أفسدتم ... ما كان في هذا المكان مقومًا

رمتم علاجًا للعليل وإنكم ... أسقمتموه وزدتموه تألّمَا

وزعمتم طبّ المسيح وكنتم ... في الفعل عزرائيل لن يترحّمَا

أنتم لعمري السبعة الرهط الألى ... لا يعرفون سوى الفساد تحكّمَا

أصبحت أرجو أن يرمم نقبكم ... وأخاف أن النقب لن يترمّمَا

ولئن أخذت لذاك من إخوانكم ... فلقد عجلت لمحبسي أن يهدّمَا

ومن العجائب أنني أخشى على ... سجني الممضّ تهدّمًا وتحطّمَا

فأنا المعذّب في الجحيم يسبّها ... ويخاف يفقد في العذاب جهنّمَا؟!

إني ابتليت بمحبسي وبأرضكم ... وبكم فكنتم لي أشرّ وأعظمَا

لو يشهد الباستيليون إقامتي ... لرضوا بسجنهم مقامًا ملزمَا

ولو أن أهل الثورة الكبرى رأوا ... حالي لما ثاروا على ما نظّمَا

وإذن رأوا إخوانهم في جنّة ... ورأوا حكومتهم تفيض تحلّمَا

ومن البلية أن أصاب من الألى ... أجروا لحرية الضمير لهم دمًا

فليشهد التاريخ ما لاقيته ... إن كان ذاك عن الحقيقة معلمًا

بعد عن الوطن العزيز وغربة ... وإقامة ليست تنال تكرّمَا

وبمسكن لو عدّ أروى استنكفت ... عنه البهائم واشتكته تظلّمَا

وأشدّ من هذا وذاك المنع من ... كتب تزيد تعلّمًا وتفهّمَا

فلأصبرنّ على الجميع بعزمة ... ما إن تُصيبُ على الزمان تندّمَا

ولئن تبسّمت القصور لأهلها ... فأنا أزيد على القصور تبسّمَا

ولئن نأى عنّي الكتاب فإن لي ... درسًا من الأفعال يكشف مبهمَا

إني لمسرور ضحوك ما بدا ... وجه المكان أو الورى متجهّمَا

من عاش في دنيا المبادئ لم يجد ... إلا السعادة والهناءة مغنمَا

15 شوال 1358هـ 28 نوفمبر/ تشرين الثاني 1919م

سكناي بمنفاي أيضًا
(9)

ما على الشّعر حشمة حين يبدي ... وصف حال للخلق غير شريفِ
وإذا مـــا أســـف دهـــر وقـــوم ... صار بعض الإسفاف جدّ طريفِ
لـو تـرى منـزلـي لـدن قـد عـلاه ... من بني القرد كل عبد عنيفِ
فـرقعوا ظهرهم تباعًا إلى أن ... أخرجوني كالضبّ في تدفيفِ
مـا فـقـدنـا بـنـات وردان فـيـه ... لا ولا كلّ ذي قذى موصوفِ
فتصوّرت منزلي وأنا فيه ... مقيم كمثل عمق الكنيفِ

6 شوال 1358هـ 28 نوفمبر/ تشرين الثاني 1939م

سكناي بمنفاي
(10)

ملأ الطير منزلي فهو وكر معمرُ
وغدا مثل دوحة تتغنى وتزهرُ

***

كم به من فراشة مثل ثوب منمنمِ
وطيور صوادح بالنشيد المرنّمِ

***

والخطاطيف قد بنت في مباحي ديارهَا
تَخِذتْ من مُسيمري كعماد إجارهَا

***

كل صبح نداؤها موقظ لي لأعملَا
وحوالي ترتمي إذ ترى الباب مقفلَا

***

فإذا فتحت لها ذهبت تحمد الصباحْ
تتغنّى لدى الخلا بأناشيدها الملاحْ

***

وتــــراهـــا شــــويـــطـــنًـــا في احـــتـــيــال وفـــي دهـــاءْ
إذ تـــخـــبـــي جـــنـــاحـــهـــا ثـــم تـــمـــشـــي عـــلـــى حـــيـــاءْ

❊ ❊ ❊

ثـــم تـــعـــلـــو وتـــغـــتـــدي فـــوق صـــيـــنـــيـــة الأتـــايْ
فـــأراهـــا كـــبـــاقـــة وأرى شـــدْوَهـــا كـــنـــايْ

❊ ❊ ❊

فـــإذا أقـــبـــل الـــمـــســـا وغـــدا الأفـــق فـــي اخـــضـــرارْ
ذهـــب الـــطـــيـــر مـــســـرعًـــا كـــلـــه يـــقـــصـــد الـــديـــارْ

❊ ❊ ❊

والـــخـــطـــاطـــيـــف تـــلـــتـــجـــي لـــمـــبـــاحـــي وتـــقـــصـــدُ
إن فـــيـــه لـــمـــلـــجـــأ دافـــئًـــا لـــيـــس يـــبـــردُ

❊ ❊ ❊

وأراهـــا تـــجـــمّـــعـــت ثـــم طـــمـــت جـــنـــاحَـــهـــا
ثـــم ظـــلّـــت ســـويـــعـــة وهـــي تـــعـــلـــي صـــداحَـــهـــا

مويلا: فبراير/ شباط 1941م

سكناي بمنفاي
(11)

ماذا أحاول في براسافيل ... من بعد ما لقيت شرّ مقيلِ
زعموا انتقالي للتروّح والهنا ... من بعد مكث متعب وطويلِ
فإذا بهم قد أنزلوني منزلًا ... أخنت عليه عوامل التعطيلِ
بيت غريب مفرد لم يلتحق ... بمعاضد أو يرتفق بمثيلِ
أحيا به والقشّ حولي دائر ... كتويجر في معرض مجهولِ
وأراه ملجأ عاجزين وما لهم ... من خادم يُعنى بهم وكفيلِ
يشقى بحر الشمس طول نهاره ... وبه الغروب أشدّ في التنكيلِ
فإذا أتى الليل البهيم فإنه ... مأوى الخشاش بنابها المصقولِ
وإذا شعلت به المنارة لم أطق ... إلا هروب الهائم المتبولِ
أخشى من الناموس في هجماته ... وأطير من تلقيحه المحمولِ
فإذا أنا اخترت الظلام فإنني ... ألقى من الخفّاش شرّ رعيلِ
ما بين سقف البيت أو أركانه ... إلا صرير جناحه المسدولِ
فار على ضلع يطير ويرعوي ... ويحيض في أزري وفي منديلي
يأبى عليّ النوم من حركاته ... ويزيد في بأسائي المملولِ
بيت مداخله بلا باب تقي ... من طارقٍ أو سارق إجفيلِ
وإذا يهبّ الريحُ في جنباته ... يهتزّ مثل الشارب المشمولِ
وإذا غبار الأرض أو رملاتها ... يسرعن نحو الملجأ المحلولِ
والسقف أضعف من رداء منافق ... والقبو أبلى من فؤاد عليلِ

قد كان قزديرًا وكان مهنّدًا فغدا كسيف عاجز مفلولِ
يتشرّب الأمطار حتى يرتوي فتعود في الجنبات ذات همولِ
تأتي على بيض الثياب فتغتدي مثل الفتى المجروب والمشكولِ
وتهزّه ريح العواصف برهة فأصيخ وقع جلاجلٍ وطبولِ
أمّا الأثاث فلا تسَلْ عمّا أتى عاد من التأثيث والتجميلِ
من كل كرسي كأن برجله عرجًا يقوم بهيئة المعلولِ
هذا قبول القوم في التكريم لي ويحي لدى التحقير أي قبولِ؟
من يسلبون تراث قومي منهم لا يجملون إقامتي وحلولي
ولقد شكوت لغير مشكٍ منهم لغدا احتجاجي ليس بالمعقولِ
قالوا المنازل كلّها معدودة للجيش أو للحاكم المأمولِ
فليشهد التاريخ ما فعلوه بي وكفى به من شاهد مقبولِ
وليعلم الأقوام أن عزيمتي مكلوءة بالصبر والتأميلِ
والشّعر أصدق حافظ ومسجّل فلتعرف الأجيال من تسجيلي

براسافيل 13 فبراير/شباط 1942م

عتادي بمبعدي[1]

أرى لي هنا عددًا يسيرًا من المقاعد والكراسي، وقد صنعت مطرحين وسريرين، ورأيت نفسي لعدم وجود أماكن للتنقّل دائمًا أتقلّب في الجلوس من هذا المحل إلى ذاك. من هذا الكرسي إلى تلك الأريكة، وخصوصًا في المساء، حيث أتغنّى ببعض من أناشيدي، فخيّل إليّ أنّني بلبل مسجون في قفص يتنقل على أعواده ناشدًا الخلاص، مردّدًا أنفاسه نغمًا لذيذًا، ذلك ما تضمّنته هذه القطعة:

وضعت بمنزلي سررًا عدادًا	ونوّعت الكراسي والعتادَا
وليس يقيم فيه من الأناسي	سوى من ألزموه به اقتعادَا
أنام هنا على هذا قليلًا	وأوسع غيره ثم امتدادَا
وأجلس فوق أنواع الكراسي	وأكثر في أرائكها اعتمادَا
وأنشد قائمًا شعرًا بليغًا	يحرّك من فصاحته الجمادَا
أراني كالبلابل قيّدوها	بأقفاص تعبدها اعتبادَا
وقد وضعوا لها درجًا كثارًا	تقيم من البلابل من أرادَا
تقلب في محابسها ترجي	سبيلًا للتحرّر مستفادَا
وإن شبعت من الطعم المهيّا	تغنّي فوقها النغم المعادَا
يسرّ بصوتها من قيدوها	وإن كانت ترجعه حدادَا
وربتما يكون لها احتجاجًا	تجاهله ابن آدم فاستعادَا

10 أبريل/ نيسان 1938م

(1) قطعة توجد في المؤسسة بدفتر: ش 5 مكرر.

مجهودات المنفى

فصل من كتابه «الحركات الاستقلالية» أبرز ما قام به في المنفى من الدفاع عن حقوقه وهو مبعد، أو من الدفاع عن الحقوق الشرعية للمغرب كما يتصوّرها

مجهودات المنفى[1]

لم يكن التطوّر الذي طرأ على إخواننا في المغرب إلّا نفس ما أدركته في مواجهة الحقيقة وأنا في منفاي القصيّ بالغابون ثم بالكونغو من أفريقيا الاستوائية الفرنسية، فبالرغم من النظام الضيّق الذي وضعت فيه، وبالرغم من أنني ظللت مدة اعتقالي كلها بعيدًا عن كل اتصال بالحياة العامّة وأخبارها، وفي منع كامل من الاجتماع بالناس وقراءة الصحف والاستماع للإذاعة، بالرغم من ذلك كلّه فإن اتصالي المعنوي بروح التطوّر الوطني في البلاد ظلّ قويًا فعّالًا، ولقد فكّرت في أنَّ الحركة المغربية بعد أن بعثت الوعي القومي في نفوس الناس يجب أن تعمل بكلّ قواها للحصول على الاستقلال، وأن تصرف جهودها وتحصرها في هذا الاستقلال، لأنه وحده الذي يفسح المجال للنهوض بأمّتنا وتحريرها مما وقعت فيه من فقر وجهل ومرض، وكنت أعود بنفسي إلى تاريخ الحماية وسياستها فأحسّ بأن نظامها لم يكن إلا حجر عثرة في سبيل تقدّم المغرب والتطوّر الشعبي الذي بدأ منذ ستين عامًا ولذلك ظللت أبحث عن الوسائل التي تهيّىء لي - في ظروفي العصيبة - الفرصة التي أعلن بها رأيي، وأقفز بالحركة معها إلى المدى الذي أريده لاستكمال القضية المغربية وإنجاحها.

ولقد فكّر الجنرال نوجيس في كل شيء، لكنه لم يفكّر قطّ في أن منفى الغابون أو الكونغو سيكون مجالًا للقيام بحركة تحريرية لفائدة البلاد، ولقد

---

(1) مجهودات المنفى، وهو فصل من كتابه (الحركات الاستقلالية في المغرب العربي)، الذي وإن كتبه بعد الرجوع من المنفى فإنه أبرز فيه ما قام به في المنفى في الدفاع عن حقوقه وهو مبعد أو من الدفاع عن الحقوق الشرعية للمغرب كما يتصوّرها.

بعثني إلى هذا المنفى القصيّ وهو لا يعتقد إلا أنه قد دفنني على الأقل إلى أمد طويل، ولم يخطر بباله قطّ أنني سأتيح لنفسي الفرصة التي أطالب فيها بالحقّ، وأعمل لوطني في وقت اشتدّت به وطأته القاسية على الوطنيين، وحالت بينهم وبين أي عمل علني في سبيل البلاد.

والحقّ أنني منذ اعتقلت حتى إعلان ثورة ديغول لم يكن يمكنني أن أقوم بأيّ عمل إلا الاحتجاج على سوء المعاملة، والمطالبة بحقوق المسجون السياسي، وما يقع في مناقشاتي العادية مع الضبّاط الذين كانوا يتعاقبون على حراستي، لكن الهدنة الفيشية وثورة الجنرال ديغول أتاحتا لي سبيلًا لرفع صوت المغرب وبذل مجهود متواضع في خدمته.

وفي شهر يوليو/تموز سنة 1940، احتلّت جيوش ديغول قرية مويلا الواقعة في جنوب الغابون وهي مقرّ اعتقالي منذ نوفمبر/تشرين الثاني سنة 1937 إلى يونيو/حزيران سنة 1941 وسارت في طريقها إلى مهاجمة العاصمة الغابونية (ليبرفيل أو المدينة الحرة)، وعيّنت الولاية العامّة رئيسًا للعمّال الكومندان روجيه أحد العسكريين الفرنسيين الذين يهتمّون بالسياسة الإسلامية، وقد انقطعت الصلة بالمغرب وسائر الشمال الأفريقي لأن ولاته ظلّوا في تضامنهم مع الماريشال بيتان، وذهب اليوطنان شوفالانجير الذي كان مكلفًا بشؤوني من طرف الإقامة العامّة لينضم للثوار الديغوليين، وبقيت تحت نظر ولاة أفريقيا الاستوائية وأفريقيا الاستوائية في هذا العهد مركز الالتجاء الفرنسي وتنظيم المقاومة للاحتلال الألماني، وبراسافيل هي العاصمة التي حلّت مؤقّتًا محلّ باريس وإليها يلتجئ ديغول كلما ضاق بمعاملة الإنجليز والحلفاء له في لندن.

وكانت السياسة التي اتّبعها ولاة أفريقيا الاستوائية مع الأوروبيين الموجودين فيها هي دعوتهم للانضمام إلى ديغول وإمضاء رسالة تأييد له، أو الاعتقال في أماكن خاصّة بأنصار فيشي، وهكذا دعاني ذات يوم الكومندان روجيه وتحادث معي مليًا في الشؤون الحاضرة، وبشّرني بأن الحال ستتبدّل، وأن الثورة الديغولية ستعمل عملها في قلب السياسة الاستعمارية الفرنسية،

وطلب إليّ أن أكتب للولاية العامّة برأيي في موضوعها، فتملّصت من الموقف، وقلت له يمكنك أن تكتب بنفسك وتخبرهم بأنني كرئيس للحزب الوطني لا أريد إلا الوصول إلى ما يصبو إليه الحزب من تطوّر وتحرير، ومضت أيام كتب فيها الكومندان روجيه للولاية العامّة وسافر إلى براسافيل ثم عاد فقال لي كلامًا يدلّ على أنه لم يجد في الولاة المحليّين نشاطًا واستعدادًا لأن يكونوا على غرار ليوطي - بحسب تعبيره - في العمل لصالح فرنسا.

ثم تحادثنا مليًّا في الحالة الدولية العامّة، وكنت في حديثي معه ضاربًا على الوتر الذي يحسّه الفرنسيون، فطلب إليّ بصراحة أن أكتب رسالة للجنرال ديغول وقدّم لي مشروع رسالة على مثال الرسائل التي يقدّمونها للفرنسيين، فأجبته بأن قضية الخلاف الحاصل بين فيشي وديغول قضية فرنسية محض لا حقّ لي ولا لسائر المغاربة في التدخل فيها. نعم فيما يرجع لمقاومة الألمان يمكنني أن أؤكّد أنه ليس في المغاربة أحد يريد أن يصبح محكومًا لألمانيا أو إيطاليا، على أنه من الوجهة المنطقية ما دامت فرنسا قد دخلت الحرب، وما دام في استطاعتها أن تقاوم فليس من الوفاء أن تخون حلفاءها وتلقي بهم في أحضان الألمان، وتخيس بذممهم وهم في أشدّ الحاجة إليها. وأما فيما يخصّ القضية المغربية فأنا كممثل للحزب الوطني أعتبرها قضيّتي، وأنا مستعدّ للتعاون مع الجنرال ديغول إذا كان راغبًا في أن يحقق أماني الشعب المغربي، ولذلك فمعرفتي بسياسة الثورة الديغولية فيما يخص فرنسا لا تكفي، بل يجب أن أعرف سياسة ديغول المغربية، وحينئذٍ يمكنني أن أعمل في ضوء استنتاجاتي منها، ثم أفضت له القول في سوء حال المغاربة والمجهودات التي بذلها الحزب الوطني في سبيل التوفيق بين حاجيات البلاد والصداقة الفرنسية، فأظهر اقتناعه بأفكاري وطلب إليّ أن أكتبها بنفسي في رسالة خاصّة يتكلّف هو بتبليغها للجنرال ديغول بمناسبة حلوله ببراسافيل في شهر مايو/أيار، وقد كان الجنرال دولارمينا هو القائد الأعلى للجيوش في أفريقيا الاستوائية وهو الكوميسيير الأعلى بها، في حين أن الجنرال سيسي كان مديرًا لمصلحة الصحة العمومية ومعتبرًا في أوساط أفريقيا الاستوائية كالعضو الأهمّ في انضمام الكونغو إلى ديغول، والوالي

العام إيبوى والكاتب العام لورانسي كالعاملين الأساسيين في انضمام إقليم تشاد. وبين دولارمينا وديغول تنافس كبير، في حين أن الآخرين يعدّون أنفسهم مريدين أوفياء لديغول.

كتبت رسالة للجنرال ديغول بواسطة الجنرال سيسي أقصّ عليه بعض ما جرى بيني وبين الكومندان روجيه وأقول له:

(إن المغرب الأقصى المرغم على استمراره في نظام من العصور الوسطى، والذي يرغب في تطوّر شبيه بما وصلت إليه مصر والعراق لا يمكنه أن يقبل تجديد الاحتلال من ألمانيا أو إيطاليا، وهو يعتقد أن حكومة حقيقية لفرنسا الحقيقية جديرة بأن ترضيه بتحقيق أمانيه القومية.

لا أريد أيها الجنرال أن أحدّد في هذه الرسالة مطالبنا، لكنّني أريد أن أؤكّد أنني شخصيًا لا أرغب في جاه ولا مال، بل أرغب في مصالح وطني وحقوقه.

ورئيس الحزب الوطني المبعد منذ خمسة أعوام لا يريد إلا أن يعرف السياسة الجديدة التي ستدشّنونها فيما يخصّ المغرب الأقصى.

إنني لا أمثل شيئًا من ذاتي، وإنما قيمتي فيما أتمتع به من ثقة الشعب، وفيما سأحمله لأمتي من نتائج عملكم الرسمي.

إن ليوطي الذي تحترمونه لم يرتكب أخطاء نوجيس وأمثاله، وقد أعرب عن ندمه على كثير من أنواع السياسة التي اتّبعها بنفسه.

ولقد أيّد الكثير من الفرنسيين حركتنا، فإذا كانت سياسة سعادتكم تتفق مع سياستنا نحن فإن من الممكن لي أن أفعل).

حمل الكومندان روجيه هذه الرسالة إلى براسافيل حيث سلّمها للجنرال سيسي، وهذا الأخير سلّمها مباشرة للجنرال ديغول الذي وعده بدراستها مع الجنرال كاترو في سوريا الذي كان ذاهبًا إليها ليعلن الاستقلال... ورجع روجيه إلى مقر عمله فحدّثني بما جرى وهو متفائل من ديغول، ومتشائم من دولارمينا وأمثاله. ولكنه أكّد لي أن الجنرال سيسي سيجعل محلّ دولارمينا

فتحسّن الحال، وفعلًا سافر سيسي إلى سوريا مع الموكب الديغولي ثم عاد إلى براسافيل كوميسييرًا عامًا لاتّحاد أفريقيا الاستوائية.

ومضت أيام دعي بعدها روجيه إلى براسافيل، وأفهمني معاونه المسيو برواسكي أن القضية تسير سيرها الطبيعي، وأنها كانت من أسباب استدعاء روجيه، وبعدما رجع هذا الأخير أخذ يهيّئ الجوّ لاستدعائي إلى منزله والتحدّث إليّ بأكثر ما يمكن من الأفكار الحرّة، وكان يبعث في نفسي من الأمثال الشيء الكثير، وإن كنت أعرف أن الفرنسيين لا يغيّرون موقفهم ولو حدث من الوقائع أكثر ممّا حدث، لأنهم محافظون في أفكارهم، ومن الصعب أن يتطوّروا بالسهولة التي نظن.

ثم قدم إلى مويلا مبعوث خاصّ من طرف الشؤون السياسية في أفريقيا الاستوائية هو اليوطنان بحري يدعى دولوجران أحد المستعربين الذين كانوا يشتغلون في سوريا مع المسيو بونسو، وأحد الذين حكم عليهم الألمان بالإعدام لانضمامهم إلى الجنرال ديغول، وقد اجتمعت به عدة جلسات تناولنا فيها بتفصيل دراسة الحالة الحاضرة، ثم بلّغني أن الولاية العامّة كلّفته أن يتخابر معي باسم فرنسا الحرّة في شأن المغرب وسائر الشمال الإفريقي؛ لأن الحركة الفرنسية الحرّة يهمّها أن ترضي الأهالي لتستعين بهم على منع احتلال ألمانيا لشمال أفريقيا ومساعدة فرنسا على تحرير بلادها هي الأخرى، وقد بيّنت له استعدادي للتوسّط بين فرنسا الحرّة والوطنيين التونسيين والجزائريين فيما يخصّ تونس والجزائر، وأما فيما يخصّ المغرب فقد أكّدت له استعدادي لكي أعمل ومعي رجال الحزب الوطني لتحرير المغرب من الضغط الألماني متعاونًا في ذلك مع فرنسا الحرّة، لكن هذا التعاون لا يمكن إلا بشرط واحد صريح، هو أن يعلن الجنرال ديغول استقلال المغرب منذ الآن، ثم بعد التحرير يشكّل جلالة السلطان حكومة وطنية تعقد مع فرنسا معاهدة تحالف وصداقة، وقد استمرّت مخابراتنا الثنائية التي لم يتدخّل فيها الجنرال روجيه إلا ببعض الملاحظات ثلاثة أيام، شرحت فيها كل آرائي في مصير المغرب والنظام الديمقراطي الذي سيسود بعد إعلان الاستقلال، وكنت أحيل بعض النقط التي يمكن التجادل فيها إلى

وقت المذاكرة الرسمية التي تجري لعقد معاهدة التحالف بعد الاستقلال والتحرير، وقد اتّفقنا أخيرًا على أن يوجّه اليوطنان برقية لحكومة فرنسا الحرّة يبلّغها فيها خلاصة مذاكراتنا، وقد بعث البرقية التالية:

(تفاوضت مع الأستاذ علّال الفاسي، وهو يقبل التعاون مع فرنسا الحرّة على تحرير شمال أفريقيا من ضغط المحور شرط الاعتراف الناجز باستقلال المغرب، والسيد علال صريح ويتكلّم باستقامة ووضوح، وفضلًا عن نفوذه في المغرب يتمتّع بثقة كثير من زعماء العرب).

ومن الغد تلقّى دو لوجران برقية تطلب إليّ السفر إلى براسافيل عاصمة الكونغو الفرنسي لإتمام المذاكرة مع إدارة الشؤون السياسية.

وقد لبيّت الاستدعاء وسافرت صحبة الضابط المذكور إلى براسافيل حيث اجتمعنا بمجرّد وصولنا بالمسيو لورانسييه الكاتب العام بالولاية العامّة وأحد الذين حصلوا على ثقة كبيرة من وزير المستعمرات المسيو بلوفان ومن الجنرال ديغول في منزله، وكان معنا مدير الشؤون السياسية لأفريقيا الاستوائية، واستمرّت المذاكرة بيننا في جوّ هادئ مدة ثلاث ساعات تناولنا في أثنائها كل الموضوعات المغربية، وكان محور حديثي يدور كله حول ضرورة إعلان الاستقلال لإرجاع الثقة بفرنسا، وعلى أن ثورة الجنرال ديغول يجب أن تكون في الوقت نفسه ثورة للمغرب الأقصى لتحريره في ظلّ العرش العلوي الشريف من النظام الاستعماري الحاضر.

ثم أقمت في براسافيل سبعة أشهر كنت أجتمع في أثنائها بمختلف الشخصيات الرسمية التي ترد على عاصمة الكونغو، وأدافع أمامهم بكلّ حرارة عن الفكرة الوطنية التي اعتقلت من أجلها، كما أشرح لهم وجهة النظر العربية في تونس والجزائر وسوريا ولبنان وأدافع عنها بقدر المستطاع.

وفي يوليو/تموز سنة 1941 وصلت برقية من الجنرال ديغول للولاية العامّة يقول فيها: (لقد درست قضية الفاسي والمغرب وسأحمل معي الملفّ لبراسافيل).

وقد وصل الجنرال إلى براسافيل لحضور حفلات الذكرى الأولى لانضمام مستعمرات أفريقيا الاستوائية إليه، أو ذكرى الأيام الثلاثة المجيدة كما يسمّونها وجاء معه سفير فرنسا الحرّة في أثيوبيا، وهو كولونيل من إدارة الشؤون الأهلية في مراكش سبق أن اشتغل بالإقامة العامّة، وكان مكلّفًا من قبل الماريشال ليوطي بالشؤون المغربية، وقد اجتمعت بالكولونيل في جلسة خاصّة في منزل المسيو لورانسييه وقال لي: (إن الجنرال حدّثه عنّي في الطيارة، وطلب إليه أن يجتمع بي ويتذاكر معي)، وقد تحدّث في موضوع مهمّ وعبّرت له عن أفكاري في ضرورة استقلال البلاد بكل صراحة ووضوح، وفهمت من حديثه أن رأيه لا يتفق مع الاستقلال، بل مع القيام بإصلاحات عملية ومفيدة.

ثم اجتمعت مع الجنرال سيسي في مكتبه بالكوميسيارية العليا بحضرة المسيو لورانسييه أيضًا، فرأيت منه تردُّدًا يتنافى مع ما أخبرني عنه الكومندان روجيه. وقد حاول إقناعي بضرورة استمرار المساعدة الفرنسية للمغرب؛ لأن المغرب لم يزل في نظره غير كامل النضوج للحصول على الاستقلال، فترافعت أمامه مدة ساعتين مدافعًا عن ضرورة الاستقلال وكونه الحلّ الوحيد للمشكلة المغربية.

وجدتني هكذا في جوّ غامض ببراسافيل وفي حالة المنفي المراقب باستمرار ولكنه المكافح باستمرار أيضًا، وقد تكوّن حولي حزبان متناقضان من الرجال الرسميين؛ حزب الوالي العام وكاتبه العام وكان رأيهما ضرورة التعاون معي ومع الحزب الوطني والاستفادة من قوّتنا المعنوية وإن لم يكونا ممن يريدون إعلان الاستقلال على الصفة التي أرغب فيها، بل كانا يقولان بضرورة التوسيع في نظام الحماية وإعطائه شكل استقلال نوعي يرضي المغاربة ويضمن للفرنسيين مصالحهم، وحزب المسيو جيرو رئيس ديوان الكوميسيارية العليا الذي استطاع أن يضمّ إليه الجنرال سيسي وكان من رأيه ترك الوطنيين وشأنهم والاستغناء عن كل مساعدة ترجى منهم لأنها تتطلّب من فرنسا تضحية ليست هي في حاجة إليها.

وطبيعي أن يجرّ هذا التخالف في التفكير إلى التناقض في التدبير، وإلى

القيام بمقاومات من هذه الجهة أو تلك أستفيد منها أحيانًا وأكون ضحيّتها أحيانًا أخرى، ولكن مع ذلك فقد خرجت من طور الهدوء المتعب إلى الحركة والكفاح، وقد أدى الأمر بالمسيو جيرو إلى أن زوّر رسالة ادّعى أنني كتبتها للماريشال بيتان أؤكّد له فيها أن أمل المغرب كله معقود عليه، ولكن من الحقّ أن أسجّل أن المسيو لورانسييه وقف من هذه التهمة موقفًا مشرّفًا؛ إذ دافع عنّي دفاع الأبطال مؤكّدًا أمانتي وشرف القول والسلوك الذي يشهد به كل من تولّى شؤوني من الموظّفين في المنفى، وقد أدّت هذه المناقضات وغيرها إلى أن كان الكوميسيير الأعلى يعطي أوامر تتعلّق بي لبعض الموظّفين فينقضها لورانسييه أو يعطي هو الآخر أوامر ينقضها الأول، وانتهى الأمر بوضع المسيو لورانسييه أمام مجلس الموظّفين التأديبي ولكنه خرج منتصرًا.

ولما رأت اللجنة الوطنية التي يترأسها الجنرال ديغول اشتداد الخلاف بين الكوميسيارية العليا والولاية العامّة في جميع المسائل القائمة ومنها قضية المغرب، وجّهت البروفيسور كاسا المفوّض الوطني في المعارف والعدل للقيام ببحث عام والاتصال بمختلف الأوساط في براسافيل، وقد استدعاني إليه واستفهمني عن آرائي في الموضوع المغربي، فشرحت له فكرتي، كما شرحتها لغيره من قبل، وقدّم له مسيو لورانسييه باسم الحكومة العامّة - على ما أخبرني هو به ـ تقريرًا بقضية المغرب يؤيد إلى حدّ بعيد وجهة نظري، وإن كان لا يحتضنها برمّتها، وعلى ما فهمته من حديثي مع المسيو لورانسييه فإن تقريره يقول بضرورة إعطاء المغرب نوعًا من الاستقلال الذاتي وإسعافه عاجلًا بعدة إصلاحات اجتماعية واقتصادية مهمّة، وكان يفسّر هذا بأن تستعيض فرنسا عن وصايتها الكاملة نوعًا من النفوذ المعنوي تحتفظ به علّ الحكومة الشريفة التي ستكون محلّ ثقة فرنسا بما تمدّها به هذه من العون المخلص والمساعدة الصادقة.

وكان يشتغل بقضية الشمال الأفريقي في عاصمة الكونغو خليفة قنصل إنجلترا العام المستر نيرن، فاسترشد به المسيو كاسا أيضًا، فأعطاه رأيه الذي يتلخّص ـ حسبما روى لي موظّف كبير في الولاية العامّة ـ في ضرورة إعلان استقلال نوعي للمغرب.

وإذا كان ما حدّثني به مسيو لورانسييه بعد نزول الحلفاء في أفريقيا الشمالية واحتجاجي على المعاملة التي ظللت موضوعها منذ وصولي إلى الكونغو صحيحًا - فإن وزارتي الخارجية الإنجليزية والأميركية طلبتا من الجنرال ديغول إطلاق سراحي رسميًا وتركي أدخل مع جيوش الحلفاء مع قبول شرطي في إعلان الاستقلال، وقد قال المسيو لورانسييه بالحرف: (إن الجنرال ديغول غضوب مثلكم؛ فقد كان يريد وضع حلّ للقضية المغربية باتفاق معكم، لكن طلب الإنجليز والأميركان إطلاق سراحكم وإعلان استقلال المغرب أحدث في نفسه تخوّفات،وبعث روح الرجل الذي لا يحبّ أن يعمل تحت الضغط).

ومهما يكن فإن الجنرال ديغول لم يعلن في القضية المغربية شيئًا، والحركة التي قمت بها لم تكن أكثر من محاولة الخطو بالقضية المغربية إلى المدى الذي سارت إليه بفضل جهود إخواني في المغرب من بعد، وإذا كان عملي وصراحتي في الدفاع عن وجهة نظري قد أخّرا إطلاق سراحي مدة ثلاثة أعوام على الأقل ووضعاني في نظام أضيق من نظام السنين الأولى، فإنني في أيّ حال أرضيت ضميري بتحقيق ما كنت أصبو إليه في منفى لم يكن - والحق يقال - لي يقين في الخروج منه، كما أنني اقتنعت جيدًا بأن المستعمرين متفقون على اختلاف نزعاتهم وفي سائر ظروفهم على التخوف من الاستقلال، ووجوب الاحتفاظ بالمستعمرات، وإن كانوا يبيحون لأنفسهم ولأذنابهم استعمال لفظ الاستقلال في كثير من الأحيان، وهم لا يقصدون إلا التوجيه نحو الإدماج أو ما يقاربه من أساليب. ولما جرى نزول الحلفاء بشمال إفريقيا أدركت أن دور فرنسا الحرّة قد انتهى، وأن الظروف ستسمح لا محالة باستئناف إخواني للجهاد، فاقتنعت بأن واجب تبليغ صوت المغرب للفرنسيين الأحرار قد كمل أداؤه، وأن الخير في ترك المجال للذين في المغرب ليقولوا كلمتهم، فيرى الفرنسيون صحّة ما تنبّأت به من تطوّر في الفكرة التي اختمرت في نفوس المغاربة جميعًا، وأعلنت في محادثاتي مع الولاة الرسميين أن كل مفاوضة يجب أن تقع الآن مع ممثلي الحزب الوطني في المغرب، وأنني متضامن معهم في كل ما يفعلون.

عواطف شعرية

هذه عواطف شعرية رقيقة آثر أن يسجّلها
في ديوان حين منعته ظروف المنفى
القاسية من بعثها مباشرة كرسائل مباشرة

بيني وبين الوالد

بالأمس وصلتني رسالة من الوالد تمثّل فيها بالأبيات الآتية:

سأفزع للريح الشمال لعلّها تخفّف وجدًا قد تلجلج في صدري
تبلغ مني للبنيّ تحيّة معطّرة الأرجاء دائمة النشرِ
تظلّله في حرّ كل هجيرة وتؤنسه في وحشة البلد القفرِ

ولما بعثت له الجواب في هذا اليوم ضمّنته الأبيات الآتية:

تروّحت من ريا الشمال تحيّة أرقّ من النجوى وأسرى من الخمرِ
كبرد الشراب اللذّ في محفل الهوى وبرد الشباب الغضّ في الزمن النضرِ
فأهدي إلى كلّ الأحبّة مثلها ترفرف بالبشرى وتأذن بالبشرِ

2 جمادى الأولى 1359هـ 8 يونيو/ حزيران 1940م

إلى والدي

اليوم تسلّمت من الوالد رسالة يظهر فيها أثر القلق والتأثّر من بعدي عنه. وقد آلمني ذلك وهاج في نفسي ما أملى هذا القصيد في نفس متتابع. ومع الأسف إنه لا يمكنني أن أوجّهها له فتخفّف عنه قليلًا من لوعته التي لا تنطفئ إلا باللقاء.

والدي أيها الحنون: تصبّر ... لا يضام الذي له الله جارُ

إن أكن مبعدًا عليك فعندي ... من حمى الله حلّة وإزارُ

وبنفسي عقيدة ليس يبليها ... زمان وعزمة وانتظارُ

ولئن كنت قد جزعتَ على بعدي ... فما في الوفاء للحُرّ عارُ

وقلوب الآباء أحنى على الأبناء ... من ذاك صبرهم ينهارُ

ولئن كنت قد بكيت فقدمًا ... قد بكى يوسف الأب المختارُ

ما ترى الصخر وهو أمتن قلبًا ... ربما سال ماؤه الفوّارُ؟!

غير أني وإن تألّمت يومًا ... ففؤادي صلد عليه أوارُ

ما يفيد البكاء والجزع المضعف ... عن ما جرت به الأقدارُ؟

كل شيء إلى انتهاء فإما ... جنة[1] في نتيجة أو نارُ

وجميل الفعال يدركه اللطف ... وإن ألهبت له الأحجارُ

ربّ من أبصروه في النار يلقى ... وهو في جنّة بها يزدارُ

إن جسم الفتى لكالحطب البالي ... ولكن للروح نعم القرارُ

(1) ليس المقصود الجنة والنار الأخرويين. ولكن جنة الفوز ونار الإخفاق.

نار نمرود لم تنل أصدق الخلق ... وأودى بمضرميها الخسارُ
ورسول الإله موسى أما أخرجه ... من بلاد مصر ائتمارُ[1]
غير أن (الفرعون) لم يستفد ... بعد سوى أن يغوله التيارُ
ويسوع المسيح قد حاولوا أن ... يقتلوه فما عداهم بوارُ
قيل مات[2] المسيح أو عاش لكن ... لم يزل لليهود منه دمارُ
حينما كان في الدعاة أصابوه ... بكيد وبعد ذلك خاروا
يا ترى لو لم يفعلوا صار عقدًا ... للفدا أو ألوهة تستجارُ!
فعلهم ردّه إلٰهًا فأضحى ... وعليهم دومًا له استغفارُ
ورسول الإلٰه خير البرايا ... ما عدته إذاية وحذارُ
وثلاث من السنين قضاها ... عند شعب يناله الأغيارُ
وبنو هاشم جميعًا إليه ... معهم أهل دينه الأطهارُ
عقد الكافرون أن يهجروهم ... لا شراء لا بيعة لا خيارُ
وغدا المسلمون في شعب ... الأرض حيارى لأنهم أخيارُ
ثم راموا قتل النبي ولكن ... هالهم من إعجازه إعصارُ
وحماه مع الصدّيق (ورب العرش ... يحمي من يرتجيه) الغارُ
أين من كاد للرسول وهل عادوا ... سوى عبرة بها يستنارُ

---

(1) إشارة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

(2) إشارة للفرق بين العقيدتين الإسلامية والمسيحية. وللخلاف الموجود في هل مات المسيح ثم رفعت روحه أم ما زال حيًّا. ورفع بجسده وروحه. وهو خلاف داخل المذاهب الإسلامية. فقد نقل عن الإمام مالك القول بموته. وحقّقه عنه الأبي في شرح مسلم. وكذلك هو خلاف داخل المذاهب النصرانية. وكل ذلك راجع لفهم الآية: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾. ونحن نريد في القصيدة إثبات الاحتجاج بأنه لولا محاولة قتله (سواء مات أو لا) ما نتجت من ذلك عقيدة الصلب والفداء واعتبار المسيح إلهًا وابنًا لله. سواء كان ذلك صحيحًا أو لا. لأن الشّعر ليس لتقرير العقيدة. فإذا كان ذلك غير صحيح فإن هذه المحاولة أوجدته. وإن كان صحيحًا فإنها كشفته كما يقول المسيحيون.

يا ترى؟ لو لم يفعلوا كان للدّين لدى كل العالمين انتشارُ؟
إن من يبتغي الدعاية للعقد يفز ما أصابه استنكارُ
كل فرد يلقى الإذاية يحيا إنما عاشت بالأذى الأفكارُ
ذاك في الدّين والعقيدة خدن عرفته الأعصار والأمصارُ
فلتسر في البلاد وانظر وشاهد فعلى الأرض تكتب الأخبارُ
إن فيها من العظات بيانًا ولا تؤديه الكتب والأسفارُ
وكفى اليوم من بني السين[1] من كادوا لنفيي ففيهم استعبارُ
ما فرنسا؟ لولا رجال على الفكر استماتوا وأنهم أحرارُ
أبصروا الشعب رازحًا تحت أثقال من الظلم والإسار فثاروا
ودعوا قبل بالتي هي أولى فعراهم قتل بها وإسارُ
كم دماء أسالها ملك عاتٍ وقيّد للحرّ منه احتقارُ
وقضايا على الأماجد ألقاها رجال بدينهم تجّارُ
لم يجيئوا ذنبًا ولا ارتكبوا إثمًا سوى أن فكرهم نظارُ
طلبوا الحقّ في التساوي ولكن كيف يرضى بذلك الجبارُ؟
ودعوا للتحرير وهو مثال لحقتهم من أجله أكدارُ
أين من قاوموهم الأمس هل عاد لهم ما بين الورى إكبارُ؟
أين تيجانهم وأين مبانيهم؟ غدت متحفًا به استهتارُ
أين (باستيلهم)[2] وأين مشاة حرسوه وهل لهم آثارُ؟
ألهم هذه التماثيل تعلى كل حين يؤمها الزوّارُ؟
ألهم هذه المعاهد تبنى ملؤها العلم والسنا والوقارُ؟
ألهم راية الفرنسيس تعزى وإليهم شعارها والفخارُ؟

---

(1) بنو السين هم الفرنسيون. نسبة للنهر الذي يشق عاصمتهم.

(2) سجن الباستيل هو الذي هدمه رجال الثورة الفرنسية وأطلقوا من كان معتقلًا به ظلمًا وعدوانًا.

أين أبناؤهم؟ أما هم يعيشون ... لدى غير قومهم ليجاروا؟
لو رعوا حرمة العقيدة والفكر ... لما حلّ فيهم الإنذارُ
ذاك ما كان من بني السين ... والقوم سواء نجارهم والدّارُ
كيف بالفكرة التي يعتريها ... من سوى قومها الأذى والحصارُ؟
كيف بالأجنبي يظلم قومًا ... ما له ذمّة بهم أو جوارُ؟
ليس من قد رمته إحدى يديه ... كرمي يصيبه الأغيارُ
ليس هذا في النفس يشبه هذا ... ولحكم النفوس الاستئثارُ
وإذا اشتدّ بالفتى ألم العضو ... رأى القطع وهو فيه انجبارُ
وإذا كان العضو يقطع للراحة ... فالأمر في سواه جبّارُ
غير أن النفوس تصبر حتى ... ليرى أنه محاها الحذارُ
وكذاك الشعوب تهدأ حتى ... ليرى أنه عراها اندحارُ
وكذاك الأفكار تخمد حتى ... ليرى أنه انطفا الاستعارُ
فإذا اغترّ الحاكمون بهذا ... كان منهم بما أتوه انتحارُ
يمعن الظالمون في الظلم حتى ... يعتريهم من ظلمهم إعصارُ
ويرون الضعيف أحقر من زبل ... وفي ذلك الهلاك الكبارُ
إن زبل الضعيف يوقده الحقد ... فيعتزّ منه الاستيجارُ
ذاك لو يفهم (الفرنسي) قولي ... خير نصح يبكي له النظارُ
أنا لا أبتغي إلى القوم سوءًا ... إنما يبتغي الأذى الأشرارُ
إن حبّي يعم كل بني الأر ... ض وإن عمت منهم الأخطارُ
وعجيب أن يذهلوا عن جلي ... الأمر أو أن يعمهم إنكارُ
و(بسعد)[1] الجليل درس وفي ... (عبدالكريم) العظيم نعم المنارُ

---

(1) سعد الزعيم المصري رئيس حزب الوفد، وقد نفي مرارًا إلى شيسل وطنطا وجبل طارق. لكنّ ذلك لم يخمد الحركة الوفدية ولا قضى عليها. بل زادها تقدّمًا حتى توصلت إلى=

ورجال الشآم كيف استردّوا حقّهم والحروب نقع مثارُ
للفلسطينيين منهم[1] وإن أبعد أبطالهم هدى وائتمارُ
منهم من قضى ففاز ومنهم من له للوفاء مثلي أنتظارُ
والقطار السريع يمشي وإن يمض قواد فعوضهم سيارُ
ووراء الجميع يمشي من الشعب حداة وجمعهم جرارُ
وحقوق الإنسان كيف أباحوا هتكها وهي فيهم تمتارُ؟[2]
ربما يغفل اللبيب فيأتي عملًا ما لمثله أعذارُ
غير أن الأغلاط تجلب للحاكم ما لا يرده استغفارُ
وإذا الحاكمون لم يعرفوا للشعب حقًّا فما عليهم قرارُ
وإذا هم لم يكبروا حسّه النفسي أعياهم بعده الإكبارُ
وإذا ما اضطهادهم عمّ حتى الفكر فالويل نازل والشنارُ
هذه سنّة الطبيعة في الكون وأمر الأكوان لا يختارُ

❋ ❋ ❋

أيها الوالد الحنون تصبّر ليس في الأمر ذلّة أو عارُ
ما لقينا إلا الذي لقي القوم وفي ذاك رفعة واعتبارُ
إن أكن مبعدًا فذلك للفكر على كل حالة إظهارُ
إن قومي قد آمنوا بمبادٍ هي نور يهدي بها الأبرارُ
وبعادي يزيد قومي إيمانًا وحبًّا فيكمل الانتصارُ

= النجاح العظيم بإنقاذ مصر من الاستعمار الإنجليزي. وكذلك رجال الشام الذين عاشوا مبعدين كالأمير شكيب ونحوه. وأما زعيمنا عبدالكريم فهو وإن ظلّ معتقلًا فإن الروح القومية التي أجّجها بثورته في نفوس المغاربة لم تخمد. ونحن إلى الآن مثال لمبدأ التحرير الذي أشاد به. ردّه الله إلى بلاده سالمًا.

(1) ضمير منهم يرجع للشاميين. وهذا احتراز من التقسيم الاستعماري لشمال الشام وجنوبه.

(2) هذا البيت عود للعطف على البيت (70).

وإذا كـان الـيـوم مـنـهـم لـدى — الـسـجـن أو الـنـفـي معشر أحـرارُ
فـبـهـم تـدرك الـبـلاد الأمـانـي — ويـشـاد الـعـلـى لـهـا والـفـخـارُ
وبـهـم ترجع الظلامات للشعب — ويـنـفـى الأذى والاسـتـعـمـارُ
ليس بعد الليل المحاق سوى — مطلع فجر يجلو سناه النهارُ
إنما الحقّ غاية تعذب الآلام — فـيـهـا ونـعـمـة تـشـتـارُ[1]
فاصطبر يا أبي العزيز فعندي — لك ما دمت في البعاد اصطبارُ
وبقلبي عليك من ألم الوجد — لـهـيـب يـذكـو بـه وأوارُ
أنت لي الوالد الذي لم يخن — عهدي ولا غرّه علي النضارُ[2]
كم أبٍ باع بالوظيف بنيه — فـدعـاهـم من فكره إعسارُ
وأبت منك رقّة القلب والهمّة — حـتـى أصـابـك الإقـتـارُ
فاصطبر يا أبي فإن مصابي — لك فوز تمحى به الأوزارُ
وأنا ـ ما علمت ـ آسى لما — تلقاه مني وحسبي الإقرارُ
وبودّي أن لا أفارقك اللحظة لو — بـالـنـفـس كـانـت تـعـارُ
وبعيني لو أبعث الدهر ما يسلّيك — حـتـى يـخـفّ عـنـك الـمـرارُ
من قريض قد أحكمته القوافي — وحـديـث يـلـذّه الـسـمّـارُ[3]
وأرى منك مثل ذلك نثرًا — حـسـدت نـظـم درّه الأشـعـارُ
وبـنـفـسـي أفديك لو لم يك — الأمر إلى مبدئي الذي أختارُ

---

(1) قولي ونعمة تشتار وهو من أبلغ ما نطق به شاعر فيما أرى. لما فيه من الإيجاز المتضمّن لمعنى جيد مشهور. فلو ذهبت تعبّر عنه لقلت: إن الحرية التي نطلبها هي نعمة لذيذة تستلذ في سبيلها العقبات والمثلات. كالعسل فإن الذي يريد أن يطعم حلاوته لا بد من أن يصبر لإبر النحل.

(2) لطالما حاول القوم أن يفصلوا الوالد عنّي، وأخيرًا لما أعياهم ذلك كادوه وعزلوه من وظيفة القضاء التي كان فيها. وغرضهم أن يؤثروا في الناحية (الضعيفة) فيه. ويضيقوا عليّ بما أنه هو الذي يطعمني ولكن الله سبحانه رزقنا وقوّى الوالد فلم يعبأ بشيء من ذلك.

(3) جمع سامر: الذين يجتمعون لحديث الليل.

غير أن العزيز يبذل في الأمر الأعزّ الذي له الإشعارُ

فاغتفر لي الذي جنيت فما في الفعل قصد ولا لديّ اعتذارُ

وعسى أن يكون بذلي فداء لبلادي فينتهي الإضرارُ

وعسى أن يمنّ ربي بوصل يرفع الإصر عنده والإسارُ

إن ربّي لما يشاء لطيف وهو الله الواحد القهّارُ

3 الربيع النبوي الأنور 1358 هـ 23 أبريل/ نيسان 1939م

إلى حرمي العزيزة
(1)

بمناسبة الذكرى الثامنة لزواجنا. ومناسبة مرور سنة كاملة على غيبتي عنها قد وجّهت هذه القصيدة وأجابني الوالد بوصولها وازدهاء للا زهراء لسماعها.

عام مضى لي لم أشهد محيّاكِ ... ولا نعمت على وجدي بلقياكِ
ولا سعدت بقرب منك يمنحني ... وجدان قلبي في وعي وإدراكِ
ولا حظيت بساعات تعرفني ... معنى الحياة متى أخلو لنجواكِ
غدوت عنك بعيدًا لا تطيقين لي ... وصلًا وإن كنت تبغيني وأهواكِ
أخلصت حبّك حتى ما تحسّين لي ... سلوى ولا لي من قلب لسلواكِ
ولي بقلبك ذكر ليس يلحقه ... نسي وحاشاي طول الدهر أنساكِ
سريتِ لي في ظلام الليل زائرة ... رغم السدود وكم أحمدت مسراكِ
يبيت ليلي في حلم يحدّثني ... عن ما ترينه من حالي برؤياكِ
أصبحت أعشق حتى النوم حيث به ... أعيش عندك محفوظًا بمغناكِ
وللرؤى وتهاويل الخيال بها ... مسرّة لفتى كالطفل ضحاكِ
في كل وقتي ذكرى ليس يفصلها ... إلا التفكّر في أنسي بذكراكِ
وحّدت حبي كما وحدت كل هوى ... فليس يعرف قلبي أي إشراكِ
وللجَمال مكان لست أجحده ... في حبة القلب مثواه كمثواكِ
عرفت أني أهواه وأعبده ... عبادة الشّعر في تقديس أملاكِ
لكن تخذتك تمثالي أهيم به ... مقدّسًا فيك ما توحيه معناكِ
وقد جعلتك محرابي بمعبده ... فلست أسجد إلا في مصلاكِ

إني لأغمض عيني أن ترى أبدًا وجه العواتق ما أعدمت مرآكِ

حفظت غيبك[1] في باريز محتسبًا مودّة الغانيات الغيد قرباكِ

فكيف بي بعدما عوّذت حبّك لي بالسبع[2] ثم بهذا الموسم الزاكي

أنا المحبّ وما لي عنك ملتحد ما كان أحلى الهوى عندي وأحلاكِ

عرفت معناه في ساعات أنسكِ بي وذقته حين ضمّتني حناياكِ

فتحت قلبي للدنيا وبهجتها وكنت أول مصباح لأحلاكي

علّمتني أن أرى الأيام باسمة إذا رآها عبوسًا بعض نسّاكِ

وأن أعيش على هزء وسخرية بكلّ ذي لوعة من جبنه باكِ

❋ ❋ ❋

حبيبتي ليس هذا البعد يفصلنا ولا المنية تنئي عنك مولاكِ

أنا بحبّك مسرور ومغتبط والحبّ لا بدّ يدنيني لملقاكِ

دومي على ثقة بالحبّ إن له سريرة طالما أولتكِ بغياكِ

ولي بحضنك أربون وضعت به نوار حبّي فوّاحًا بليلاكِ

نظمتها[3] باقة زهراء عاطرة من روض روحي بها الإخلاص حياكِ

تركتها كنغير ما يزال لدى عش الغرام تغطّيه جناحاكِ

عشّ بنيناه من ورد ومن زهر تظلّه كرمة منها حمياكِ

تعهديها بسقي من عصير هوى من كرمة القلب عاطتنيه لعساكِ

وعاوديها بنبع من قرارته ماء الحياة سقتنيه ثناياكِ

---

(1) إشارة لمدة إبعادي الأول عام 1934م حيث بقيت في باريس سبعة أشهر حافظًا لغيب زوجتي.

(2) المقصود بالسبع سبعة أعوام التي مضت على زواجنا قبل خروجي. ثم هذه السنة. وفي التركيب إشارة بالسبع وبالموسم إلى السبع المثاني والمواسم الزكية الطاهرة على قاعدة المتصوفة.

(3) الضمير نظمتها يعود على ليلى. وهي البنية. ذلك اسمها.

ولقّنيها أغاريد الشباب على ... أنغام حبّي في فردوس مغناكِ
بين الرياض وقد هبّ النسيم على ... خدّيك يحمل لي من طيب ريّاكِ
والبدر صِنْوُكِ يضفي من معاطفه ... عليك من حيث يرعاها ويرعاكِ
ومهجة (الشيخ)[1] لا تألوكما قدسًا ... في ظلّه طاب محياها ومحياكِ
حتى إذا جمع الله الشتات لنا ... قرّت بليلاي عينانا[2] وعيناكِ

زوجك المخلص: علال
19 رجب 1957هـ 14 سبتمبر/ أيلول 1938م

(1) الشيخ: الوالد أبقاه الله.
(2) أنا ووالدي.

إلى حرمي العزيزة
(2)

زهرا العزيزة كم أكابد فيك
وأهيم من وجدٍ إلى واديكِ

ويزيدني طيب أدكارك لوعة
تقضي على صبري وحسن سلوكي

وأكاد من حرق الصبابة والجوى
أن أستكين لدمعي المسفوكِ

وأكاد أعلن في الغرام شكايتي
لولا إبائي حالة المنهوكِ

قد كان لي بالقرب منك تعلّل
مذ بات يسقيني الهَنَا ساقيكِ

حتى إذا شطّ المزار وصرت في
حال المحبّ الهائم المفروكِ

لاقيت فيه من الغرام شديده
فعرفت أني لست بالمتروكِ

ولكم تجاهلت الهوى ويقينه
حتى تبدّى دون أي شكوكِ

وخلوت منفردًا إلى نفسي فلم
أظفر بأنسٍ عندها مسلوكِ

وسريت ألمس في الوجوه ضياءه
فإذا به في ظلمة الحلكوكِ

ونظرت في شمس العشي وإنها
لتميس بين شعاعها المحبوكِ

وخلوت أرقب في السماء هلالها
بين النجوم كموكب ومليكِ

وغدوت أغشى الروض في أنواره
من كل موشي بها ومحوكِ

وأصخت للصداح تابع شدوه
ما بين أغصان وبين أريكِ

وسمعت للوادي يرن خريره
والشمس تمنحه نثار سبيكِ

ولمست قلبي أستحس هناءه
فإذا به في وحشة الصعلوكِ

قلبي إليك فليس يبعث وعيه
إلا وصال في ربى واديكِ

ما في البرية كلّها حسن إذا
أشرقت لي شمسًا بغير دلوكِ

فإذا حجبت فكلّ شيء في الورى متجهّم القسمات غير ضحوكِ
أخلصت فيك الحبّ حتى لم يكن لك في صميم النفس أي شريك
ولقد لزمت الحبّ فيك مقرّبًا حاشاي بعد البعد أن أسلوك
وأرى الأوانس مائسات كالدمى ما بين غانية وبين هلوك
لم يسبني إلا جمالك مشهدًا أو يشفني إلا مراشف فيك
فارعي ذمامي في الهوى فمن الوفا أن تحفظي العهد الذي أحبوك

13 ذو الحجة 1359هـ 12 يناير/ كانون الثاني 1941م

ذكرى مناجاة عابثة

أزهرا. وما لي لا أناديك: يا زهوا ... وأحلى الهوى أن نمنح القلب ما يهوَى

ولاسمَيْكِ معنى في فؤادي عرفته ... وألـفـيـتـه لـذًّا وألـفـيـتـه حـلـوَا

دعيني أعبث باسمك الآن مثلما ... عبثنا بساعات التكالم والنجوَى

فـؤادي ظـمـآن لـوصـلـك كـالـح ... وربتما قد كان في اسمك ما أروَى

إذا لـم تـكـونـي فـي يـدي فـإنـنـي ... سأسري بصحراء الحياة على عشوَا

دعـيـنـي أردّد مـا تـشـاء صـبـابـتـي ... فربتما قد كان في الذكر لي سلوَى

وكم قرّبت ذكرى الحبيب لقاءه ... وكم آنست نفسًا وكم عمرت خلوَا

على أن لي في محض ذكرك لذّة ... تـبـاعـدنـي عـن مـشـهـد كـلّـه بـلـوَى

أنادي وأصغي حيث لاسمك نغمة ... أحسّ لـهـا وقـعًـا بـروحـي قـد دوَّى

دعيني أخطف[1] قلبك الآن ربما ... تطيقين إعلان الصبابة والشكوَى

أنادي يرفرف[2] حاجباك فأنتشي ... ويجذبني طرف الحبيبة للمثوَى

أعـاود مـن ذكـراك كـل سـويـعـة ... وجدت بها طعم الحياة كما أهوَى

لدن قد تناولنا العناق على الهوى ... وقلدتني لدنًا يميس كما الحلوَا

وعاطيتني من ريقك العاطر الشذى ... مقطرة من ثغرك الألعس الأحوَى

---

(1) تتحدث الخرافة المغربية أن المحب إذا ذكر اسم محبوبه خطف قلبه فلم يستطع المكث بعيدًا عنه.

(2) وتتحدّث الأسطورة أيضًا أن رفرفة الحاجب تنمّ عن قرب لقاء المحبوب والسلام عليه. وأن هذه الرفرفة تنشأ عن الذكر المكرّر من المحبّ لحبيبه.

وبـاذلـتـنـي أغـنـيـة الـحـبّ ردّدت أهازيجها روحي التي تحسن الشدْوَا
أنـادي: زُهـيـوا - إن أصـغّـرك مـرة تعيشين صغرى تعشق اللعب واللهْوَا
وأخشاك! لا ما إن تعودي شويخة وحقّ الهوى: إني نطقت بذا سهْوَا
سُهيوا؟ بنطقي لثغة لست قاصدًا محاكاة ما تبدين في النطق يا سهْوَا
كذبت؟! أما إني ابن فاث علمتني وغحماك[1] إني لن أعود له لغْوَا
تقولين: تـهـواني؟ إذن فـأعـد لـنـا عناقًا ينيل النفس غايتها القصوَى
.. زهيوا. لو أن الحبّ يوزن قدره لكان غرامي فيك أكبر من رضوَى
وأنـت. أتـبـغـيـنـي؟ إذن فـتـرفّـقـي فتاك وهاك الروح لا جسمي النضوَا
... لك الله! إني قد بذلتك في الهوى جمالي وما لي من فتون به أقوَى
تـخـيّـر فـهـذا الـورد أحـمـر إن تـشـأ وذا النرجس الفتّان يملؤني سطوَا
وذا المبسمُ المفترّ عن وضح الضحى وذا الجيد لم تُحْبَ الضباء له صنوا
فخُذْ كل ما تبغيه ذكرى محبتي وأربون ما لي في غرامك من دعوَى
.. أعبيك طرًّا ها ذراعي فاملئي فـؤادي تـولـيـه الـسـعـادة والـزهـوَا

❊ ❊ ❊

وعـدنـا إلـيـهـا قـبـلـة خـفـقـت لـهـا نـبـاط فـؤادينـا وواصـلـت الـنـزوَا
وكـان لـعـيـنـيـنـا حـديـث مـرجـع نـحـس بـه يـسـري إلـى قـلـبـنـا تـوًّا
وسـادت عـلـيـنـا غـفـوة دخـلـت بـنـا إلى عالم الأحلام في يقظة حلوَى
وصرنا على ما بيننا من تمازج نـودّ لـو أنّـا قـد مـحـيـنـا بـهـا مـحـوَا
هنالك غشانا لدى سكرة الرضا لهيب وعبانا... إلى سقر المأوَى!؟

رجب 1357 هـ أغسطس/ آب 1938م

(1) كل هذه لثغات فاسية: إبدال الراء واوًا. والزاي سينًا. والسين ثاء. والراء غينًا. والكلام على جهة العبث والهزل.

ذكرى عهدة غرامية

انتبهت صبيحة اليوم وفي نفسي من الشوق والوجد لحرمي العزيزة ما عرض بنفسي صورًا مضت. وزادني حنانًا للاستغراق في تلك الذكريات كسل النعسان المستيقظ ثم أخذت أتغنّى بهذا القصيد حتى تجاوزت الخمسة عشر بيتًا. فأقامني حرصي على تسجيلها فكتبتها وأتممت صورة القصيدة التي هي من وحي الوسادة.

أما الغرام فإنني ... قد ذقته وعرفتُهُ
والوجد بعد تغرّبي ... عمّن أحبّ وجدتُهُ
والشوق والألم المبرح كل ... ذاك ألفتُهُ
والهجر ممن لا يودّ ... الهجر قد لقيتُهُ
فمتى يعاد لنا الوصال ... فإنني قد شقتُهُ
لا أنني أشكو هواك ... فإنني استعذبتُهُ
لكنّما للوصل بعد ... الهجر معنى شمتُهُ
أما السلو فليس لي ... فيه سبيل رمتُهُ
أأريد للقلب المحاق ... وبالغرام أنرتُهُ؟
أأريد للجسم الفناء ... والهوى أنعشتُهُ؟
أأريد للعيش الخناق ... وبالهوى روّحتُهُ؟
أأريد في روضي ذبولًا ... بعدما أحييتُهُ؟
إن الهوى (والموت فيه هو ... الحياة) رغبتُهُ
حاشاي أن أرضى به ... بدلًا ولو ألزمتُهُ

فشقي عزيزة بالغرام ... فإنني استحليتُهُ
مذ ثم ما بين الزهور ... على العناق طعمتُهُ
أيام كنتِ بجانبي ... ولك الحديث بثثتُهُ
والبدر نور شعاعه ... في وجنتيك لمستُهُ
ولماك سكري باللحاظ ... مزجته وشربتُهُ
والزهر أرسل نوره ... فلقطتِه ولقطتُهُ
ووضعت منه أمامنا ... طبقًا عليك أفضتُهُ
والياسمين جمعتها ... ولك الخمار[1] نظمتُهُ
وبسمت لي إذ في مكان ... قلادتيك وضعتُهُ
وسبيتني فضممته ... وغممته وشممتُهُ
والحوض كالمرآة وجهك في ... سناه لمحتُهُ
لم أنس إذ سابقتني ... عريانة فدخلتُهُ
ونقزت تطلبني به ... وكأنني ما عمتُهُ؟
ورميت لي من مائه ... وأنا عليك رميتُهُ
ومججت في وجهي ولكن ... في الفضاء لقمتُهُ
وكأنه الشهد اللذيذ ... ألذّني فاشترتُهُ[2]
وعدوت نحوك فاختبأت ... كأنني ما ذقتُهُ
وأخذت منك الخيزران ... بساعدي فطويتُهُ
ثم ارتميت على العناق ... بحوضنا وغطستُهُ
وكأننا سمكان أو ... صدف هنالك خلتُهُ
ووجدت تحت الماء كاللهب ... الذي أحسستُهُ

---

(1) الخمار قلادة تنظم من الزهور ولست أتحقّق عربيتها والكلمة العربية هي: السخاب.

(2) اشتار العسل إذا اقتطفه وجناه.

فكأنّه بيت الجحيم مع الحبيب سبحتُهُ
ورضاب ثغرك كالرحيق مصصته ورشفتُهُ
وسمعت قلبي خافقًا والقلب منك سمعتُهُ
وتخاطبت روحي وروحك بالذي ما اعتدتُهُ؟!
هل تذكرين عزيزتي ليلي الذي أحمدتُهُ
فهناك عهد الحبّ (يا نور العيون) عقدتُهُ
فأرعى ذمامك في الغرام فإنني قد صنتُهُ
وثقي بإخلاصي لحبّك إنني ما خنتُهُ
طول البعاد يزيد في ما كنت قبل وجدتُهُ
فيعود من ذكراك لي زمن ألذّ هويتُهُ
كم من صباح في مناجاة الغرام قضيتُهُ
مستحضرًا زمنًا به هذا الخيال أفدتُهُ
فيتم أنسي في الهوى وكأنّني جددتُهُ[1]
فعسى يعاد لنا اللقا فيتم ما أملتُهُ
وترين عهدي ما علمتِ على الجوى وعلمتُهُ
الله يجمع شملنا وهو القدير رجوتُهُ

3 الربيع النبوي الأنور 1359هـ 22 أبريل/ نيسان 1939م

(1) الضمير يعود على الأنس.

ليلى: ابنتي

ليلاي حبّة قلبي … حميمتي المحبوبَهْ
أنّى تعيشين دوني؟ … على البعاد غريبَهْ؟
محبّتي لك تذكو … متى ذكرت مكانكْ
قلبي يردّد شدوي … متى ذكرت حنانكْ
نفسي تطير وتعلو … مع السحاب المبدّدْ
في الشمس ترجو لظاها … وفي الليالي تشرّدْ

* * *

ليلاي هل تبغين؟ … ليلاي هل تنشدِينْ
ليلاي هل تقرئين؟ … ليلاي هل تعرفِينْ
هذا أوانك منّي … نعم وكيف السبيلْ
إن الزمان ليمضي … وليس يشفى الغليلْ
قد كنت شجرة ورد … وكنت وردي وزهرِي
فكان حظّي شوكي … وكان نوري لغيرِي

* * *

مثال نفسي وقلبي … هل تفهمين غرامي؟
هل تسمعين غنائي … في عالم الأحلامِ
أهواك أهوى مثالي … وذاك أطهر حبِّ

أهـوى خـيـالـي وشـعـري   أهـوى حـلالـي وعـذبِـي
أريـد فـيـك خـلـودي   أريـد فـيـك بـقـائـي
أريـد فـيـك سـمـوّي   أريـد فـيـك رجـائـي

براسافيل 23 فبراير/ شباط 1942م

الرسائل

فصل الرسائل

من الرسائل التي احتفظ الزعيم علّال رحمه الله بنسخ خطّية:

ثلاث موجّهة إلى سلطات المنفى أو سلطات الحماية الفرنسية في المغرب.

وواحدة إلى والده رحمه الله.

وواحدة إلى حرمه للا زهراء.

وثلاث إلى صديقه أحمد مكوار في فاس.

وهي الرسائل التي رأيت أن ألحقها بهذه المذكّرات. مضيفًا إليها جملة من رسائله الشعرية العاطفية إلى حرمه المصون وبعضًا من رسائل والده البليغة وثلاث رسائل من صديقه الوفي أحمد مكوار لتكتمل بذلك الصورة عن حياة الزعيم علّال في منفاه السحيق بالغابون.

والرسائل هي كما يلي:

الرسالة الأولى

من الزعيم علّال
إلى مدير الشؤون السياسية في المغرب الأقصى ونصّها:

الحمد لله وحده

صاحب السعادة مدير الشؤون السياسية في المغرب الأقصى،

سيدي المدير

أتشرّف بأن أبلغ سعادتكم أنه نظرًا إلى تخيّر الحكومة لي في نقل عائلتي الخاصّة إلى منفاي في الغابون فإنني أختار مجيء العائلة وأرجوكم إرسالها لي، ولكنّني أوجّه نظر سعادتكم إلى نقطة أساسية وهي مقدار العلاقة الموجودة بين البنت وأبويها وكلّ أقاربها في الحياة الاجتماعية المغربية التي تعرفها سعادتكم فلا يمكن أن تبقى حرمي معي هنا دون أن تتطلب مواصلة منظّمة مع أقاربها ودون أن تذهب كلما اقتضت الحال لصلة الرحم.

وبناء على ذلك فأرجو أن تتكلّف الحكومة بنقل زوجتي لصلة الرحم مع أقاربها كلّما مضت المدة التي تتطلّب ذلك في السفر العادي وتتكلّف أيضًا بتنظيم بعث المراسلة التي تجري بيني وبين العائلتين.

أرجو أن تكون هذه النقطة آخذة حظّها من اعتبار سعادتكم واعتبار الحكومة المغربية لأنها أساسية في مجيء زوجتي إلى منفاي.

وتقبلوا سعادتكم فائق الاحترام وعظيم التمنيات الطيبة

المبعد: محمد علّال الفاسي

مويلا 15 يناير/ كانون الثاني 1938

الرسالة الثانية

من الزعيم علّال
إلى حاكم الكونغو الأوسط وهذا نصّها:

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدي محمّد وآله وصحبه وسلّم

إلى حضرة الحاكم الكاتب العام السيد لورنيه، من طريق السيد الحاكم والي الكونغو الأوسط بواسطة السيد عامل عمّال بول، من طريق السيد رئيس قسم مایاما،

سيدي الحاكم الكاتب العام:

لي الشرف أن أبلغكم وأرجو منكم أن تبلغوا سعادتكم الوالي العام لأفريقيا الاستوائية الفرنسية ما يأتي:

تعلمون سعادتكم الحالة التي وجدتني فيها عندما قضت ظروف الحرب بانقسام الكفاح الفرنسي إلى جانبين مختلفين، وتعلمون المساعدة التي بذلتها في مختلف الأوقات سواء من طريق الكتابة إلى صاحب السعادة الجنرال ديغول، أو بالحديث الشفاهي إلى مختلف الشخصيات ذات الاختصاص الرسمي في حركة فرنسا المكافحة، ولكن للأسف لم تكلّل المساعي التي كانت ترمي لخدمة المصلحة المغربية الفرنسية بالنجاح، بل وضعت حالتي الخاصّة في ظرف متقلقل بين سجين لا حقّ له، ورجل حرّ لا شخصية مدنية له، وحيث إنه قد مضت على هذه الحالة مدة تقارب الثلاثة أعوام، وحيث إن ولاة فرنسا الحرّة الذين تقلّبت تحت نظرهم وحكمهم، يمكنهم أن يعرّفوا الحكومة برأيهم في مسلكي وآرائي التي لم أكتمها قط، وحيث إنني لم أكن أرمي يومًا من الأيام إلى غاية انتفاعية ترجع لشخصي، بل إنني ضحّيت كثيرًا في سبيل إقناع هيئات فرنسا الخاصّة بحسن نيتي من أجل تحقيق المثل الأعلى الوطني المغربي، وحيث إن المغرب لم يعد بعد تحت الضغط المحوري،

وحيث إن جميع المعتقلين السياسيين (ومن بينهم الفوضويون الإسبان الذين لا يقولون بالحكومة مطلقًا) قد حرّروا في أفريقيا الشمالية، تبعًا للصرخة العادلة التي نادى بها الزعيم الكبير سعادة الجنرال ديغول، في الدفاع عن الحرية الشخصية والمثالية التي لم يجعل الله للبشر عليها سلطانًا، اعتبارًا لكلّ ذلك فإنني أبيح لنفسي أن أعير التفاتًا واجبًا لحالتي الفردية، وأستسمح سعادتكم في أن أطلب إليكم إحدى الأمور الآتية:

1 ـ السماح لي بالدخول إلى وطني حيث أتمكّن من التمتّع بحرّيتي، والإشراف على عائلتي الخاصّة التي بقيت منذ موت والدي تحت رحمة هذه الحالة الكونية التي لا نعرف مدى انتهائها.

أو ـ السماح لي باختيار إحدى مناطق فرنسا الحرّة التي تسهل عليّ الإقامة فيها، لاعتبارات مناخية وأدبية، ومدّ بذلك يد المعونة لي في استقدام عائلتي إليها إذا أمكن ذلك.

أو ـ إعطاء حرّية الإقامة الحرّة والتنقّل في أفريقيا الاستوائية الفرنسية الحرّة.

2 ـ في حال قراركم إطالة أمد الإقامة الإجبارية، أرجو منكم أن تمتعوني بكامل الحقوق التي تُخوَّل عادة لمسجون سياسي أو بالأحرى لمبعد سياسي قضى في الإبعاد ستة أعوام بمقتضى الرسالة الخفية دون حكم ولا محاكمة.

وإني أستسمحكم أن أطلب إليكم في هذه الحال بصفة خاصّة:

1 ـ إعطائي فرضًا متناسبًا مع ظروف الغلاء الوقتي، لأن 1500 فرنك كانت مقدرة في سنة 1937، ويمكنكم أن تعتبروا الفرق الموجود بين الزمنين!!

2 ـ إعطائي كامل الحقوق الأدبية مع ضمان التمتع المستمر بها (كالصحف والكتب) سواء بالعربية أو بالفرنسية (طبقًا للقانون الفرنسي والمغربي).

3 ـ متابعة الفحص الطبّي الشهري الذي كان مستمرًا مدة إقامتي في مويلا (طبقًا لأمر وزير المستعمرات الفرنسية لسعادة الوالي العام المسيو رمسيت).

4 ـ في حال قراركم منعي من الاختلاط والاجتماع وتبادل الزيارات

مع من أريد، أرجوكم أن تعيّنوا لي واحدًا أو اثنين من المثقّفين الذين يمكنني أن أخالطهم وأكفي حاجة الفكر من محادثاتهم الأدبية (طبقًا للروح التي أعطى بها القانون الفرنسي للمسجون السياسي الحقّ في تعيين واحد أو اثنين من أصدقائه لزيارته في السجن، والروح التي أملت على الحكومة المغربية تعيين ضابط ملازم، طوال المدة التي كان حالي راجعًا إلى نظر الإقامة العامّة المغربية).

إن لي كامل الثقة يا سيدي الكاتب العام في فضل عنايتكم وجميل اهتمامكم، ولذلك أرجو من فضلكم أن تتنازلوا لقبول فائق الاحترام وعظيم التمنيات لشخصكم الممتاز.

المبعد السياسي

محمد علاّل الفاسي

الرسالة الثالثة

من الزعيم علّال
إلى الحاكم الكاتب العام للكونغو الأوسط وهذا نصّها:

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدي محمّد وآله وصحبه وسلّم

سعادة الكاتب العام الحاكم م. بayardيني، بواسطة سيادة حاكم الكونغو الأوسط، من طريق السيد رئيس العمّال وطريق السيد رئيس القسم،

سيدي الكاتب العام:

أرجو من سماحتكم أن تتفضلوا بتبليغ سعادة الوالي العام لأفريقيا الاستوائية ما يأتي:

إن حالة التغذية وبصفة عامّة المؤن العمومية في قرية مایاما لا تجري منذ سبعة أشهر على ما تقتضيه العدالة والمساواة بين الساكنين، فقد كان الأمر في السنة الأولى التي قضيتها بهذه القرية جاريًا على نظام لا يتبدّل، ولم تؤثّر فيه طوال تلك السنة أية اعتبارات كائنة ما كانت، وذلك أن المدبّرية كانت تفرض على القبائل تقديم الحيوانات اللازمة للقرية كل في دوره وبذلك يحصل الساكنون على اللحم ثلاث مرات في الأسبوع، وعلى السمك كل يوم جمعة على الأقل، ومنذ سبعة أشهر تغيّرت الحالة بالنسبة إليّ، أنا غير الحاكم، إن القبائل لا تزال تدفع المقادير المفروضة عليها أسبوعيًا ولا يزال كل مدشر يدفع دجاجة واحدة للمدبّرية شهريًا، لكن الذي وقع الآن أن سيادة المدبّر يحجز لنفسه وبرسم شرائه الفردي كل الحيوانات الكبرى، فيحمل منها لبراسافيل ما شاء وإذا عنّ له ذبح واحد منها ذبحه في منزله، واختصّ به دون عرضه للبيع كالمعتاد، نعم إن حضرته قد وضع صيادًا لتحصيل الحيوانات الوحشية، وهذا الصياد يحصل في كل شهرين على بهيمة من أمثال فرس الماء الذي وإن بعثوا لي بقطعة منه لا يمكنني أن آكله.

أما الدجاج فإن كل ما أحصل منه شهريًا هو اثنان أو ثلاث وذلك منذ شهرين فقط. وأما السمك فإن سيادة المدبّر يبعث في أثناء حضوره هنا البوليس لاستقدام حاجته هو منه، وأنا لم أتناول السمك الطري منذ سبعة أشهر إلا مرتين أخذته فيهما بطريق القوة.

إن المؤن العادية في هذه الأرض لا تتمّ بغير واسطة المدبّرية كما تعلمون ورأيتموه عمليًا في أثناء تقلباتكم في مختلف الوظائف التدبيرية لأفريقيا الاستوائية، إذا كانت المدبّرية تجمع ما تشاء من ذلك وتحتضنه لنفسها وتبعث بما تشاء منه للعاصمة، فإن السكان يأبون أن يبيعوا لنا نحن غير الحاكمين شيئًا فكان الواجب أن يستمر الاهتمام بتموين الكلّ من طرف المدبّرية المسؤولة قانونيًا عن السلامة الاجتماعية للكلّ.

وقد صبرت على هذا كلّه مدة الأشهر السالفة لأنني كنت أجد من الخمائر وبعض الخضر المحلّية وغير ذلك مما استقدمته من العاصمة أو أحصل عليه هنا، ما يكفيني عن غيره لكن طلباتي للمواد المستقدمة ترجع أغلبيتها صفراء، وقد حاولت أن أستعيض عن ذلك بتناول حتى المواد المحلية، ولكن ما يصلح منها لا أجده وما أجده لا يصلح، ومع ذلك كلّه فقد رأيت أن أثير احتجاجًا على مسألة قوتي في ظروف يجوع فيه الكثيرون من إخواننا في العالم كلّه، ولكن حدث بالأمس شيء اضطرّني بصفة تلقائية إلى أن أعير التفاتًا واجبًا لوضع الشيء عند حدّه.

بعثت طباخي أمس ليشتري من سيادة الكاتب العام للجمعية الاحتياطية 30 كيلو من البطاطس المحلّية، و 15 كيلو من البصل، فأجاب سعادته بأن لا يمكنه أن يسلّم لي أكثر من 10 كيلو نظرًا إلى أن البرساويين يطلبون هذه المادة، فأرجعت طباخي إليه، قائلًا بكل أدب، إذا حسن لديكم يا سيدي المدبّر، فإنني أرجوكم أن تعطوني القدر المطلوب، لأن ليس في ماياما من القوت ما يكفي كما تعلمون، فرفض ثانيًا، فقلت للطباخ يمكنك أن تأخذ البصل، وتترك البطاطس وأمرنا إلى الله، فحين رأى المدبّر تصميمي على عدم أخذ 30 كيلو، لأنها لا تكفي لسدّ حاجة البيت الشهر كلّه، قبل أن

يعطيني 20 كيلو، فرفضت، لكن سيادة المدبّر رأى أن في هذه المراجعة الشرعية والتي لا ترمي بوجه ما للإساءة ولا للمسّ بأحد، رأى فيها ما يبعثه على الغضب، واستمر في هيجانه إلى اليوم حيث استدعى طباخي في الصباح، وأعلمه وجوب عدم الدخول إلى بستان المدبّرية، لأخذ ما اعتدت أخذه من الخضر المحلّية.

وعليه فمن المناسب أن أتكلّم عن قضية البستان، هذه، مع استسماح سعادتكم في الأمر ...

حين قدمت إلى مایاما رغبت في استخدام بستان خاصّ، فقال لي حضرة المدبّر السابق: يمكنكم أن تقدمّوا ما عندكم من الزرع لبستانيي المدبّرية، وخذ من الخضر ما شئت كما يأخذ جميع البيض الموجودين هنا، فجرى الأمر على ذلك سنة وسبعة أشهر حتى دعا داعي الانتقام الآن من المعارضة في كيلوات البطاطس.

فالبستان هو للمدبّرية وليس ملكًا لفرد ما، وبما أن جميع البيض المقيمين والمسافرين يتناولون منه ما شاؤوا فكيف يمنع منه المغربي المحصور؟ إن الميزانية الجهوية هي التي تؤدّي أثمان البساتين فكان الواجب أن يعرض الجميع للبيع ويشتريه من شاء مدبّر أو غيره. وخصوصًا الفرد الذي خدم البستان بنفسه واعتنى بزرعه، وجهد في تدبيره منذ قدومه إلى هنا حتى صار بستانًا حقيقيًا.

ومع ذلك، فإنني لا أطلب أن أُعطى من هذا البستان، وفعلًا فقد أخذت في تأسيس بستان خاصّ لي. لكنني أجدني مضطرًا لأن أحتج على هذه الروح التي تبعث سيادة مدبّر مایاما على احتكار اللحم والسمك ومحاولة احتكار الخضر أيضًا.

إنني فرد مهما تكن قيمتي كسجين أو محصور، فأنا إنسان لي من الحقّ في الحياة ما لأكبر رجل في العالم، ولي من الحقّ في أن أراجع سيادة المدبّر في الدفاع عن حقّي في تناول القوت الضروري، هذا الحقّ الذي هو أحد الأسباب الرئيسة في استماتة الملايين من أبناء الإنسانية المعذّبة.

وإنه ليسوؤني أن أكون مضطرًّا بدافع الواقع غير المحتمل، إلى أن أرفع لسعادتكم احتجاجي الشديد المؤيّد لكل ما لي من الحقّ في الحياة ردًّا على احتكارات الشؤون العامّة من طرف ممثّل حكومة سعادتكم، كان يجب عليه أن يقاوم كل احتكار في شأنها في ظروف مثل هذه الظروف.

إنني لم أطلب من سيادة المدبّر ما يدعو للغضب والمعاندة، فإن الجمعية الاحتياطية قد حصلت في هذا الشهر على 500 خنشة من البطاطس، أي خمسة أطنان، وسكان براسافيل هم 1500 أبيض ممّن يتناولون هذه المادة وعليه فسيكون لكل واحد منهم ثلاثة وثلاثون كيلو وثلث كيلو، هذا إذا فرضنا أن البرساويين لا يتناولون من القوت إلا ما يرد من مایاما، إنني لو كنت أعلم أن هذه المعاملة صادرة من طرف الحكومة أو تتفق مع تعليماتها لما تجشّمت مشقّة الاحتجاج، لكن الواقع أنها عمل فردي لا داعي له إلا حبّ الاستعلاء على مبعد مغربي بعيد من جميع وسائل الدفاع.

لقد أبعدت عن بلادي منذ سبعة أعوام بمقتضى الرسالة الخفية فصبرت ومنعت عمليًّا من التغذية، لكن الأمر يصل الآن إلى أكثر من كل ذلك، يصل إلى القوت الضروري لاستمرار حياة مهدّدة بمختلف الأمراض التي في مقدّمتها مرض الكبد والزحير.

إن الحكومة أعطتني 3000 فرنك، وهذا ما يكفي لمثلي، لكن الناس حتى الآن لم يتعوّدوا تناول أوراق البنك قوتًا، والغذاء موجود.

إن سعادة الزعيم الكبير الجنرال ديغول، لا يزال يصرخ صرخاته الداوية ردًّا على الاحتكار والمحتكرين، ولا يزال يبذل الجهود في سبيل السلامة الاجتماعية لأبناء الإنسانية كلّها ما يبعث الأمل والرجاء، ولكن مع غاية الأسف إن المحيط الذي أعيش فيه لا يزال بعيدًا من فهم هذه الرسالة الفرنسية الجديدة.

ولذلك أرجوكم يا سيدي الحاكم الكاتب العام. أن ترفعوا احتجاجي الصارم على احتكار القوت في مایاما وعلى عدم استمرار الحالة على ما

كانت عليه من قبل في تقسيم المواد المحلّية بما تقتضيه العدالة، دون اعتبار للتمييز ولا للعنصرية.

وتفضلوا يا سيدي الحاكم الكاتب العام بالتنازل لقبول الاعتبارات الخاصة لشخصكم العالي.

محمد علاّل الفاسي

الرسالة الرابعة

من الزعيم علّال
إلى والده سيدي عبد الواحد وهذا نصّها:

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدي محمّد وآله وصحبه وسلّم

سيدي ومولاي الوالد:

عليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير سيدي نصره الله وبعد:

لقد تسلّمت منذ ثلاثة أيام كتابكم عدد 13 المؤرّخ بواحد وعشرين ربيع الأول أفاد سلامتكم وعافيتكم اللتين هما متمنّاي. وقد سألتم عن حالتي (صحيًا وماديًا) فأرجو يا سيدي الوالد ألّا تفكّروا كثيرًا في ذلك لأن الإنسان لا بد من أن يحيا حياته الطبيعية الممكنة ولا بد لكل واحد من أن يلقى في وقت ما الأحوال الثمانية التي تجري على كل إنسان مهما كانت رتبته المادية والأدبية عالية، ومنزلته فيهما سامية، على أنني لا أجد دائمًا إلا جميل الصنع الإلٰهي في كل الأحوال، خصوصًا وأنكم تعرفون ما جُبلت عليه من عدم الاهتمام بالماديات واعتبارها عرضًا زائلًا لا يساوي جناح بعوضة، إن وجدته لا أنكره وإن فقدته لا أتعب في طلبه، إلا ما لا بد منه من القوت الضروري لكل إنسان وحيوان، وهذا خلق لا تزيده الحوادث التي ألقاها إلا تمكّنًا من نفسي، وأنا أرى ذلك تعويضًا من الله يعوّض به المنكوبين عن زينة الحياة الدنيا وطلاوتها، ومعنى هذا أنني لست ممن يزهدون في الجمال الدنيوي متى وجدوه، ولكن لست أيضًا ممن يشرهون في طلبه أو يعيشون من أجله، وبذلك أعيش هادئ البال، مطمئن القلب، راضي الضمير في عالم سامٍ، ومثال عالٍ، متمثّلًا بقول من قال وأجاد في المقال، وعبّر عن الحال.

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا أصحّ منك الوصل فالكلّ هيّن وكل الذي فوق التراب ترابُ

وإنما ذكرت لكم هذا يا سيدي الوالد لتتحقّقوا أنني أعيش مسرورًا، كامل الاغتباط، وهذه هي الغاية التي يطلبها كل من ينشد السعادة في الدنيا أو الآخرة، ومتى تحقّق ذلك لم أبحث عن أسباب هذه الحالة السارّة ومكوناتها لأنني وجدتها حين فقدها ملايين الخلق ذوو الملايين من الدولار والليرة وإنني أعتقد أن هؤلاء لو عرفوا قيمة الطمأنينة النفسية لاشتروها بكل ما يملكون وما لا يملكون، فالحمد لله على ذلك وأرجوه إدامته عليّ وعلى جميع من ينشد من بني الإنسان.

نعم، إنني أجد ألمًا من الشوق إليكم عمومًا، وإلى للا زهراء العزيزة خصوصًا، لكن هذا الألم ينقلب سرورًا أيضًا متى علمت أنه ناشئ عن حبّ طاهر، ومتى عرفت أنني دائم الإخلاص لهذا الحبّ رغم أن عندي الوسائل التي يملكها من لا يعرف للحب ـ الذي هو أساس الزوجية ـ معنى، فيصبح ذلك الألم أيضًا عالمًا مثاليًا ساميًا يعطي من السعادة أضعاف ما يعطيه اللقاء، خصوصًا مع الأمل الدائم الذي هو نور يبعثه الله في قلوب من يحبّونه، ومع الصبر في انتظار الفرج الذي هو عبادة كبرى، ففي هذا العالم أعيش ومنه أبلغكم تحياتي الخالصة ولجميع العائلة الكريمة والأحباب والأصحاب وكل سائل عن الحال، والمولى يحفظكم لي قلبًا عطوفًا، وأبًا رؤوفًا، كما يحفظ لي للا زهراء زوجًا شغوفًا، وليلى نورًا زاهيًا لا ذابلًا ولا مقطوفًا.

علاّل الفاسي

مويلا 19 ربيع الآخر 1357 18يونيو/حزيران 1938م

الرسالة الخامسة

من الزعيم علّال
إلى حرمه المصونة للا زهراء وهذا نصّها:

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدي محمّد وآله وصحبه وسلّم

نور العيون للا زهراء:

لقد اخترت أن أكتب لك اليوم مباشرة بمناسبة هذا الموسم العزيز، والذكرى السعيدة ذكرى زواجنا الميمون. وإنه لفرصة سانحة لأن نستعيد ولو في الخيال تلك الأيام الهنية التي قضيناها في اجتماع يباركه الحب ويضفي عليه رداء القبول، نمرح في عرصات السعادة، راشفين من كؤوس الوفاق رحيقًا عذبًا، وسلسبيلًا شهيًّا، وها هي ذي سبعة أعوام تمضي على افتراقنا تذوّقنا فيها مرارة البعاد، وحرارة الاشتياق، ولا تزال الأيام تعاكس رغبتنا في اللقاء وودّنا في العودة للوصال، لكن المستقبل كفيل بتحقيق أملنا، وتبليغنا غاية منيتنا، وفي انتظار ذلك أجدني متشوّقًا لأؤكّد لك تمسّكي الأبدي بك، وحبّي الخالد لك، هذا الحبّ الذي ما كنت أعرف أن له هذه الدرجة المتفوّقة في قلبي، إذ ما كنت أحسب أنك مني بمنزلة الروح من الجسد والنفس من الحياة.

لقد أعربت لي في رسالتك (21 إبريل/نيسان) عن وفائك وتعلّقك بي. وذلك ما لم أشك فيه قطّ ولا يخطر ببالي غيره. فأهنّىء نفسي بك، وأبعث لك من قبلات الإعجاب الصادرة من الأعماق، أطيب الجزاء.

ولا أنسى أن أؤكّد عليك في هذه المناسبة السعيدة أمرين: أحدهما

الاهتمام بتربية ليلى وتعليمها، فإن ليلى المهذّبة خير هدية تقدّمينها لي يوم اللقاء بإذن الله، وثانيهما المراعاة الطيبة والعناية الرقيقة بحماتك، فإن كل ما تفعلينه في هذا الباب يكون أداء لواجبي في البر بوالدي رحمه الله.

بلّغي تحيّاتي لسائر الأقرباء والأحباب، ودومي لي يا عزيزتي فإنني لك على الدوام.

علاّل الفاسي

الرسالة السادسة

من الزعيم علّال
إلى صديقه السيد أحمد مكوار في فاس وهذا نصّها :

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدي محمّد وآله وصحبه وسلّم

أخي العزيز،

تسلّمت رسالتك المؤرّخة في الثالث عشر أغسطس/آب المنصرم معربًا فيها عن سرورك وسرور العائلة بوصول كتابي بعد انتظاركم له ثلاث سنوات ومؤكّدًا تطميني على مصير العائلة بعد وفاة الوالد، فلقد أدخل عليّ ذلك من الفرح والهناء، ما خفّف عنّي عبأ الاهتمام الذي كان يشغل بالي منذ سنة على الأقل وإنني لأشكر لإخوّتك عنايتك التي لم أشكّ يومًا ما في أنك أهل لبذلها بسخاء، لكنني أؤكّد عليك في شأن تعليم ليلى العزيزة، وأرجو ألّا تكتفي في ذلك ببعض الدراسة القرآنية بل تقدّمها إلى مدرسة عربية فرنسية تمكّنها من قطع مراحل التعليم التي تؤهّلها لثقافة نافعة بانتظام، ومع اعتمادي عليك في ذلك فإنني أرجوك موافاتي بين الآونة والأخرى بخبر سيرها تطمينًا لي وإقرارًا لعيني، كما أرجوك أن تكون اللسان الناطق في الإعراب لعزيزتي للا زهراء عن مقدار تعلّقي الدائم بها وحبّي لها، وإعجابي منها وامتناني، والمعرب عن تحيّاتي لزوجة الوالد وسائر أفراد العائلة، والترجمان الصادق عن عواطفي التي لا تتحوّل نحو الأصدقاء كافّة، خصوصًا الأخ عبد الجليل الذي أرجو أن تكون عافيته مستقرّة، وعينه بنفسيته مقرورة.

وسأكتب لكم كلما استطعت كما كنت أفعل مع الوالد، فأرجو ألّا

تنتظروا وصول كتابي لتجيبوا عنه، بل اكتبوا لي دائمًا بانتظام وإذا كان يمكنكم أن تبعثوا لي بقريعات من ماء والماس وماء سيدي حرازم فافعلوا.

عرّفوني دائمًا بحالتكم الصحية وحالة أبنائكم، وتقبّلوا مني أرق عواطف الإخلاص والتقدير والدعاء .

محمد علاّل الفاسي

2 نوفمبر/ تشرين الثاني 1943م

الرسالة السابعة

من الزعيم علّال
إلى صديقه السيد أحمد مكوار في فاس وهذا نصّها:

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدي محمّد وآله وصحبه وسلّم

أخي العزيز،

أحيّيك تحيّة صادقة، وأبلّغك سلامًا عاطرًا، وانتهز هذه الفرصة لأهنئك بحلول موسم رأس السنة الهجرية 1363 ورأس السنة الميلادية لسنة 1944، راجيًا أن تكون خير مبلّغ لتهانيّ الخالصة وتمنياتي الطيبة لزوجتي العزيزة التي أبعث لها قبلاتي الحارة التي تمتلئ شوقًا ووجدًا، ولابنتي ليلى المحبوبة وسائر أفراد العائلة، وكل الأصدقاء، خصوصًا الأخ عمر، داعيًا للكل بالعمر الطويل والحياة السعيدة، في عالم إنساني مليء بالحبّ والإخاء.

هذا وإنني لأرجو أن تكونوا قضيتم أيام عيد الأضحى المبارك القريب الانصرام في صحّة كاملة وعافية متينة، أما أنا فقد قضيته والحمد لله في صحة أجوَد من السنة الماضية، وقد أدّيت سنّة الضحية مسرورًا مغتبطًا، رغم الخلوة والانفراد اللذين وإن بعثا من الشوق أشدّه، فإنهما يمنحان من اللذة ومن التذوّق لسنّة تلك العبادة المقدسة ما لا تمنحه الخلوة والاجتماع.

وبعد فاسمح لي أيها الأخ أن أوجّه للالا زهراء العزيزة كل ما يمكن أن يوحيه القلب، ويلهمه الوجدان، من عبارات المحبة المتزايدة، والغرام المتواصل، وليت القلم يستطيع أن يوفي بلغة الروح فأعقد لها من جواهر الحبّ أنفس القلائد وأسمى الذكريات، لكن هناك شيئًا واحدًا يستطيع

التوفية بالبيان، هو لغة القلب التي لا تنظم بكلم ولا تجمع في جُمل، ولا تفهمها غير القلوب، ولا تحسّ بمفعولها غير الأرواح، فلندع هذين القلبين يتناجيان حبّهما وإخلاصهما ووفاءهما، وإن باعدت بينهما الأيام، والسلام.

محمد علاّل الفاسي

مایاما 18 دیسمبر/ کانون الأول 1943م

الرسالة الثامنة

من الزعيم علّال
إلى صديقه السيد أحمد مكوار في فاس وهذا نصّها:

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدي محمّد وآله وصحبه وسلّم

سيدي الأخ الصديق العزيز،

لقد كانت دموع المسرّة تنهمل من عيني حين كنت أقرأ رسالتك المؤرخة بـ 14 أغسطس/آب 1944 التي حملها إليّ بريد الأمس، منبئة بمعاودتك الحرية الغالية. ومطمّنًا لي أن جلّ الإخوان يتمتعون بصحة جيدة وسط عائلاتهم، فأحمد لك ولي الله الذي لا إله إلا هو، وأشكر لك عنايتك بالكتابة لي بمجرد وصولك إلى البيضاء، وأرجو أن تكون كامل السلامة تام العافية، وأهنّئك وسائر الإخوان بعودتك إلى مسقط رأسك، كما أهنّئك بعيد الفطر السعيد المقبل.

أما كتابي الذي وصلك عدد 3 فقد كنت كتبته لك بتاريخ 18 ديسمبر/ كانون الأول 1943 ثم كتبت لك بعده رسالة عدد 4 حملها لك المسيو بيرك الذي كان قد زارني في أوائل فبراير/شباط الأخير، ثم لم أعاود الكتابة إلا في شهر يونيو/حزيران الماضي، حيث وصلتني رسالة من زوجتي تخبرني بوصول كتابي لك عدد 2 وعدد 4 إلى يدها، ورسالة من ليلى العزيزة، ومنذ ذلك الحين أخذت أكتب للعائلة كل أسبوع فكتبت لزوجتي رسالة ولليلى اثنتين وإحدى عشرة رسالة أخرى بعنوان عمّي السعيد في البيضاء، وإلى الآن لم يصلني جواب، عسى أن يكون الكل بخير وأجوبتهم لي في الطريق.

وأما رغبتكم في إدخال ليلى للمدرسة الفرنسية العربية للبنات فإنه رأيي الذي أعربت عنه في رسائل سابقة، ولكن أرجو مع ذلك بقاء الاهتمام بتوسيع الدروس والمدارك العربية، والعناية بالتربية الدينية والرياضة البدنية.

سأنسلخ عن أنانيّتي إذا أخليت هذه الرسالة من رفع عواطفي المخلصة لزوجتي العزيزة وسائر أفراد العائلة، وقبلاتي الأبوية لليلى، وتحياتي الوفائية لسائر الأحباب.

أما أنت فأقبّلك وأحيّيك وأرجو دوامك لأخيك.

محمد علاّل الفاسي

مایاما 10 ديسمبر/ كانون الأول 1944م

الرسالة التاسعة

من السيد أحمد مكوار
إلى الزعيم علّال الفاسي وهذا نصّها

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدي محمّد وآله وصحبه وسلّم

أخي العزيز،

إن رسالتك المؤرخة بثالث شهر يوليو/تموز ملأت قلوبنا فرحًا وأملًا وبها استطاعت عائلتك الكريمة أن ترى خطّك العزيز بعد أن انتظرته ثلاث سنوات.

هذا وإن الرزية العظيمة التي أصابت العائلة في شخص والدكم المرحوم لم تغيّر في شيء نظام سائر العائلة. وما زالت زوج والدكم تسكن الدار مع عقيلتكم ومع ليلى المحبوبة، وإذا استثنينا حضوركم الشخصي الذي لا يعوّض لم نجد شيئًا ينقصهم بالمرة، وعلى أي حال يمكن لك أن تعتمد علينا في القيام بسائر حاجيات العائلة وفي تعليم البنية العزيزة.

أما برقيتك المتعلّقة بتصفية تركة والدك الفقيد فقد وصلت في وقتها ونعمل اللازم في شأنها.

وفي الختام نرجو أن تكتب لنا كلما استطعت وبكل ما تستطيعه من تطويل.

وفي انتظار ذلك نبلغك من عائلتك وسائر أصدقائك تشوّقهم لطلعتك، وعبارات المحبة والوفاء.

أحمد مكوار

فاس 13 أغسطس/ آب 1943

وصلت يوم 19 نوفمبر/تشرين الثاني 1943

الرسالة العاشرة

من السيد أحمد مكوار
إلى الزعيم علّال الفاسي وهذا نصّها

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدي محمّد وآله وصحبه وسلّم

أخي العزيز،

أحيّيك تحية إخلاص ووفاء وأرجو الله أن يسهّل أسباب الاجتماع بعد خروجي من ... ووصولي هنا بعثوا لي من فاس برسالتك رقم 3ـ 18 ديسمبر/ كانون الأول 1944 كذا ولعلّها غلطة في الشهر أو السنة، وقد علمت بوصول رسالتين لعائلتك وربما كانتا باسمي غير أن عائلتي لم تتسلّمهما في أثناء غيابي ولعلّه سيسمح لي عما قريب الرجوع إلى مسقط الرأس فأطالعهما، الأهل وكل أفراد العائلة وعلى الأخصّ السيدة ليلى، الكل تامّ العافية والحمد لله والدار معتنى بها وفق المرغوب وليلى كانت تتلقّى دروسًا عربية من أستاذ خاصّ وبعد العطلة يشرع لها في دروس الفرنسية أو تنخرط في مدرسة البنات (حيث حصلت بنتي خديجة على الشهادة الابتدائية سنة 1942. وأختها عائشة سنة 1943) إن وافقت، الإخوان جلّهم يتمتعون بصحة جيدة وسط عائلتهم وكلّهم يرفعون إليك تحيّاتهم المقرونة بالودّ والمملوءة بالأشواق ودم لأخيك.

أحمد مكوار

البيضاء 24 شعبان 1363 هـ

14/ 8/ 1944م

الرسالة الحادية عشرة

من السيد أحمد مكوار
إلى الزعيم علّال الفاسي وهذا نصّها

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدي محمّد وآله وصحبه وسلّم

أخي العزيز المحترم العلّامة الأستاذ سيدي علّال الفاسي،

حفظكم الله وسلام عليكم ورحمة الله،

وبعد: فمنذ كتبت لكم رسالتي 14 أغسطس/ آب الماضي انتقلت إلى هنا وأخيرًا التحق بي الأخ عبد العزيز وبقي في البيضاء الإخوان بوشتي والهاشمي وعمر والكل يرفع إليكم عاطر السلام فإنا أزورهم من حين إلى آخر.

نعم في أواسط أكتوبر/ تشرين الأول عندما زرت فاس لم أمكث إلا نصف أسبوع، وكم كنت سعيدًا حيث إنني في أثناء إقامتي هناك تسلّمت رسالتكم عدد 5 ـ 10 ديسمبر/كانون الأول فبادرت بزيارة منزلكم وسلّمت لهم الرسالة فعرفوا ما تضمّنته وقرّ الرأي على إدخال السيدة ليلى المدرسة العربية الفرنسية وقد سررت لحالتها الصحية فقد تحسّنت كثيرًا في أثناء الثمانية أشهر التي غبت عنها، وقد كلّمت بعد ابن عمّكم سيدي عبدالسلام خوفًا من معارضته لكنني وجدته على تمام الاتفاق وفعلًا يوم الاثنين 23 أكتوبر/ تشرين الأول دخلت المدرسة وقد راقتها ونشطت بها علمت ذلك منها عندما جاء بها إلى هنا في أثناء أيام عيد الأضحى الأخير سيدي محمّد المالحي الذي ما زال حافظًا لعهده في الاعتناء بضروريات الدار، وقد تعيّن لمراجعة دروسها أحد الإخوان المدرّسين في المدارس الحكومية. لقد

أخبرني ابن عمّكم سيدي عبد السلام أنكم طلبتم كتابين بالعربية وآخر في الأدب الفرنسي غير أن عائلتكم الكبيرة يكون لها غاية الشرف أن تقوم بإرسال جميع ما تطلبون من الأشياء أو ثمن ما تشترون به كل ما أنتم في حاجة إليه بطرفكم.

سلام الإخوان والعائلة إليكم مقرون باحترامي واشتياقي، أسمعنا الله عنكم ما يسرّ.

وعلى الأخوّة الأبدية.

أحمد مكوار

مكناس 27 حجة الحرام 1363هـ

2 ديسمبر/ كانون الأول 1944م

رسائل سيدي عبدالواحد الفهري الفاسي إلى ولده الزعيم محمّد علاّل الفاسي في منفاه

رسائل الوالد

تسلّم الزعيم علاّل خلال مقامه بالمنفى 126 رسالة من والده سيدي عبد الواحد الفاسي رحمه الله.

وقد احتفظ بها الزعيم في ملفّ خاصّ يوجد الآن ضمن وثائق مؤسسة علاّل الفاسي.

وقد اخترت تسعًا منها لعرضها في هذه المذكرات كنموذج لما كان يتلقّاه من رسائل والده البليغة.

وهي ما نقدّمه فيما يلي:

الرسالة الأولى
عدد 6

ونصّها:

الحمد لله وصلّى الله وسلّم على مولانا محمّد وآله وصحبه

ولدي العزيز الأستاذ الأديب سيدي محمّد علّال الفاسي،

أما بعد: السلام عليكم والدعاء لكم بما نرجو من الله قبوله، فقد وصلني كتاباك: الأول بتاريخ 15 ديسمبر/كانون الأول سنة 1937 والثاني بتاريخ 3 يناير/كانون الثاني سنة تاريخه عدد 5 وما قبله عدد 3 وقد تضمّنا معًا سلامتك والحمد لله نرجو الله تعالى أن يديمها عليكم بمنّه آمين وقد أسفت غاية الأسف لما ذكرته من عدم حلول أي كتاب من طرفنا بيدكم المدة الماضية كلها مع أنني كتبت لكم عدة مكاتيب، هذا سادسها حتى إنني كنت أفكّر في كيفية البحث عن ذلك أيامًا وبالفعل، ذهبت إلى مركز إدارة الأمور الأهلية مرتين في القضية نفسها وتخابرت مع رجالها الأفاضل فكانت النتيجة أن وعدوا بالبحث في ذلك لتوقف إيصال المكاتيب لك كلها نسأل الله تعالى في النجاح وأما انقطاعك عن العالم فأرجوك أن تعرض الآن عن جميع المخلوقات وتلجأ في كل أحوالك إلى مولاك الذي يؤنسك في الغربة إذ هو أولى بك من نفسك.

لا تُدبر لك أمرًا	فأولو التدبير هلكَ
ودع التدبير عنك	نحن أولى بك منكَ

وما على والدكم إلا أن يديم الابتهال والتضرّع للمولى في فكاك أسرك وحلّ عقدتك وأما القرية التي انتقلت إليها فقد علمت ممّا أشرت إليه عن بعض أحوالها ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ وأما ما أشرت إليه أيضًا مما أعلمه من حالك من الإيثار مع احتياجك فهنيئًا لك بتلك الحالة وقد

مدح التنزيل أصحابها بقوله تعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، وأما تلقيح الحصباء للبنية ليلى حفظها الله فقد كانت زارتها دون تلقيح وعوفيت والحمد لله من ذلك تمامًا وهي الآن تتمتّع بصحة جيدة، وتلقيح داء السل وقانا الله جميعًا منه سننظر فيه على الوجه الذي وصفت، وأما حليلتكم فهي في حالتها الصحيّة الآن على أحسن حال وكذا جميع العائلة الخاصّة في أرغد عيش وأطيبه بفضل الله تعالى أدام الله ذلك على الجميع ووفّقنا لشكر نعمه بالفعل ولا جعلنا ممن يكون حظّه من الله لسانه وهذا وبعد بضعة أيام من وصول الكتابين المذكورين وصلني كتابك عدد 4 أعرب عن سلامتكم حمدًا لله وشكرًا، وما أشرتم عليّ فيه من الصبر أوصيكم بمثله وأذكّركم قول القائل فيه:

الصبر كالصبر مرّ في مذاقته   لكنّ عواقبه أحلى من العسلِ

وأؤكّد عليكم بما ذكرته لكم غير مرة من إزالة محبة غير الله تعالى من قلبك إذ هو لا يحبّ أن تكون لغيره عبدًا. وما أحببت شيئًا إلا وكنت له عبدًا كما في الحكم وبذلك تشاهد من لطف الله بك وأخذه بيدك ما لا يخطر ببال وتدبر حديث فتنة الرجل في أهله وماله وولده وتسمية النبي ﷺ لها فتنة وإشارته ﷺ إلى ما يكفّرها. وأما اتّباعك لإرشادات الطبيب فحسن لما لا يخفى عليك في موضوع التداوي شرعًا مع الاعتماد على الله في العافية والشفاء إذ لا بدّ من الأسباب وجودًا. والغيبة عنها شهودًا. فأثبتها من حيث أثبتها بحكمته ولا تستند إليها لعلمك بأحديّته، حسبما في الحكم أيضًا. وأما ما طلبته من توجيه شيء من الشاي الأخضر وعدد واحد من اليومية الفاسية فها هما يصلانك بحول الله صحبة هذا الكتاب، وأما الخرج الذي تركت عند من عيّنت فسأبحث عنه وأما جبّتك الفوقية التي كنت دفعت للخياط فلا بأس أن تبيّن لنا لمن دفعتها، هذا ولما طلع فجر السعادة بحلول عيد الأضحى وجب أن نهنئكم به وأن نطلب إلى الله تعالى أن يبقيكم لإضعاف أمثاله في هناء وسرور ونعيم وحبور تحت ظلّ مولانا المنصور دام نصره وطاب عصره، وقد قمت بالنيابة عنكم هنا في إقامة سنّة الأضحية نسأل الله أن يتقبّل ذلك، وحليلتكم مع البنيّة أقامتا في هذه الأيام المباركة في منزلكم والكل يسلّم

عليكم كالأهل وأبناء الأخ وأخصّ الأستاذ المؤرخ أبا عبدالله محمّد، العابد وكذا الأخ العلّامة السعيد ونجله النابغة وصهركم أبا عيسى وسائر الأحبة والمولى يحفظكم ويرعاكم ويسمعنا عنكم ما يسرّ آمين والسلام.

والدكم: عبدالواحد الفاسي

في 15 حجة الحرام متم عام 1356هـ

موافق 16 فبراير/ شباط سنة 1938م

الرسالة الثانية
عدد 21

ونصّها :

الحمد لله وصلّى الله وسلّم على مولانا محمّد وآله وصحبه

ولدي العزيز الأستاذ الأديب سيدي محمّد علّال الفاسي،

السلام عليكم والدعاء لكم بما نرجو من الله تعالى قبوله، فقد تسلّمت أمس مكاتيبكم الثلاثة من عدد 24 وإلى عدد 26 الموافق تاريخه لعدده من ربيع الآخر المتصل الفروط وقد أفادني الجميع سلامتكم التي هي المقصد الأهم لدينا فالحمد لله على ذلك ومنه سبحانه التفضّل والإنعام بدوام عافية الجميع وما أشرتم إليه في الأول من دخولنا في فصل المصيب وهبوب اسمه علينا وإعطائنا ما يناسب طوره هو كذلك وقد كانت الحرارة تبلغ أقصى غاية عندنا في بعض الأيام أعني قبل دخول السمائم، أما الآن فقد خفّت وطأتها في الجملة ولا سيما ليلًا وصباحًا، أما ما ذكرتموه من دخولكم أنتم في الفصل اليابس وذهاب حرارة الشتاء بجفاف الماء إلى آخر ما شرحتموه فمن عجائب قدرة الله الخالق الباري الذي قصرت العقول عن كنه جلاله وجماله وكماله ولو بلغت الغاية القصوى في الرجحان قصرت الألسنة عن وصف ذلك الجلال والكمال ولو كانت ألسنة العالم كله كلسان حسّان وسحبان ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ وكذا ما ذكرتموه من أخذ النساء في قلب الأرض واقتصار الرجال على التربية هو أيضًا من عجائب تسيير الله تعالى لمخلوقاته كيف يشاء، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر.

كما في اختلاف الأشكال والألوان والألسنة وغير ذلك ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾

وما طلبتموه منّي في كتابكم الثاني من عدم التفكير في حالتكم الصحية والمادية لما بينتموه علمته وكلّه والحمد لله محمود العاقبة ومجموع في آية: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾. وفـــــي حديث: لو توكّلتم على الله حقّ توكّله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا. وحديث: خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلًّا على الناس. وقول ابن الخطاب: ليس خيركم من عمل للدنيا وترك الآخرة أو عمل للآخرة وترك الدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه ومن هذه. . . إلخ ما يطول في هذا المرقوم ذكره. واطمئنان النفس الذي منّ الله عليكم به يوصلكم إن شاء الله للمقام المشار إليه في حديث تقرّب العبد لمولاه وهو محبة الله تعالى له: فإذا أحببته كنت سمعه. . . إلخ أو كنته على الرواية الأخرى. والألم الذي يحصل لكم من الشوق لنا عمومًا ولزهراء خصوصًا وينقلب سرورًا بذلك العالم المثالي الذي بيّنتموه موهبة من الله تعالى لكم وقد وهب الله لنا أيضًا منها الحظ الأوفر ولو فتح الله لنا ولكم البصائر لشاهد بعضنا بعضًا بالأبصار في ذلك العالم الذي أشرتم إليه ولقرأنا عليكم السلام منه جهارًا. وفي الحديث: الأرواح جنود مجنّدة ما تعارف منه ائتلف وما تناكر منها اختلف. ومن غلبت روحانيته على جسمانيته صار لطيف الجسم خفيفه نسأل الله تعالى أن يهب لنا ما وهب لخاصّة أحبائه آمين. وأخباركم لنا بوصول اليومية والاتاي قد كنت علمته من كتابتكم سالفًا لكن حيث كتابتي للكتاب الذي يجيبون عنه لم يكن الخبر إذ ذاك عندنا وسنوجّه لكم فيما قرب بحول الله تعالى كتابًا آخر ولم أكن ذكرت لكم السؤال عن وصول الحوائج إشعارًا لكم بأنها وصلت ولم تخبروا بها بل ظنًّا مني أنها قد تكون وصلت إذ ذاك من الجائز العقلي وقد صرّحت لكم في كتابي أن السؤال ليس على سبيل الاهتمام، وفي أي حال فالخطب في هذا سهل للغاية وقد قرب زفاف أخت زوجتكم فاخيتة لزوجها في أواسط رجب القادم وما أخبرتم به في الثالث من أن الحالة الطبيعية تحسّنت كثيرًا عن الفصل الممطر إلخ، فرحنا له لينشرح منكم الخاطر ويتيسّر لكم التفسح دون مشقّة في زقاق القرية إذ توالي الأمطار مستلزم غالبًا للجلوس

وسؤالكم عنا وعن الأهل والبنية ليلى يجازيكم عنه الكريم المولى والكل يسأل عنكم ويتمنّى لكم السلام حالًا ومآلًا بعد سلام الجميع أيضًا على علاكم وتقبيل ليلى يدكم والله تعالى الحفيظ والرؤوف بكم لا ربّ غيره ولا خير إلا خيره والسلام عليكم ورحمة الله.

والدكم: عبدالله الواحد الفاسي لطف الله به

في 9 جمادى الآخرة عام 1357هـ

موافق لـ 4 أغسطس/ آب سنة 1938م

الرسالة الثالثة
عدد 29

ونصّها :

الحمد لله وصلّى الله وسلّم على مولانا محمّد وآله وصحبه

ولدي العزيز الأستاذ الأديب سيدي محمّد علّال الفاسي،

السلام عليكم مني ومن سائر عائلتكم وتقبيل البنيّة يدكم بوجود المؤيّد بالله دام مجده وعلاه والدعاء لكم على الدوام بما نرجو من الله تعالى قبوله فقد كنت تسلّمت كتابيكم 2، عدد 32 و 33 بعد طول اشتياق لما يرد من قبلكم فحمدت الله على ما أعربا عنه من سلامتكم وسألته جلّ علاه أن يديمها على الجميع بمحض كرمه وجوده، وأما قولكم يا ولدي وماذا تنتظرون من كتاب يرد من هذه الأرض إلى قولكم فيمكننا أن نعتبر هذا عذر مما أفقده منّا :

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما ـ حبّ الديار ـ شغفن قلبي ولكن حبّ من سكن الديارا

وما ذكرتموه من كون المدلول واحدًا لا يتغيّر والكلمات مختلفة حتى أشبهت مكاتيبنا قصيدة الخراز عند أصحاب الملحون من المغاربة وترجّيت من أجل ذلك أننا سنتمتّع بالإعجاز الذي من دلائله كما قال الإمام الباقلاني حكاية الشيء الواحد بكلمات وجُمل مختلفة مع الإبانة والإفصاح لا ننكره. نعم أعدّ هذا أيضًا من باب قوله:

عبارتنا شتّى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير

وجمالنا نحن وصول الخبر من الجانبين بسلامة الأبدان ودوام العافية على أن في تكرار القصص في كتاب الله تعالى بألفاظ مختلفة مع كون

الموضوع واحدًا سرًّا عظيمًا وحكمًا باهرًا فإذا اقتدينا بنسج القرآن، تزول عنا تلك السآمة وقد قالوا إن في صحيح الإمام البخاري تكرارًا فأجيبوا بأن المكرّر كثيرًا ما يحلو، على أنه لا يخفى عليكم أيها الولد أن التكرار الموجود في الصحيح لا يخلو من عائدة بلا فوائد وأنه ما زال رجال الحديث وفحوله يستخرجون منه على ممرّ الأزمان والعصور معاني رقيقة أحلى من الشهد لمن ذاقها وفي أي حال فالعذر مقبول ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾:

إذا الأحباب فاتهم التلاقي فما صلة بأفضل من كتابِ

هذا وقد مرّ زفاف أخت زوجتكم في الوقت الذي كنت أخبرتكم بأنه سيقع فيه على ما ينبغي عرفًا والمولى سبحانه يحفظكم ويرعاكم والسلام عليكم ورحمة الله.

والدكم: عبدالواحد كان الله له

في يوم الاثنين 8 شعبان عام 1357هـ

موافق لـ 3 أكتوبر/ تشرين الأول سنة 1938م

الرسالة الرابعة
عدد 35

ونصّها :

الحمد لله وصلّى الله وسلَّم على مولانا محمّد وآله وصحبه

ولدي العزيز وفلذة كبدي العلّامة الأستاذ الأديب سيدي محمّد علّال الفاسي،

أما بعد: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته بوجود مولانا المؤيّد بالله والدعاء لكم بما نرجو من الله تعالى قبوله فقد تسلّمت كتابكم عدد 36 الذي كنت أخبرتكم بكتابي عدد 33 أنني لم أستلمه إذ ذاك وتسلمت ما بعده وهو عدد 37 كما تسلّمت كتابكم عدد 38 وصحبته كتاب صهركم أبي عيسى تهنئة له في زفاف بنته وقصيدة المصونة زوجتكم بمناسبة ذكرى زواجكم الثامنة وكلا الكتابين 36 و 38 وما مع الأخير بتاريخ الرابع عشر شهره ويوم تاريخه وصلني كتابكم عدد 39 وتاريخ 29 رجب الفارط اتصالًا وقد أفادت مكاتيبك الثلاثة سلامتكم التي نرجو الله تعالى دوامها للجميع ونحمده سبحانه على التفضّل بها وبالحمد عليها وما أشرتم له من اغتنام فرصة الاستمتاع بفصل الخريف لنا ولزوجتكم صحيح ونطلب إلى الله تعالى أن يجمع الشمل بكم على أحسن حال ليحصل للكل نشاط فصول السنة وتتحوّل أحواله معها باقي عمره إلى ما هو حسن تارة وأحسن تارة أخرى، وما ذكرتموه بعدد 38 من وصول الكتب الثلاثة التي طالت مدة سيرها فرحت له غاية الفرح وكدت أطير طربًا، أما أولًا فلأن الكتب كما ذكرتم نعم الأنيس ولا سيما للغرباء، ولله درّ القاضي عبد الوهاب إذ يقول:

وقالوا كيف أنتم فقلت خير	تفوت حوايج وتقضى حاجُ
نديمي هرّتي وسرور قلبي	دفاتر لي ومعشوقي السراجُ

وأما ثانيًا فلما كنت قد أشرت لكم به من قبل من استخراج بنات

أفكاركم وعرائس أبكاركم التي ترقّمونها عند مطالعتكم للكتب المذكورة، وأما ثالثًا فلما تغتنمونه من دقائق معاني القرآن العظيم وبلاغته التي ردّت بلاغتها دعوى معارضها كما أشار إلى ذلك البوصيري وغيره، وأما رابعًا فلما في ذلك من الثواب الأخروي إلى غير ذلك مما يطول بوالدكم سرده. وكتاب صهركم قد حلّ بيده وكذا القصيدة الطنّانة وقد استحسنت رشاقتها ولياقتها ولطافتها. وللا زهراء حليلتكم قد ازدهت بسماعها فلا فُضَّ فوك وما أنبأتم به في عدد 39 الأخير من وصول كتابي عدد 22 ليدكم فرحت له أيضًا. وتأكيدكم الخبر بتوجيه القصيدة وكتاب صهركم علمته وقد ذكرت لكم آنفًا حلول الكل بيد من هو له. وأما العقد للنكاح فكان قد تمّ دون ريب وأنتم هنا بمدة وما أشرتم في مسألة الكتب وأنها خير جليس وأنيس صحيح وقد رمزت لكم عن هذا المعنى في كتابي هذا أعاننا الله على الزيادة من العلم ومنّ علينا بها ولا قطعنا طول العمر عن الاغتراف من بحره التيّار ومسألة ابن هاني الشاعر ومقامه العظيم في الإنشاء وجزالة اللفظ وابتكار المعاني الرقيقة لا يجارى. وصحيح كما ذكرتم أن قدره في الاعتبار ليس بأقل من قدر أبي الطيب وإن كانت شهرة هذا أكثر وسمعته، وشاعرنا أرقى فيما قلنا وداؤنا الوحيد من قديم إهمال الاهتمام بتاريخ رجالنا كما قلتم وكما قاله الشيخ أبو حامد رحمه الله وصدق والله. فلقد أهمل من أدب أبي حامد نفسه وأشعاره البليغة ما لا يحصى وقد كنت يا ولدي قد أشرت إلى هذا المعنى هذه الأيام في إفتاء لي وناسبت أن أذكرها في تلك النازلة نسأل الله تعالى أن يعالج داءنا الحسّي والمعنوي آمين. وسائر العائلة وبالأخص عائلتنا الخاصة تهديكم أطيب السلام وليلى تقبّل يدكم والمولى يحفظكم بمنّه ويرعاكم والسلام عليكم ورحمة الله.

عبدالواحد الفاسي لطف الله به

في 17 رمضان المعظم عام 1357هـ

موافق لـ 10 نوفمبر/ تشرين الثاني سنة 1938م

ومنه قد كنت وجّهت لكم بالعدد 34 قبل هذا صورتي في مثال واحد ومثالي 2 البنية ليلى ويومية السنة المقبلة به وبتاريخه.

الرسالة الخامسة
عدد 66

ونصّها :

الحمد لله وصلّى الله وسلّم على مولانا محمّد وآله وصحبه

ولدي العزيز وفلذة كبدي العلّامة الأستاذ الأديب سيدي محمّد علّال الفاسي،

سلام يوضع شذاه مسكًا وعنبرًا ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه الأعمّ وتحيّاته بوجود المؤيّد بالله دامت حياته، أما بعد:

أبعد الله عنكم ما يصمّ ووصل جنابكم بحبل حفظه الذي لا ينفصم فقد ألقي إليّ كتابكم عدد 71 وتاريخ 16 الربيع النبوي الأنور الموافق للسادس من مايو/أيار معيدًا ومجدّدًا فيه تهنئتنا بعيد المولد الشريف والعود أحمد وراجيًا أن نكون اقتبسنا من فيوضات صاحبه النورانية ما يشعّ به باطننا وأن تكون زوجتكم أخذت من التأسي ببنات الرسول وأزواجهن الذين هاجروا إلى بلاد الحبشة ما يسهّل عليها تحمّل مرارة البعاد. أما أنتم فقد قضيتم العيد في اغتباط وسرور وساعدكم الحظ بالتمتّع بمناظر الهلال المتكامل رغمًا عن السحب المتكاثفة فكان رمزًا عمليًّا لإشراق أنوار العيد وهب معه نسيم طيب روح الروح ودعا ذلكم لمضاعفة شكر الله على ما أولى وانطلق لسانكم يعبّر عن ذلك الأمر بقصيدة مولوية تتجاوز المائة والستين بيتًا مشاركة لنا فيما نردّده من مدائح نبوية في حفلاتنا المولدية مع شعور لا تسمح به إلا الخلوة في تلك البلاد النائية ولا ترى منها إلا لمحات برق يمتدّ في الفضاء حتى كان ذلك العلم النوراني الذي شدّ ما بين المشرق والمغرب ليلة الميلاد طبق ما حدّثت به الرواية إلخ، فأما تجديدكم لنا التهنئة بعيد مولد سيد الكائنات فمن أعظم ما يغبط فيها التجديد والتكرار تتابع التهاني الجليلة المقدار أعد ذكره أن القلوب تحبّه إلخ وأننا على

ممرّ الأزمان نعيد التهاني لجنابكم بهذا الفضل العظيم والفوز الجسيم ولا نملّ من ذلك بالقلوب تارة والأقلام معها تارة أخرى ونجازيكم خيرًا على متمنّياتكم لنا راجين أن يحقّق الله ذلك الاقتباس النوراني حتى تشعّ به البواطن والظواهر، وأما زوجتكم فهي آخذة من التأسّي ببنات الرسول وأزواجهن ومنهن أم كلثوم زوجة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه إلخ وذلك من حيث الصبر واليقين وإن لم تكن من قبل مستحضرة للتأسّي والاقتداء. أما الآن فقد أرشدت بسبب إرشادتكم لهذا المعنى والحمد لله. وقد فرحنا لقضائكم العيد في اغتباط وسرور لله الحمد وله المنّة وأما مساعدة الحظ لكم بمساعدة الهلال رغمًا عن السحب المتكاثفة حتى كان رمزًا عمليًا لإشراق أنوار العيد إلخ. فكيف لا وقد أسفرت أيام ذلك الشهر الرفيع والمتلقّاة بالفرح والاستبشار عن سرّ الوجود وعين المقصود ولباب اللباب ﷺ ما طلعت شمس ولا تزال عجائب ميلاده تتوالى كل حين وتبدو لكاملي الإيمان من أمّته مدى الدهور والسنين. ومن مواهب مولده عليه الصلاة والسلام ما ذكرتموه من تلك القصيدة المولدية المتجاوزة للعدد الذي ذكرتم، والتي أرجو كامل الاحتفاظ بها طبق عادتكم عسى أن يعمّ النفع بها وتكون لكم بها اليد العليا عند هذا النبي الكريم الذي أكرم مادحيه حسًّا ومعنى ولاسيّما أن عنان المدح في جانبه العظيم مطلق إذ نسبته بين البشر كنسبة الياقوت بين الحجر فلا أسهل ولا أحلى ولا ألذّ ولا أحقّ بالمدح من المخلوقات غيره ﷺ وعليه فقد جاوزتمونا في المشاركة في المدائح النبوية إذ قد أنشأتم وأنشدتم ونحن أنشدنا ولم ننشئ وفي أيّ حال فلنا الحظ من حيث إنكم فرع منّا وقد علم أن للأصل النصيب الأوفى من محاسن الفرع خلص الله المقاصد وأحسن عاقبة الجميع بمنّه وكرمه آمين مهديًا لكم سلام العائلة كلها وسائلًا المولى الرحيم الرحمن أن يمنّ بالاجتماع قريبًا على أحسن حال والسلام عليكم ورحمة الله.

والدكم: عبدالواحد الفهري الفاسي

في 6 جمادى الأولى عام 1358هـ

موافق لـ 24 يونيو/ حزيران سنة 1939م

الرسالة السادسة
عدد 68

أجاب فيها عن رسالة من الزعيم
كتبها على أسلوب البلغاء الأقدمين
كالصاحب وابن العميد
ونصّها:

الحمد لله وصلّى الله وسلّم على مولانا محمّد وآله وصحبه

ولدي العزيز لا أزال أنتعش بسماع لذيذ خطابكم وأحيا باستنشاق عرف آدابك وأحنّ إلى ذلك المغنى حنين الطير إلى وكره والمتيّم إلى خليله وإلفه. وأستسقي من جداول علومك التي قهقهت في رياض التوفيق وجرت ينابيعها في حدائق التحقيق والتدقيق فأرتوي ريّ الظمآن وأروى عن بيان سحبان. وأرى من بدائع البراعة والإنشا ما يدهش النابغة والأعشى وأذكر الحديث الشريف: إن من الشِّعر لحكمة وإن من البيان لسحرًا. فلتدم أيها الولد منظمًا لعقود جواهرك. محلّيًا الرؤوس بتيجان يواقيتك ومفاخرك ناطقًا بما أوتيته من حكمة. مبديًا لما أوليته من نعمه. وأما بنعمة ربك فحدّث. إذا أنعم الله على عبد بنعمة أحب أن يرى أثر نعمته عليه. زدنا من حديثك يا سعد.

ولدي منذ ألقي إليّ كتابك عدد 73 وتاريخ متمّ الربيع النبوي وأنا أستلمه استلام الحجر الأسود وأمتّع سمعي من بدائعه بما أنساني الأغاني من مطربات الغواني وكان لدي أنس المتوحّش وزبدة الوصال أو قميص يوسف إذ جاء به البشير وكيف لا وقد شرح النفس وبسط الأنس وأبرد الأكباد والقلوب فلا برحت أفكاركم شمس سعود وأقلامكم هلال صعود وسلام عليكم ما هبّت بعواطر محياكم الصبا وما حنّ إليكم فكر صبّ وصبا.

ولدي العزيز جوهرتاك المكنونتان وأمانتاك قد بلغت العناية بهما أقصى مناك. فزهراؤكم زاهرة شاكرة وليلانا في غاية البرور ظافرة، نعم ألم الفراق كلنا به مصاب إذ هو داء مشترك الإلزام لا عتب فيه على أحد منّا ولا ملام.

وهل ريبة في أن تحنّ نجيبة　　إلى أهلها أو أن يحنّ نجيبُ

ولا دواء لهذا الداء إلا انتظار الفرج بالصبر والاستسلام لأمر الله والاعتماد عليه سبحانه وحده:

سلِّم لربّ العرش في تدبيره　　واصبر لحرّ قضائه ومريرهِ

وإذا تعذّر في زمانك مطلب　　لا ترج إلا الله في تيسيرهِ

وعسى الذي قدّر البعاد يزيله　　وعسى الذي كتب الفراق سيجمعُ

ولدي قد علمت من كتابكم تسلّمكم لعددي 55 و56 من رسائلي وما رمزت إليه من طول فترات الرسائل فيما بيننا. وعادتكم التي قررتم التمشّي عليها قد استحسنتها سابقًا وحبّذتها وإن ثقتي بكم لحاصلة وتعلم أنني عن خواطر السوء عند طول الفترة بمعزل وإن تخيّلها الفكر في بعض الأحيان دافعتها بترياق طبّكم النافع لما فيه من حسن الظنّ بالله الذي ما عوّدني إلّا خيرًا. لكنني يا فلذة كبدي كما قيل:

وإذا النوى شطّت بنا وتعرّضت　　دون اللقاء حوادث الأيامِ

عدنا بأفواه المحابر نشتكي　　ألم الفراق بألسُن الأقلامِ

أما زهراؤكم فثقتها بكم نحو ما أشرتم إليه دائمة مستمرّة لما بينكما من صادق الوداد وخالص المحبة، وإن طال البعاد. (شنشنة أعرفها من أخزم) أبقاكم الله في نعمة ضافية ومكانة محفوظة في عافية غير عافية.

ولدي بعدما سحرتني رسالتك الأولى ببيانك وملكتني بمخطوط بنانك سرحت الطرف في الثانية عدد 74 بتاريخ 3 ربيع الآخر: فألفيتها جنّة أدب يجري من تحتها نهرها وساحلًا لكل جوهر ثمين وربوة ذات قرار ومعين كأن نثارها ذهب سبكته يد البديع.

بيد أنها فتكت بعساكر كربي ونشرت مطلوبات طربي وقرّت بقراءتها

عيناي وصيّرتها بعد شفاء جواي نجواي. وأحييت بها ماء محيّاي فما مثله لجوهر المودّة صدف. ولا لراؤون المحبّة قرقف.

ولدي لا أراك إلا موفيًا دائمًا بنظامك الذي سننت في موضوع الرسائل فاسأل الله لك الإعانة على جميع الخيرات مبشّرًا جنابكم بأن زهراءكم تتمتّع بصحة جيدة وليلى تبغم الآن كما ذكرتم بغام الحمام وتشدو شَدْوَ اليمام منّ الله عليكم بمعاينة ذلك قريبًا وسماعه:

ولكن للعيان لطيف معنى لذا طلب المعاينة الخليلُ

وإن إحدى العينين لا تغني عن الأخرى، وهو على جمعهم إذا يشاء قديرُ.

وفي الختام أهديكم من جميع العائلة عاطر السلام وأرجو لكم دوام الحفظ في عمر مديد وعيش رغيد والسلام عليكم ورحمة الله.

والدكم عبدالواحد الفاسي الفهري

في18 جمادى الأولى 1358هـ

الموافق لـ 6 يوليو/ تموز 1939م

الرسالة السابعة
عدد 86

ونصّها :

الحمد لله وصلّى الله وسلّم على مولانا محمّد وآله وصحبه

ولدي العزيز فلذة كبدي،

لعلّ هذه اللحظة كما قلت هي أسعد لحظة في حياتي حيث أخطّ لكم هذه الرموز المعربة عما يكنّه القلب وتستره الجوانح ويسري بين الضلوع والخبايا من الشوق والعطف فهل تذكرنا يا ولدي العزيز كما نذكركم في كل لحظة ولفتة. وهل تستحضر هذا الوسط العائلي الذي يحنّ لكم ولا حنين الظمآن للماء.

اذكرونا مثل ذكرانا لكم رُبّ ذكرى قرّبت من نزحا

أحرّر لكم هذه الرسالة والشوق المتزايد إليكم ينغّص حياتنا والنزوع نحوكم يرنق صفونا فلنفرض أن كل الشؤون في هذه الحياة متماشية عندنا وعندكم وفق المأمول والمبتغى لكن أنّى لي أن يصفو عيش مع بعدي عنك ويخلو ذرعي مع خلوي منك ويسوغ لي مطعم ومشرب مع انفرادي دونك وكيف أطمع في السلو وأنت جزء من نفسي وناظم شمل أنسي وقد طالت الغيبة واشتدّ الشوق فهل تسكن نفس متشعّبة ذات انقسام واعتلال. وهل ينفع أنس بيت بلا علّال، هذا ما لا يمكن، فلننتظر الفرج بالصبر ولنوجّه آمالنا إلى الله القادر. وبعد فقد قرأت رسالتكم رقم 75 فامتلأت سرورًا بملاحظة تلك المعاني الرائقة والأفكار الفائقة وماذا عسى أن أقول في تقريض تلك الجواهر الغوالي والتعليق عليها فكلّك مقرظ عندي وأي صيغة يمكن لها وتستطيع بعض التعبير عما أجده في سويداء القلب وهل هذه الألفاظ والحروف إلا رموز مستضعفة يلجأ إليها الإنسان البشري عندما تمتنع عليه الإبانة والإعراب

وهل اللغات العالمية كلها إلا علاج مؤقّت لتلك الإحساسات النفسية والخوالج الداخلية، فإذا عجزت كل هذه النقوش واضمحلّت جميع هذه الأدوات وتعطّلِت لغة الكلام، فلنتخاطب بلغة القلب الذي هو الجوهرة اليتيمة في هذا القفص، ولتكن الروح ترفرف بأجنحتها على هذه المراسلات القلبية والمخابرات النفسية ولعلّ في ذلك علاجًا للمكروبين وشفاء للمؤمنين. أما زهراؤكم وليلى فكلتاهما على أحسن ما يرام حمدًا للملك العلّام بعد أدائهما كسائر العائلة لجانبكم الأسمى عاطر السلام.

وفي الختام أسأله تعالى بسرّ اسمه الجامع أن يجمع أجسام الكلّ كما جمع قلوبنا وما ذلك على كرمه المتوالي بعزيز والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته في الفواتح والخواتم.

والدكم: عبدالواحد الفهري الفاسي لطف الله به آمين

حرّر في صبيحة الثلاثاء متم جمادى الأولى عام 1358هـ

موافق لـ 18 يوليو/ تموز 1939م

الرسالة الثامنة
عدد 106

وقد بعث الزعيم جوابًا عنها ضمنه قصيدة بعنوان
مولد المصطفى

منشورة بالجزء الثاني من ديوان علّال الفاسي
وهذا نصّ رسالة الوالد:

الحمد لله وصلّى الله وسلّم على مولانا محمّد وآله وصحبه

ولدي العزيز العلّامة الحائز قصبات السبق في ميادين الأدب والإنشاء الأستاذ الفائق ببراعته وبلاغته النابغة والأعشى سيدي محمّد علّال الفاسي طيّب الله بطيب ذكره أنفاسي وسلام على مقامك الأسمى وحماك المعظّم الأحمى بوجود المؤيّد بالله طال نصره وطاب عصره وبعد:

فلا زائد على ما قدّمته لكم بتاريخ 23 شهره وعدد 105 إلا الخير والسلامة حمدًا لله وشكرًا وما زلت في انتظار كتابكم جوابًا عما كنت طلبته منكم من صورتكم ومن وصول الحوائج الموجّهة لكم واليومية الفاسية عجّل الله تعالى بذلك وبجمع الشمل على أحسن حال وقد كنت قد أخبرتكم في الكتاب المشار إليه بثقب أُذَني البنيّة وأنهما في طريق النقه والآن قد تمّت عافيتهما ولله الحمد بدءًا وتمامًا كما أنني قدّمت لكم في الكتاب المذكور أحرّ التهاني بعيد المولد النبوي الشريف والآن أعود لذلك مرة أخرى والعود أحمد فأقول متمثلًا:

لمولد خير الورى المصطفى ... مقام عظيم سما شرفَا
فهيّا بنا نغتنم ذكره ... ونتلو من مدحه ما صفَا
ونرجو به رفعة واصطفا ... ووصلًا قريبًا يزيل الجفَا

ولا أخال جنابكم غافلًا عن إنشاء مقال شعري أو نثري يسحر الألباب في مدح هذا النبي الكريم والتعلّق بأذياله عليه من ربّه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ثم إتحافي بذلك راجيًا أن يكون ذلك محتويًا على أوصافه الخلقية والخلقية بقدر الطاقة وإلا فالجناب عظيم أعاننا الله وإياكم على أداء واجباته والقيام بمأموراته آمين والسلام عليكم من جميع العائلة خصوصًا وعمومًا ما دام الملوان وتحركت أغصان البان.

والدكم: عبدالواحد بن عبدالسلام
الفهري الفاسي لطف الله تعالى به

في يوم الاثنين و 2 صفر 1359هـ
موافق لـ 8 أبريل/ نيسان 1940م

الرسالة التاسعة
عدد 111

الحمد لله وصلّى الله وسلّم على مولانا محمّد وآله وصحبه

ولدي العزيز نور العين بلغني حديثكم الأحلى وخطابكم الأعلى حول الشاي اللذيذ الحديث العهد بهذه الربوع الطيّبة وأنكم آثرتموه على الذي كان عندكم من قبل لا لأنه أطيب بل لقرب عهده بالوطن العزيز وقربه من تلك الساعة التي انتظمت فيها جلسته العائلية التي هي سرّ معناه، ملتمسين فيه هذا السرّ ومرتشفين منه سلافة تلك النكات، ولكن سرعان ما تعودون إلى ذلك الجوّ الذي تعيشون فيه بجسمكم فقط بحرارته ورطوبته ورعوده وأمطاره وشموسه اللافحة وأبخرته وغيومه الجاثمة تجدون الشاي جسمًا لا روح إلخ، ما دبّجته يراعتكم ورمزت إليه في هذا المنهج فإلى الله المشتكى من ألم الفراق وعليه حساب الدموع التي أراق والأمر لله سبحانه الذي حالت بيننا وبينك مقاديره ومنه جلّ علاه نلتمس الرضا والتسليم لما يجري به القضاء وقد تذكرت أن أتلو لما قرأت قولكم ولكن سرعان ما أعود إلى هذا الجوّ إلخ بقول القائل:

سأفزع للريح الشمال لعلّني — أحملها وجدًا تلجلج في صدرِي
تبلغ منّي للبني تحية — معطرة الأرجاء دائمة النشرِ
تظلّله في حرّ كل هجيرة — وتؤنسه في وحشة البلد القفرِ

وقبل ذلك أتلو: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

ولدي أرجوكم أن تعربوا عمّا عسى أن تكونوا متوقّفين عليه من نوع اللباس المغربي الذي لا يمكن أن يغني عنه غيره لعلّنا نقوم بواجبه ونرجو الله عند إفصاحكم به وتيسيرنا له أن يصلكم في مدة قريبة وإنني أهدي لكم في

البدء والختام وكذا أهلكم وكلّ من له إلينا انتساب وانضمام أعطر التحايا وأزكى السلام رحبة القلب ليلى تقبّل اليد والسلام.

والدكم: عبدالواحد الفهري الفاسي

الله له بمنّه آمين

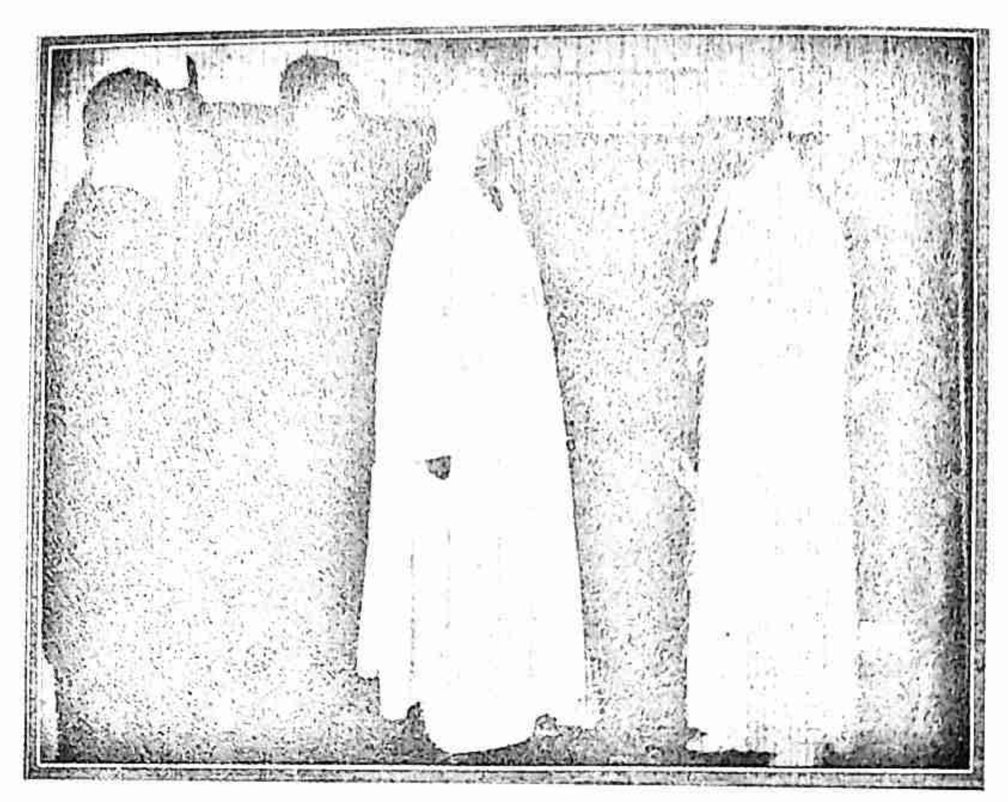
في 5 ربيع الآخر 1359هـ

موافق لـ 13 مايو/ أيار 1940م

ملحق الصور



الزعيم يقدم للمغفور له جلالة الملك محمد الخامس بحضور سمو الأمير مولاي عبدالله مقررات مؤتمر طنجة الذي دعا إليه حزب الاستقلال للبحث في وسائل إنجاز وحدة المغرب العربي سنة 1958



الزعيم علّال الفاسي مع جلالة المغفور له محمد الخامس صحبة أعضاء من اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال سنة 1960



الزعيم يحمل وثيقة بيعة حزب الاستقلال لولي العهد مولاي الحسن سنة 1957 مع مجموعة من الإخوان ومن بينهم المهدي بن بركة



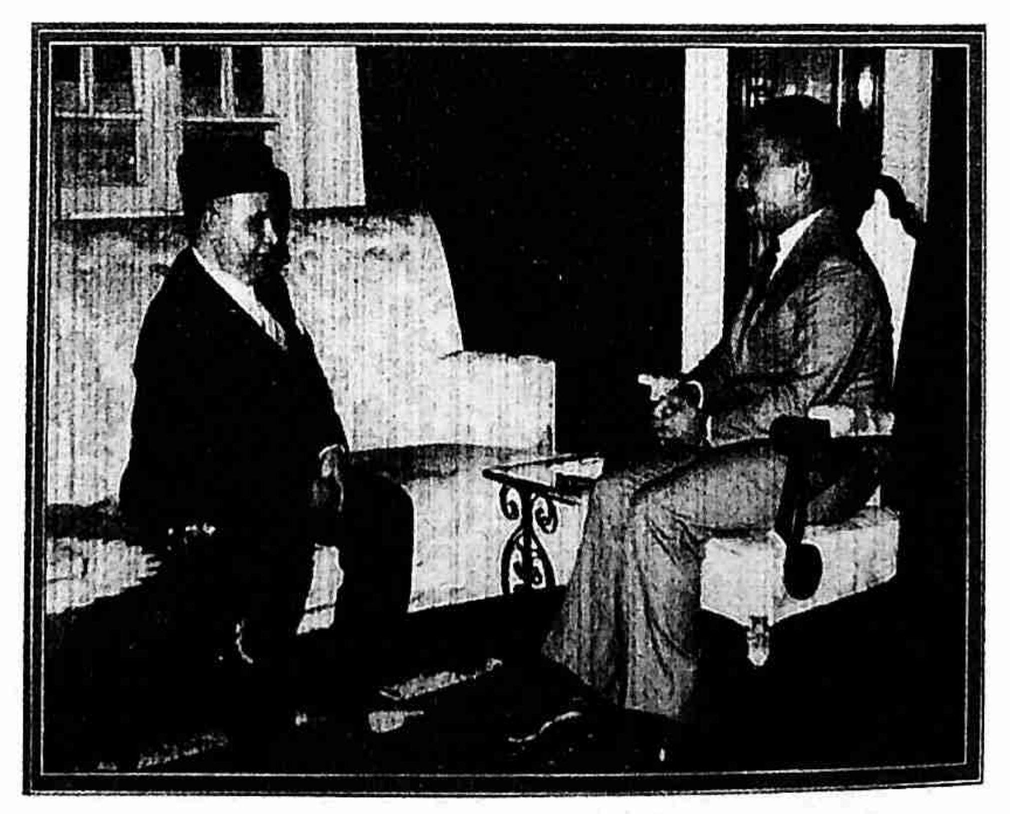
من الصور النادرة للزعيم علّال الفاسي



صورة للزعيم علّال الفاسي في الخمسينيات



الزعيم علّال الفاسي مع الملك فيصل لما كان هذا الأخير وزيرًا للخارجية للمملكة العربية السعودية



الملك الحسين بن طلال يستقبل الزعيم علّال الفاسي بالعاصمة الأردنية عمان



رغم ضبابية الصورة فإنها ذات قيمة تاريخية، حيث يظهر الزعيم علّال الفاسي وإلى جانبه جمال عبد الناصر وزهو إنلي إثر انعقاد مؤتمر باندونغ سنة 1955



الزعيم علّال الفاسي بالقرب من الحبيب بورقيبة في إحدى الجولات التفقدية



الزعيم علّال الفاسي لما كان وزيرًا للأوقاف رفقة صاحب
الجلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله



الزعيم يترأس الندوة السياسية من أجل تحرير الصحراء سنة 1971. يقول: «منذ نشأت وأنا أومن بأن وطني يحد جنوبًا بالسنيغال، وشرقًا بالجزائر، وغربًا بالمحيط الأطلسي، وشمالًا بالبحر الأبيض المتوسط. آمنت بهذا بنفس الشعور الذي يجعل المرء يؤمن بأبيه وأمه وبمدينته التي ولد فيها»



الزعيم علّال الفاسي وتحيط به مجموعة من رجال المقاومة



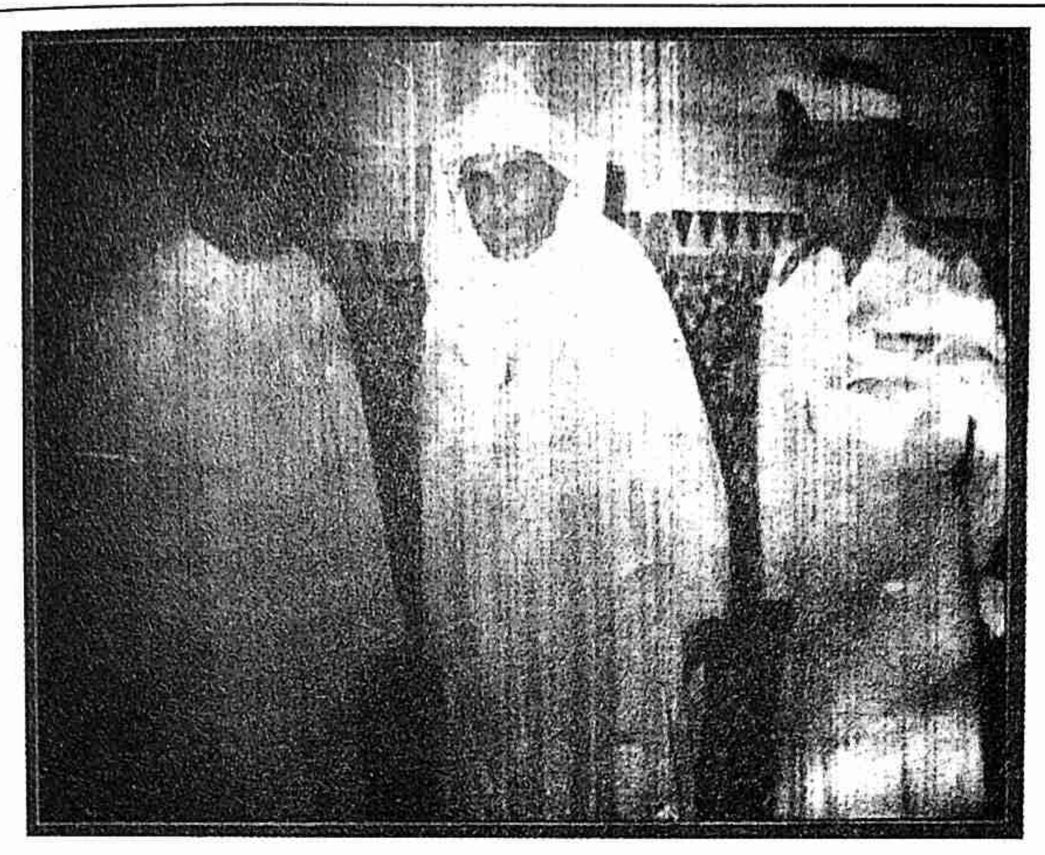
قام الزعيم علّال الفاسي برحلة إلى أفريقيا زار أثناءها السجن الذي اعتُقل فيه سنة 1937 وهو يجلس على السرير نفسه الذي صحبه نحو تسع سنوات



الزعيم علّال الفاسي في حوار مع الملك الحسن الثاني تغمده الله برحمته بعد انتهائه من إلقاء درس دينيّ «من سلسلة الدروس الحسنية»



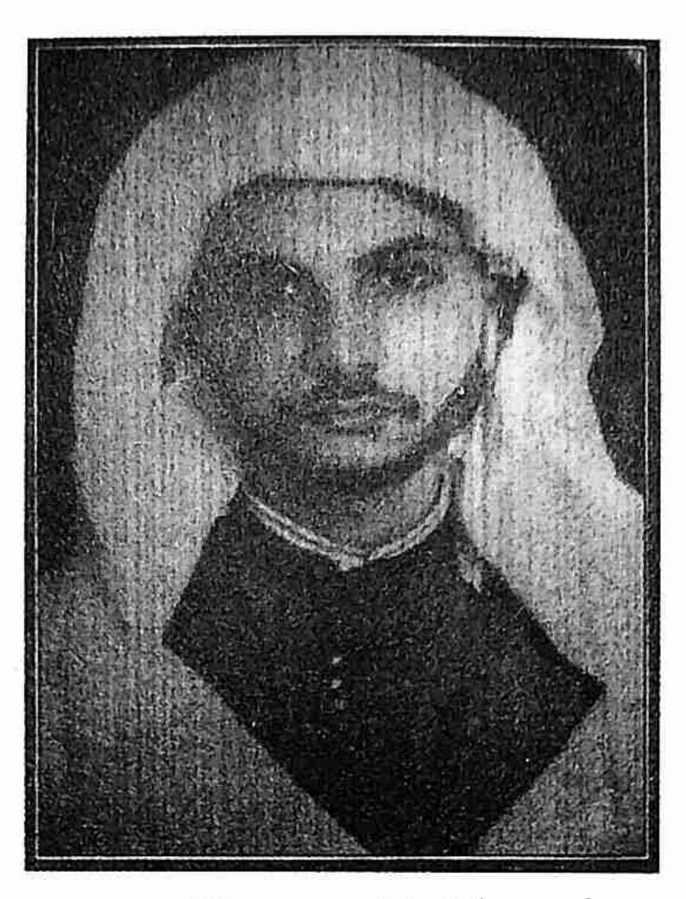
زيارة الملك الحسن الثاني رحمه الله للزعيم علّال الفاسي بالمستشفى إثر الوعكة الصحية التي ألمت به



الزعيم علّال الفاسي مع بطلي الانبعاث جلالة الملك الحسن الثاني تغمده الله برحمته عندما كان وليًّا للعهد وجلالة المغفور له محمد الخامس



صورة للزعيم علّال الفاسي مع محمد رضا شاه بهلوي «إمبراطور إيران»



علّال الفاسي رحمه الله



صورة لعلّال الفاسي في الأربعينيات



علّال الفاسي في أوائل العقد الثاني من عمره مع والده عبد الواحد سنة 1925 رحمة الله عليهما



لحظة إيمانية للزعيم وهو يقرأ آيات من الذكر الحكيم بلباسه الصحراوي دلالة منه بتشبثه بوحدة البلاد.



صورة للزعيم علّال الفاسي أُخذت له سنة 1930 عندما كان يخوض معركة التوعية الوطنية، عن طريق الدروس التي كان يلقيها بجامعة القرويين بفاس



الزعيم علّال الفاسي منهمكًا في الكتابة



الزعيم علّال الفاسي وامحمد بنونة ويتوسطهما الأمير شكيب أرسلان



صورة للزعيم علّال الفاسي أخذت له في طنجة سنة 1951



آخر صورة التُقطت للزعيم قبل وفاته بلحظات مع الرئيس الروماني السيد تشاوشيسكو
في قاعة الاستقبال الكبرى ببوخارست



جثمان الفقيد ببوخارست قبل نقله إلى المغرب يحيط به إمام مسجد بوخارست والأستاذ
محمد بوستة والسيد عبد الحفيظ القادري والمعطي جوريو



صبيحة يوم الجنازة فاجأ جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله الجماهير الغفيرة التي زحفت من جميع أنحاء المغرب بالدخول وهو يحمل قطعة من كساء الكعبة وقد وضعها على النعش، وقال «لقد وضعت هذه القطعة على قبر والدي والآن أضعها على قبر رفيق والدي»



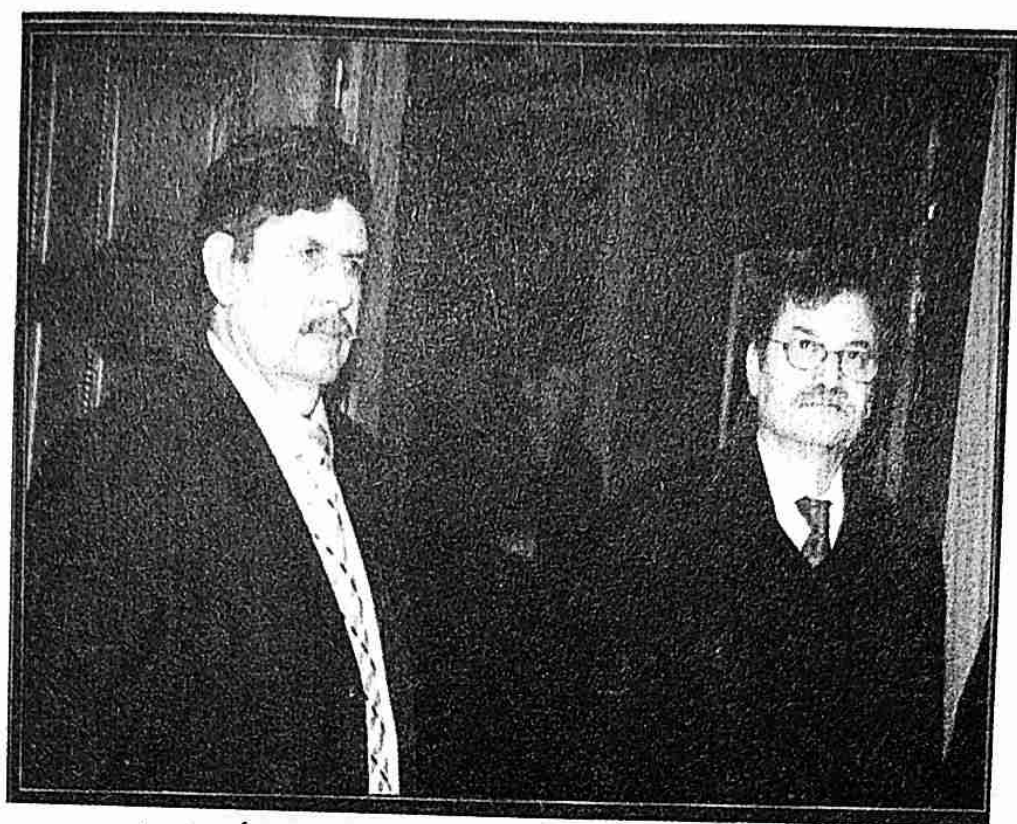
كان سمو الأمير مولاي محمد ولي العهد آنذاك إلى جانب الأمير مولاي عبدالله من ضمن المصلين على جنازة الفقيد بمسجد السُّنة بالرباط



صورة نادرة للزعيم علّال الفاسي مع زوجته السيدة للا زهراء



الزعيم علّال الفاسي مع كريمته ليلى سنة 1962



ابنا الزعيم علّال الفاسي الدكتور عبد الواحد والأستاذ هانيء



ابنتا الزعيم علّال الفاسي السيدة أم البنين والسيدة عواطف

ملحق

ما كتب الزعيم علاّل في المنفى

1 ـ شعر المنفى: وهو في ثلاثة دفاتر خصّ كلّ واحد بعنوان:

الأول: روض الملك.

الثاني: ورود وأشواك.

الثالث: الزورق المغربي.

إلى جانب أوراق مختلفة الأحجام ممّا كان يتيسّر له الحصول عليه في الأيام الأولى من المنفى ليسجّل عليه بعض القطع الشعرية أو بعض ما يعنّ له من أفكار أو فوائد طارئة قبل أن يمكنه امتلاك بعض الكنايش الفارغة أو الدفاتر الصالحة للتسجيل التي نقل إليها مرتّبًا ما كتبه من قبل.

وكلّ هذه الأصول الشعرية محفوظة في ملفّ خاصّ بالمؤسسة.

وشِعره هذا في المنفى هو ما خصّصت له الجزء الثاني من ديوانِ علّال الفاسي الذي صدر في طبعتين تاريخ الثانية منها يناير/كانون الثاني 1998م.

2 ـ أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن، وهو ما كتبه حول كتاب أحكام القرآن للإمام ابن العربي الذي وصله للمنفى صحبة شرح ديوان ابن هانئ الأندلسي بعد مرور سنة على منفاه. وقد صدر عن المؤسسة مطبوعًا بتاريخ 1994.

3 ـ أبيات الأبيات والكلمات من ديوان ابن هانئ متنبّي المغرب وهو ما أصدرته المؤسّسة محقّقًا بمناسبة ذكراه التاسعة والعشرين بتاريخ مايو/أيار سنة 2003.

4 - الأوراق. دفتر يضمّ مجموعة موضوعات واستفادات وملاحظات لغوية وأدبية واجتماعية طبع بعنوان: (عوامر الكلم وثمار الأوراق) بتاريخ ديسمبر/كانون الأول 1998م.

5 - بحثان تاريخيان.

الأول : إيدا وعلي الشرفاء: التيجانيون بموريتانيا.

الثاني: الطريقة الفضلية وآل الشيخ محمّد فاضل، وقد طبعناهما في المؤسّسة ملحقين بكتاب التصوّف الإسلامي في المغرب للزعيم علّال الصادر سنة 1998م.

6 - رسائل: احتفظ ببعض نصوصها الأصلية في ملفّ جمع فيه رسائل والده رحمه الله.

7 - عدة دفاتر جيبية وصفحات متفرّقة في ظروف المنفى. وعملت على جمعها وتنسيقها وإخراجها في هذا العمل الذي بين يدي القرّاء المهتمّين الآن.

الكتاب

يُعَدّ الزعيم علّال الفاسي أحد أبرز دُعاة الاستقلال والتحرر في العالم العربي. وقد بَرَز نجمه منذ مطلع الثلاثينات الميلادية حينما تصدّى للاحتلال الفرنسي وقاد الجموع الشعبية للتأكيد على وحدة الشعب المغربي، وتوّج ذلك بتأسيسه كتلة العمل الوطني عام 1934م، التي تُعَدّ النواة الأولى للدفاع عن الوحدة المغربية.

ونتيجةً لحدّة الصراع بين المواجهة الوطنية وسُلطات الاحتلال الفرنسي، أقدمت السلطات الفرنسية في عام 1937م على نفي علّال الفاسي إلى الغابون. وفي عام 1946م ونتيجةً للضغوط الوطنية، أصدرت السلطات الفرنسية عفوًا عنه، ليعود منتصرًا مواصلًا مشواره الوطني النضالي في قيادة حزب الاستقلال.

في منفاه كتب علّال الفاسي مذكراته وأرسل رسائل إلى والده، وقد ظلّت هذه المذكرات والرسائل حبيسة الأدراج إلى أن تصدّى لها عبدالرحمن بن العربي الحريشي، مدير مؤسسة علّال الفاسي سابقًا، فحقّقها وأخرجها إلى الوجود.

في عام 2010م حلّت الذكرى المئوية لميلاد علّال الفاسي، وهي مناسبة نغتنمها لنشر المذكرات وتكريم جيل عَمِلَ كلٌّ جهده لتحقيق مشروع نهضوي وإقامة دولة عصرية. وقد عَمدت دار جداول إلى نشر أكثر من 30 صورة نادرة ضمن المذكرات، أغلبها يُنشر للمرة الأولى.


ISBN 978-614-418-055-6


جداول Jadawel
www.jadawel.net